

الصِّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ
حَيَاتُهُ وَشِعْرُهُ

الصِّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ

حياته وشعره

جمعه وحققه وشرحه وصنّع فهرسه

د. خالد عبد الرؤوف الجبر

أستاذ النقد والبلاغة المساعد

بجامعة البترا الأردنية



جامعة البترا

ص.ب. هاتف ٥٧١٥٥٤٦ - ٥٧١٥٥٤٩ فاكس ٥٧١٥٥٧٠

عمان - الأردن

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبات والوثائق الوطنية	٢٠٠٣/٢/٣١٧
٩٢٨,١ جبر	الجبر، خالد عبد الرؤوف الصِّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ: حياته وشعره / خالد عبد الرؤوف الجبر عمان - دار المناهج، ٢٠٠٣ ر.ل.: ٢٠٠٣/٢/٣١٧ الواصفات: التراجم // الأدب العربي // الشعراء العرب /
تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية	
رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر	٢٠٠٣/٢/٣٨٩

الصف والطباعة



دار المساجد
للتنوير والتوزيع

تلفاكس ٤٦٥٠٦٢٤ (٠٠٩٦٢٢٦) ص.ب. ٢١٥٣٠٨

عمان ١١٢٢٢ الأردن

المحتويات

الرقم	الموضوع	رقم الصفحة
١	الإهداء	٤
٢	تقديم	٧
٣	القسم الأول:	١١
	- حياة الصّمة وقبيلته وأخباره	١١
	- قبيلة قُشَيْر	١٣
	- ديار القُشَيْرين	١٩
	- شعراء قُشَيْر	٢٤
	- الصّمة بن عبد الله القُشَيْري	٢٧
	* اسمه ونسبه	٢٧
	* حياته وعشقه رّيا	٢٩
	* وفاته	٣٧
	- هل كان الصّمة أعور؟	٤٠
	- ديوان الصّمة القُشَيْري	٤٥
٤	القسم الثاني :	٥١
٥	الفهارس العامة لشعر الصّمة	١٤١
	- فهرس الأشعار	١٤٣
	- فهرس الأعلام	١٤٥
	- فهرس الأماكن	١٤٦
٦	تَبَتُ المَصادر والمَراجع	١٥١

مكتبة الجامعة الأردنية

٢٠٠٣ تموز ١٢

رقم التسلسل ٥٧٧٨٦٤

رقم التصنيف

إلى عالم تجسّد فيه العلمُ معرفةً ومنهجًا ودوقًا، وناقِدٍ لَمَّا يَزَلْ يُلَوِّنُ
القَدِيمَ بِظلالِ الحديثِ، ولا يَحْدُ غَضاضَةً في نُحْيَةِ الحديثِ المارِقِ
عَنْ سَمَتِ الأدبِ الرَّفِيعِ، والتَّقْدِ الواعي المُنِينِ عَنْ ذَانِقَةِ فائِقَةِ .

تبادل من طلبة جامعة البترا

إلى أستاذنا وحبيبنا

الدكتور مخمّول السّمرة

وصلنا بالصّمة، فنافسناه عشقَ رّيا، وضاعتْ لَعْنًا يَبْقُ الْمَكَانِ

خالد

تقديم

لعلَّ البحثَ في حياة شاعرٍ من شعراء العرب القديمي ضربٌ من الخوضِ في غمار المجهولِ أحياناً؛ ذلكَ لأنَّ المصادرَ الأدبيَّةَ والتاريخيَّةَ إنَّما عُنِيَتْ بمشاهير الشعراء؛ لا سيَّما أولئك الذين مَكَّنَتْ لَهُمُ السِّيَاسَةُ موَاطِئَ أَقْدَامِهِم، وَأَضْفَى عَلَيْهِمُ الْإِتِّصَالُ بِأَهْلِ الْحُلِّ وَالْعَقْدِ هَالَةً اشْتَهَرُوا بِهَا فِي النَّاسِ، وَلَوَتْ أَعْنَاقُ النَّقَادِ قِيَمَمُوا شَطْرَ أَشْعَارِهِمْ .

والصِّمَّةُ الْقُشَيْرِيُّ شَاعِرٌ ذَاغَ صِبْيَتُهُ، وَطَبَّقَتْ أَخْبَارُهُ الْآفَاقَ؛ لَا لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ أَسْبَابٍ، وَلَكِنْ بِالنَّظَرِ إِلَى جَمَالِيَّاتِ شِعْرِهِ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ عُمُقٍ إِحْسَاسٍ وَصِدْقٍ عَاطِفَةٍ، وَيَحْنِيهِ الدَّائِبُ إِلَى مَوْطِنِهِ وَدِيَارِهِ. شَاعِرٌ عَاشِقٌ حَالَتْ صُرُوفُ الدَّهْرِ دُونَ هَوَاهُ، وَذَاقَ مَرَارَةَ ظُلْمِ دَوِي الْقُرْبَى حَتَّى تَرَحَّلَ عَنْ دِيَارِهِ بَعْدَ إِذْ زَوَّجَتْ حَبِيبَتَهُ (رَبَّيَا) مِنْ رَجُلٍ غَنِيٍّ، فَتَأَى بِنَفْسِهِ عَنْ دِيَارِ ظَالِمِيهِ - أَبِيهِ وَعَمِّهِ. ارْتَحَلَ غَازِيَا عَسَى أَنْ يَجِدَ فِي الْغَزْوِ سُلُوءَهُ عَنْ حَبِيبَتِهِ، لَكِنَّ الْبُعْدَ لَمْ يَكُنْ شَاقِيَا، فَكَانَ حَنِينُهُ فِي أَجْمَلِ مَا قَالَتْ الْعَرَبُ فِي حَنِينِهَا إِلَى أَوْطَانِهَا؛ حَتَّى قِيلَ إِنَّ أَجْمَلَ أَبْيَاتِ قَالَتِهَا الْعَرَبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ هِيَ تِلْكَ الَّتِي جَاءَتْ فِي عَيْنِيَّتِهِ الْمَشْهُورَةِ (حَنَنْتَ إِلَى رَبَّيَا). وَلَيْسَ غَرِيبًا أَنْ يَجْعَلَهَا أَبُو تَمَّامٍ فَاتِحَةً بَابِ التَّسْيِيبِ مِنْ حِمَاسَتِهِ .

وَقَدْ رَاعَيْتَنِي عَيْنِيَّةُ الصِّمَّةِ حِينَ دَرَسْنَاهَا عَلَى أَسْتَاذِنَا الدُّكْتُورِ مَحْمُودِ السَّمَرَةِ فِي السَّنَةِ التَّمْهِيدِيَّةِ لِلدُّكْتُورَةِ، فَجَنَحْتُ إِلَى مُلَاحَقَةِ أَخْبَارِ الصِّمَّةِ فِي الْمَصَادِرِ، وَطَفِئْتُ أَجْمَعُ مَا تَقَعُ عَيْنَايَ عَلَيْهِ فِي كُتُبِ التَّرَاجِمِ، حَتَّى تَوَقَّعْتُ عَلَى حَشْدٍ مِنْ أَخْبَارِهِ وَشِعْرِهِ. وَوَقَفْتُ يَوْمَئِذٍ عَلَى تَضَارُبٍ شَدِيدٍ فِي تِلْكَ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ؛ تَضَارُبٍ يَطُولُ نِسْبَةُ شِعْرِهِ إِلَيْهِ وَإِلَى غَيْرِهِ مِنْ شُعْرَاءِ عَصْرِهِ، وَيُظَلِّلُ حَيَاتَهُ بِظِلَالٍ مِنَ الْعُمُوضِ

والتناقض، ولعل هذا التضارب كان حافزاً ملجئاً لكي أتابع ما بدأت، فكثرة الروايات واختلافها الظاهر أمرٌ يستحق التحقيق والتدقيق .

ومما يشار إليه في هذا المقام أن شعر الصمة كان محط اهتمام رواة الشعر القدامى، ومثار عناية التفاد، والجغرافيين، واللغويين، وأهل القصص وأخبار؛ حتى صنع له كل من المفضل وابن حبيب ديواناً، ووضع عيسى ابن ذاب كتاباً تحدث فيه عن أخباره وقصة حبه لابنة عمه (ريّا)، لكن هذه الكتب لم تصلنا فيما وصلنا من ثرائنا الأدبي. ثم وجدت الشيخ حمد الجاسير قد عمل على جمع شعر الصمة ونشره مع طرف من أخباره وأخبار قبيلته في مجلة العرب عام ١٩٦٧، وقد اشتمل ما جمعه على مائتين وواحد وأربعين بيتاً؛ اعتمد في جلها على ما رواه الهجري في (التعليقات والتوارد). كما عمل عبد العزيز الفيصل على نشر هذا الذي جمعه الشيخ الجاسير - مضافاً إليه تسعة وعشرين بيتاً - في كتاب عام ١٩٨١، وجعله ديوان الصمة .

وحين نظرت في ما توفرت عليه من شعر الصمة وجدته يقع في ثلاثمائة وأربعة وثلاثين بيتاً؛ يزياده ثلاثة وتسعين بيتاً عن الذي جمعه الشيخ الجاسير، وأربعة وستين بيتاً عن الذي نشره عبد العزيز الفيصل، وهي زيادة تستحق النظر، وتضيف كثيراً إلى شعر الصمة الذي وُصف بأنه شاعرٌ مُقلٌّ .

وقد عمدت إلى أخبار الصمة، ورواية شعره، وأخبار قبيلته قشير، وديارها، وشعرائها، والتفت إلى الروايات التي وصفته بأنه كان أعور، فحققت هذا كله، وجعلته في القسم الأول، ثم جعلت شعره في القسم الثاني. وإذا كان من واجب الباحث أن يذكر بفضل من سبقه من الباحثين في مجال بحثه؛ فيأني أجذبني ملزماً بالإشادة بصنيع الشيخ حمد الجاسير الذي كان أول من تنبه ونبه إلى شعر الصمة، أما الفيصل فلا أتورع عن ترديد ما قاله الجاسير في شأنه؛ حين وصفه بأنه سطا على ما فعله ثم ادعاه لنفسه ونشره باسمه.

وأشير إلى أنني وثقت شعر الصمة من المصادر التي ذكرت شيئاً منه، وضربت الروايات بعضها ببعض، حتى تخلص لي منه ما أطمئن إليه فأثبتته، وحققت نسبة ما روي له ونسب لغيره من الشعراء؛ ولاحت الأماكن التي يذكرها في شعره فعرفت بها من مصادر البلدانيات، وصححت ما وقع فيه الشيخ الجاسير من أخطاء في تلك الأماكن، ثم عملت على شرح ما يقتضي الشرح من شعر الصمة .

ولا بد لي أن أزجي عظيم الشكر لأستاذنا الدكتور محمود السمرة على تشجيعه الدؤوب، وملاحظاته الثمينة، في ما يتصل بهذه الدراسة، وإذا كنت أهدي عملي هذا إلى أستاذنا وحبينا محمود السمرة؛ فإن هذا جهد المقل، وعذري أن الهدية على قدر مهنديها، وهي أقل من قدره. كما أشكر لأستاذي الدكتور ناصر الدين الأسد توجيهاته القيّمة، والأستاذ الدكتور عفيف عبد الرحمن الذي ما بخل علي بما حوته مكتبته العامرة من مصادر ومراجع، وأتمن لي زميلي: الدكتور وليد العناتي، والدكتورة رزان محمود إبراهيم مراجعة هذا العمل وتدقيقه، شاكرًا كل الشكر لمن واقفني فكرة، وهداني إلى زلة .

وبعد، فهذه دراسة وقفت عند حدود حياة الصمة بن عبد الله القشيري، وأخبار قبيلته، وجمع شعره وتوثيقه وشرحه، وأرجو أن يعينني الله على درس شعر الصمة موضوعاً وفنياً في قابل الأيام؛ إنه نعم المولى ونعم النصير .

خالد عبد الرؤوف الجبر

عمّان ٢٥/١١/٢٠٠٢

القِسْمُ الأوَّل

١. قبيلة قُشَيْر

٢. ديار القُشَيْرِيَّين

٣. شعراء قُشَيْر

٤. الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِيُّ :

• اسْمُهُ وَنَسَبُهُ

• حَيَاتُهُ وَعِشْقُهُ رِيًّا

• وَفَائِدُهُ

٥. هَلْ كَانَ الصَّمَّةُ أَعْوَرَ ؟

٦. ديوان الصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ

١. قَبِيلَةُ قُشَيْرٍ

يَرْجِعُ الْقُشَيْرِيُّونَ فِي أَصُولِهِمْ إِلَى قَبِيلَةِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ، وَهُمْ مِنْ وَلَدِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ، وَهُمْ وَأَبْنَاءُ عُمُومَتِهِمْ مِنْ قَبَائِلٍ: مُعَاوِيَةَ (الْحَرِيشِ)، وَجَعْلَةَ (رَهْطِ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ)، وَعَقِيلٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ، وَحَبِيبٍ، جَمِيعًا وَلَدَ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ.

وَقَدْ فَصَّلَ ابْنُ حَزْمٍ الْقَوْلَ فِي وَلَدِ قُشَيْرِ بْنِ كَعْبٍ وَأَحْفَادِهِ فَقَالَ ^(١): " وَلَدُ قُشَيْرِ ابْنِ كَعْبٍ: رَبِيعَةُ وَمُعَاوِيَةُ وَسَلَمَةُ الْخَيْرِ؛ أُمُّهُمْ الْخَنَسَاءُ بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ تَعْلَبَةَ بْنِ بَجِيلَةَ. وَسَلَمَةُ الشَّرِّ وَالْأَعْوَرُ وَقُرْطٌ وَمُرَّةٌ. وَمِنْهُمْ مَالِكُ ذُو الرُّقِيَّةِ ابْنُ سَلَمَةَ الْخَيْرِ بْنِ قُشَيْرِ الَّذِي أَسَرَ حَاجِبَ بْنَ زُرَّارَةَ يَوْمَ حَبَلَةَ ^(٢). وَيَبْحَرَةُ بْنُ فِرَاسٍ ^(٣) ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ بْنِ قُشَيْرٍ؛ يُقَالُ إِنَّهُ نَخَسَ نَاقَةَ النَّبِيِّ ﷺ - فَلَعَنَهُ. وَهُبَيْرَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ؛ أَسَرَ الْمُتَجَرِّدَةَ امْرَأَةَ التُّعْمَانِ ^(٤)، فَلَمَّا عَرَفَهَا أَطْلَقَهَا. وَابْنُهُ قُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ؛ وَقَدْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ - فَوَلَّاهُ صَدَقَاتِ قَوْمِهِ ^(٥) .

(١) ابن حزم الأندلسي الظاهري، جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢)، ص ٢٨٩-٢٩٠.

(٢) أي حبلَةَ بن الأيهم أحد ملوك الغساسنة، وذكر مثل هذه الوقائع دال على الحروب التي شارك فيها القُشَيْرِيُّونَ قَبْلَ الْإِسْلَامِ.

(٣) ذكره ابن هشام في السيرة النبوية، ص ٢٨٣.

(٤) هي صاحبة التَّصْيِيفِ التي قال فيها نابغة بني دُبَيَّانَ:

سَقَطَ التَّصْيِيفُ وَلَمْ تُرَدْ إِسْقَاطُهُ
(٥) وقال قُرَّةُ بْنُ هُبَيْرَةَ فِي ذَلِكَ شِعْرًا، قَالَ:

حَبَاها رَسُولُ اللَّهِ إِذْ تَرَكْتَ بِهـ
فَأَضْحَتْ بِرَوْضِ الْخَضِرِ وَهِيَ حَتِيفَةٌ
وَأَمَكْنَهَا مِنْ نَائِلِ غَيْرِ مُنْقَذِ
عَلَيْهَا قَتَى لَا يُرْدِفُ الدَّمُ رَحْلَهُ
وَقَدْ أَلْجَحَتْ حَاجَاتُهَا مِنْ مُحَمَّدٍ
تَرُوكَ لِأَمْرِ الْعَاجِزِ الْمُتَرَدِّدِ

أَنْظُرْ (الإصابة في تمييز الصحابة، ٥ ص ٤٣٩).

وَكَانَ لَهُ مِنَ الْوَلَدِ: حَبِيبٌ، وَالطُّفَيْلُ؛ وَمِنْ وَلَدِهِ الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الطُّفَيْلِ بْنِ قُرَّةَ ابْنِ هُبَيْرَةَ الْقُشَيْرِيِّ الشَّاعِرِ ...، وَوَحْشِيُّ بْنُ الطُّفَيْلِ بْنِ قُرَّةَ^(١)، وَزُرَّارَةُ بْنُ عَقْبَةَ ابْنِ سَمِيرٍ ابْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ؛ وَلِي خُرَّاسَانَ وَوَلَدَهُ يَنْسَابُور. وَبَكْرُ بْنُ مُحَمَّدٍ ابْنِ الْعَلَاءِ ابْنِ يَحْيَى ابْنِ زِيَادٍ ابْنِ الْوَلِيدِ ابْنِ الْحَجَّامِ ابْنِ مَالِكِ ابْنِ ضَمْرَةَ ابْنِ عُرْوَةَ ابْنِ شَنْوَةَ ابْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ ابْنِ قُشَيْرٍ؛ الْقَاضِي الْمَالِكِيُّ. وَحَيْدَةُ بْنُ مُعَاوِيَةَ ابْنِ حَيْدَةَ ابْنِ قُشَيْرٍ؛ لَهُ صُحْبَةٌ، وَابْنُ ابْنِهِ بَهْزُ بْنُ حَكِيمٍ ابْنِ مُعَاوِيَةَ ابْنِ حَيْدَةَ؛ رُوِيَ عَنْهُ^(٢).

وَزِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ هُبَيْرَةَ ابْنِ زُفَرٍ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ الْأَعْوَرِ ابْنِ قُشَيْرٍ؛ وَلَدَهُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - خُرَّاسَانَ. وَجَيَّاشُ بْنُ قَيْسٍ ابْنِ الْأَعْوَرِ ابْنِ قُشَيْرٍ؛ شَهِدَ يَوْمَ الْيَوْمُوكِ، فَيُقَالُ: إِنَّهُ قَتَلَ يَدِيهِ أَلْفَ نَصْرَانِيٍّ، وَقُطِعَتْ يَدُهُ يَوْمَئِذٍ.

وَالْفَقِيهُ الْإِمَامُ مُسْلِمُ بْنُ الْحَجَّاجِ النَّيْسَابُورِيُّ^(٣)، وَكُلْثُومُ بْنُ عِيَّاضٍ ابْنِ وَحْشٍ ابْنِ قَيْسٍ ابْنِ الْأَعْوَرِ ابْنِ قُشَيْرٍ، وَابْنُ أَخِيهِ بَلْجُ بْنُ بَشْرِ بْنِ عِيَّاضٍ؛ الَّذِي وَلِيَ الْأَنْدَلُسَ.

وَدَارُ بَنِي قُشَيْرٍ بِالْأَنْدَلُسِ: حَيَّانٌ، وَمِنْهُمْ بِالْبَيْرَةِ عَدَدٌ.

أَمَّا الْهَجَرِيُّ؛ وَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ؛ فَقَدْ أَفَاضَ فِي الْكَلَامِ عَلَى نَسَبِ قُشَيْرٍ، وَبَيَّنَ أَصُولَ الْقَبِيلَةِ وَفُرُوعَهَا بِمَا لَا يَجِدُهُ الْبَاحِثُ عِنْدَ غَيْرِهِ مِمَّنْ تَحَدَّثُوا عَنْ نَسَبِهِمْ. فَقَدْ ذَكَرَ أَنَّ بَنِي قُشَيْرٍ مِنْ هَوَازِنَ، ثُمَّ مِنْ عَامِرٍ ابْنِ صَعْصَعَةَ، وَمَا ذَكَرَهُ هُنَا يَتَّفِقُ وَمَا

(١) هُوَ أَبُو جُبَيْرَةَ ابْنُ وَحْشِيٍّ الَّتِي ذَكَرَتْ الرِّوَايَاتُ أَنَّ الصَّمَّةَ تَزَوَّجَهَا قَبْلَ رَحِيلِهِ عَنْ دِيَارِ قَبِيلَتِهِ إِلَى الشَّامِ فَطَبَّرَ سَنَانًا، وَقَالَ فِيهَا:

كُلِّي التَّمْرَ حَتَّى يُصْرَمَ التَّخْلُ، وَاضْفَرْي خِطَامَكَ، لَا تَذَرِينِ مَا الْيَوْمَ مِنْ أَمْسٍ

انظر قافية السنين من مجموع شعره

(٢) أَيْ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ صُحْبَةٌ بِرَسُولِ اللَّهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَسَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيثَ وَحَفِظَ عَنْهُ، فَكَانَ مِنْ رِوَايَةِ

(٣) هُوَ صَاحِبُ الصَّحِيحِ الْمَعْرُوفِ بِصَحِيحِ مُسْلِمٍ؛ فَهُوَ قُشَيْرِيٌّ نَسَبًا؛ نَيْسَابُورِيٌّ وَلَدَةً، وَهُوَ مِنْ وَلَدِ زُرَّارَةَ ابْنِ

عَقْبَةَ ابْنِ سَمِيرٍ ابْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ الَّذِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ

تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّهُمْ بَنُو قُشَيْرٍ ابْنِ كَعْبٍ ابْنِ رَبِيعَةَ، وَهَؤُلَاءِ هُمْ: سَلَمَةُ الْخَيْرِ؛ وَبَيْتُهُمْ فِيهِ الشَّرَفُ وَالْعَدَدُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ الْخَيْرِ هِيَ بِنْتُ الْوَحِيدِ ابْنِ كِلَابٍ ابْنِ عَامِرٍ ابْنِ صَعْصَعَةَ. أَمَّا سَلَمَةُ الشَّرِّ وَمُعَاوِيَةُ، فَأُمُّهُمَا قَسْرِيَّةٌ، مِنْ قَسْرِ بَجِيلَةَ.

ثُمَّ عَدَّ الْهَجَرِيُّ فِي أَبْنَاءِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ: عَبْدَ اللَّهِ، وَقُرْطًا، وَعَامِرًا، وَمَالِكًا. وَعَدَّ فِي أَفْخَاذِهِمْ: قُرَّةَ ابْنِ عَامِرٍ ابْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ، وَبَنِي مَالِكِ ابْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ؛ وَمِنْ فَصَائِلِ هَؤُلَاءِ: سَعِيرٌ، وَحَزَنٌ، وَعَامٌ، وَمُعَاوِيَةُ، وَالْحُرُّ، وَصَفَرٌ، وَضَمْرَةُ، وَمَعْرَا، وَعَدْرٌ.

وَذَكَرَ مِنْ قِبَائِلِ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ: فِرَاسًا وَقِرَاسًا (قَبِيلَتَيْنِ)؛ وَهُمْ أَهْلُ الْجَبَاحِي (عَرَضٌ فِي جَنُوبِ الْفُلْجِ)، وَأَهْلُ صَدَاءَ (عَرَضٌ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ أَيْضًا)، وَمُرَارَةَ، وَسَوَادَةَ، وَبَجِيرًا، وَهَرِيرًا. وَذَكَرَ مِنْ فَصَائِلِ سَلَمَةَ الْخَيْرِ: الْوَقَادَ، وَسُمَيْرًا، وَزُفَرَ، وَقَيْسًا، وَهَؤُلَاءِ بَنُو سَلَمَةَ يُعْرِفُونَ بِأُمَّهِمْ: أُمُّ دَهْرٍ.

وَعَدَّ مِنْ فَصَائِلِ مُعَاوِيَةَ ابْنِ قُشَيْرٍ: عَيْدَةَ، وَخُرَيْمَةَ، وَمُرَيْحًا، وَسَامَةَ، وَحَيْدَةَ، وَالْحَجَّاجَ، وَعَمْرًا. ثُمَّ قَالَ: "هَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ أَهْلُ الرَّيْبِ، وَهُمْ بَنُو مُعَاوِيَةَ"، وَذَكَرَ أَنَّ عَيْدَةَ هَذَا هُوَ أَحَدُ بَنِي عَطَارِدِ ابْنِ مُعَاوِيَةَ، وَعَدَّ مِنْ شُعْرَائِهِمُ الْمُخْتَارَ ابْنَ وَهَبٍ الْعَيْدِيِّ. وَذَكَرَ الْهَجَرِيُّ مِنْ بَنِي عَمْرِو هَؤُلَاءِ آلَ يَزِيدَ، وَعَدَّ مِنْ بَنِي مُعَاوِيَةَ بَنِي دَيْسِقٍ. أَمَّا فَصَائِلُ الْأَعْوَرِ ابْنِ قُشَيْرٍ، فَعَدَّ مِنْهَا: مُشَنِّجًا، وَبَيْهَسًا، وَعَاصِمًا، وَحُصَيْنًا.

كَمَا عَدَّ مِنْ قِبَائِلِ سَلَمَةَ الشَّرِّ، وَهُمْ لُبَيْنَى: أَوْسًا رَهْطَ الشَّاعِرِ مُرَيْزِقِ الْعَوَانِي، وَمِنْ شُعْرَائِهِمْ: مُنْقِدٌ ابْنُ عُكَيْمٍ صَاحِبَ عَوْجَاءَ، وَقَيْسًا، وَحَبِيبًا. أَمَّا بَنُو صُهَيْبٍ، وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الْأَفْلَاحِ، فَقَدْ ذَكَرَ الْهَجَرِيُّ أَنَّهُمْ لَيْسُوا مِنْ قُشَيْرٍ صَلِيَّةً، بَلْ هُمْ مِنْهُمْ بِالْوَلَاءِ حَسَبُ^(١).

(١) أَبُو زَكَرِيَّا عَلِيُّ بْنُ هَارُونَ الْهَجَرِيُّ، التَّعْلِيقَاتُ وَالتَّوَادِرُ، تَحْقِيقُ الشَّيْخِ حَمْدِ الْجَاسِرِ، ص ٥٦. وَأَشِيرُ فِي هَذَا الْمُخْتَصَرِ إِلَى أَنِّي أَقْدْتُ كَثِيرًا بِمَا عَرَضَهُ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ فِي نَسَبِ قُشَيْرٍ ((العرب - مجلة شهرية حامية، (المملكة

العربية السعودية، رجب ١٣٨٧هـ)، ١ ص ص ١٢٧-١٢٨))

وَتَبَعِي الإِشَارَةُ فِي هَذَا الْمَقَامِ إِلَى أَنَّ نَاشِرَ شِيعَرِ الصَّمَّةِ (ديوانه!) عبد العزيز الفيصل، قد رَجَعَ فِي تَحْقِيقِ نَسَبِ قُشَيْرٍ إِلَى السُّوَيْدِيِّ، وَهُوَ مِنَ التَّسَابِيَةِ الْمُتَأَخَّرِينَ^(١)، وَقَابِلَ بَيْنَ مَا ذَكَرَهُ السُّوَيْدِيُّ وَمَا أوردَهُ أَبُو الْفَرَجِ الْأصْفَهَانِيُّ فِي أَغَانِيهِ مِنْ نَسَبِ الْقُشَيْرِيِّينَ، وَرَأَى الْفَيْصَلُ أَنَّ مَا أَثْبَتَهُ السُّوَيْدِيُّ يُخَالِفُ مَا أَثْبَتَهُ الْأَصْفَهَانِيُّ^(٢). يَبْدُو أَنَّ التَّدْقِيقَ فِي مَا أَثْبَتَ الرَّجُلَانِ يَقُولُ خِلَافَ ذَلِكَ، وَهُمَا لَا يَخْرُجَانِ الْبَتَّةَ عَمَّا أَثْبَتَهُ كُلُّ مَنِ الْهَجَرِيِّ وَابْنِ حَزْمٍ فِي مَا تَقَدَّمَ^(٣)، كَمَا أَنَّهُ لَا يُخَالِفُ الَّذِي قَالَهُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي نَسَبِ قُشَيْرٍ^(٤).

وَيَبْدُو أَنَّ هِجْرَةَ بَعْضِ الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ مِنَ الْجَزِيرَةِ، وَانْتِقَالَ أَقْسَامٍ مِنْهَا لِلْإِقَامَةِ فِي يِلَادِ الْفُتُوحِ، قَدْ أَثَرَا فِي حَرَكَةِ التَّأْلِيفِ فِي أَنْسَابِ تِلْكَ الْقَبَائِلِ؛ حَيْثُ أَصْبَحَ مِنَ الْعَسِيرِ مُلَاخَقَتُهَا فِي يِلَادِ شَتَّى، وَهَذَا هُوَ السَّبَبُ الرَّئِيسُ فِي ضَعْفِ قُدْرَتِنَا عَلَى سَلْسَلَةِ عَشَائِرِ قَبِيلَةِ قُشَيْرٍ إِلَى يَوْمِنَا هَذَا. وَقَدْ وَجَدَ الْبَاحِثُ أَنَّ مَصَادِرَ الْأَنْسَابِ الْأُخْرَى - غَيْرَ الْهَجَرِيِّ وَابْنِ حَزْمٍ - تَكَادُ تَعْتَمِدُ تَمَامًا عَلَى أَنْسَابِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ، وَلِهَذَا السَّبَبِ لَا نَجِدُ فِيهَا آيَةً تَفْصِيلَاتٍ عَنْ نَسَبِ قُشَيْرٍ، وَيَكَادُ الْهَجَرِيُّ وَابْنُ حَزْمٍ يَكُونَانِ أَكْثَرُ الْمَصَادِرِ تَفْصِيلًا فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ.

(١) هُوَ مُحَمَّدُ أَمِينُ السُّوَيْدِيِّ، وَلِدَ فِي بَغْدَادَ، وَتَوَفَّى فِي بَرْيُوتَ سَنَةَ ١٢٤٦ هـ

(٢) انظر ديوان الصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ، جَمَعَهُ وَحَقَّقَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْفَيْصَلُ (الرِّيَاضُ: النَّادِي الْأَدَبِي، ١٩٨١)، ص ٩-١٠

(٣) انظر مُحَمَّدُ أَمِينُ السُّوَيْدِيِّ، سَبَائِكُ الذَّهَبِ فِي قِبَائِلِ الْعَرَبِ، ص ٤٥

(٤) انظر مَا أَثْبَتَهُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي نَسَبِ الصَّمَّةِ، الْأَغَانِي، (بَيْرُوت: دَارُ إِحْيَاءِ الثَّرَاثِ الْعَرَبِيِّ، د.ت)، ص ٢٩١، وَهُوَ لَا يَخْتَلِفُ عَمَّا ذَكَرَهُ السُّوَيْدِيُّ إِلَّا فِي إِضَافَةِ اسْمِ (هِلَالٍ) بَعْدَ (عَامِرٍ)؛ أَيْ أَنَّ نَسَبَهُ جَاءَ فِيهِ: "... عَامِرُ ابْنِ هِلَالٍ بْنُ صَعْصَعَةَ"، وَهَذَا بِمَا لَا يُشْكَلُ خِلَافًا جَوْهَرِيًّا بَيْنَهُمَا كَمَا زَعَمَ الْفَيْصَلُ. وَأَوْدُ الإِشَارَةُ هُنَا إِلَى أَنَّ الْفَيْصَلُ فِي مَا يَبْدُو قَدْ تَحَرَّجَ مِنْ أَخْذِ الَّذِي نَشَرَهُ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ بِتَمَامِهِ كَمَا جَاءَ فِي الْعَرَبِ، بِمَا فِيهِ مِنْ شِيعَرٍ مَحْمُوعٍ، فَضْلًا عَنْ نَسَبِ قُشَيْرٍ، وَأَرَادَ أَنْ يُخَالِفَ شَيْئًا مَّا عَنْ الَّذِي فَعَلَهُ الْجَاسِرُ حِينَ عَادَ إِلَى الْهَجَرِيِّ؛ فَعَادَ إِلَى السُّوَيْدِيِّ فِي إِثْبَاتِ نَسَبِ قُشَيْرٍ. وَلَنَا فِي قَادِمِ الصَّفَحَاتِ حَدِيثٌ عَنْ إِغَارَةِ الْفَيْصَلِ عَلَى مَا صَنَعَهُ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ، لَا سِيَّامَا حِينَ تَنَكَّلَ عَلَى شِيعَرِ الصَّمَّةِ وَجَمَعَهُ وَتَوَثَّقَهُ

وَلَعَلَّ إِشَارَةَ ابْنِ حَزْمٍ إِلَى بَعْضِ رَجَالَاتِ قُشَيْرٍ فِي الْعُصُورِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَذِكْرُهُ لِمَنْ سَكَنَ مِنْ فُرْعِ الْقَبِيلَةِ فِي يِلَادِ الْأَنْدَلُسِ، يُعِينَانِ عَلَى تَبْيُنِ مَلَامِحِ جَرَائِكِ هَذِهِ الْقَبِيلَةِ وَانْتِشَارِهَا فِي الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ؛ ذَلِكَ بِأَنَّ الْقَبَائِلَ الْعَرَبِيَّةَ الَّتِي سَكَنَتْ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ هَاجَرَتْ أَقْسَامًا مِنْهَا إِلَى الْعِرَاقِ وَالشَّامِ وَمِصْرَ، وَاسْتَقَرَّتْ جُمُوعُ الْمُهَاجِرِينَ فِي مَوَاطِنَ حَدِيدَةٍ، وَقَدْ هَاجَرَ قِسْمٌ مِنْ قُشَيْرٍ إِلَى الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، وَنَجِدُ " طَرَفًا مِنْ أَخْبَارِهِمْ فِي الْقُرْنِ الْهَجَرِيِّ الْأَوَّلِ فِي حُرُوبِ كَلْبٍ وَقَيْسٍ، وَفِي الْقُرْنِ الْهَجَرِيِّ الرَّابِعِ، فِي أَخْبَارِ حُرُوبِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ الْحَمْدَانِيَّ لِأَطْرَافِ الشَّامِ " ^(١).

وَيُضِيفُ يَاقُوتُ الْحَمَوِيُّ إِلَى التَّعْرِيفِ بِمَصِيرِ قُشَيْرٍ مَعْلُومَةً طَرِيفَةً، وَذَلِكَ فِي أَثْنَاءِ تَعْرِيفِهِ بِقَلْعَةٍ (جَعْبَرٍ)؛ حَيْثُ يَسُوقُ خَيْرًا مَفَادُهُ أَنَّ أَحَدَ الْقُشَيْرِيِّينَ وَاسْمُهُ جَعْبَرُ بْنُ مَالِكٍ، وَهُوَ أَعْمَى، اسْتَوَلَى عَلَى قَلْعَةٍ (دَوْسَر) الْوَاقِعَةِ عَلَى الْفُرَاتِ، ثُمَّ عُرِفَتْ الْقَلْعَةُ بِاسْمِهِ، وَأُطْلِقَ عَلَيْهَا (قَلْعَةُ جَعْبَرٍ)، وَأَنَّ السُّلْطَانَ جَلَالَ الدِّينِ مَلِكُ شَاهِ بْنِ أَرْسَلَانَ قَدْ اسْتَوَلَى عَلَى الْقَلْعَةِ فِي نِهَايَةِ الْقُرْنِ الْهَجَرِيِّ الْخَامِسِ عَامَ (٤٩٩ هـ)، وَنَفَى عَنْهَا بَنِي قُشَيْرٍ^(٢).

وَقَدْ أَشَارَ الشَّيْخُ حَمْدُ الْجَاسِرُ إِلَى أَنَّ بَقِيَّةَ مِنَ الْقُشَيْرِيِّينَ ظَلَّتْ تَسْكُنُ دِيَارَهَا فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَأَنَّ هَؤُلَاءِ اخْتَلَطُوا بِغَيْرِهِمْ مِنْ عَرَبِ الْجَزِيرَةِ، وَذَكَرَ مِنْ أَمْثِلَةِ ذَلِكَ قَبِيلَةَ (عَبِيدَةَ) مِنْ أَفْحَازِ قُشَيْرٍ؛ الَّتِي كَانَتْ تَسْكُنُ يِلَادَ الرَّيْبِ؛ حَيْثُ ظَلَّ هَذَا الْاسْمُ يُطْلَقُ عَلَى قِسْمٍ كَبِيرٍ مِنْ سُكَّانِ الرَّيْبِ - الْمَعْرُوفِ الْآنَ بِاسْمِ الرَّيْنِ تَحْرِيفًا - إِلَّا أَنَّ هَذَا الْقِسْمَ "أَصْبَحَ مَعْدُودًا فِي قَحْطَانَ؛ ذَلِكَ أَنَّ قَبِيلَةَ قَحْطَانَ اكْتَسَحَتْ يِلَادَ نَجْدٍ قَادِمَةً مِنَ الْيَمَنِ، وَمِنْ أَطْرَافِ أَوْدِيَّتِهِ الْجَنُوبِيَّةِ الَّتِي تَفِيضُ فِي نَجْدٍ، وَلِهَذَا انْضَوَى كَثِيرٌ مِنَ الْقَبَائِلِ الْعَدْنَانِيَّةِ الضَّعِيفَةِ الْقَلِيلَةِ الْعَدَدِ تَحْتَ سَيِّطَرَةِ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ الْقَوِيَّةِ"^(٣).

(١) انظر الْعَرَبِ، ص ١٢٨

(٢) مُفْهَمُ الْبُلْدَانِ، (قَلْعَةُ جَعْبَرِ)

(٣) الْعَرَبِ، ص ١٢٩

وَيَبْدُو أَنَّ بَنِي كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ قَدْ عَانُوا مَا عَانَتْهُ سَائِرُ قَبَائِلِ الْعَرَبِ؛ مِنْ
وَيَلَاتِ الْحُرُوبِ وَالْفِتَنِ الدَّاحِلِيَّةِ جَرَاءِ التَّنَارُحِ عَلَى بَعْضِ الْمَوَاقِعِ. وَقَدْ فَتَتْ تِلْكَ
النَّزَاعَاتُ فِي عَضُدِ الْقَبِيلَةِ، وَقَوَّتِ الْخِلَافَاتُ بَيْنَ فُرُوعِهَا حَتَّى اخْتَلَطَتْ تِلْكَ الْفُرُوعُ
بِغَيْرِهَا، وَتَمَازَجَتْ أَقْسَامُ مِنْهَا مَعَ قَبَائِلِ أُخْرَى زَاخَمَتْهَا فِي بِلَادِهَا، وَفِي آخِرِ الْأَمْرِ
طَغَتْ عَلَيْهَا، وَتَمَلَّكَتْ حِمَاها الْخَصِيبَ.

وَكَانَتْ أَعْتَفُ الْمَوَاجِاتِ الَّتِي طَغَتْ عَلَى الْقُشَيْرِيِّينَ تِلْكَ الَّتِي قَذَفَ بِهَا جَنُوبُ
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ حِينَ أَخْلَدَ الْقُشَيْرِيُّونَ إِلَى الْأَرْضِ، وَرَكَنُوا إِلَى الدَّعَةِ وَالتَّحْضُرِ لِمَا فِي
أَرْضِهِمْ مِنْ خُصُوبَةٍ وَمَاءٍ؛ فَضْلاً عَنْ ضَعْفِ الْقَبِيلَةِ بِسَبَبِ انْتِقَالِ قِسْمٍ كَبِيرٍ مِنْ عُقَيْلٍ
وَجَعْدَةَ وَقُشَيْرٍ وَبَلْعَجَلَانَ - أَبْنَاءِ عُمُومَتِهِمْ - مِنْ قَبَائِلِ كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ إِلَى خَارِجِ
جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، فَضَعُفَ مَا تَبَقَّى مِنْهَا، وَهَانَ أَمْرُهُ عَلَى قَبَائِلِ أُخْرَى، فَتَحَالَفَ مَعَ قَبَائِلِ
تَنْتَحِي إِلَى الْجَنْدِ الْقَحْطَانِيِّ: كَالدَّوَسِيرِ وَغَيْرِهِمْ مِنْ الْقَبَائِلِ (١).

وَبِسَبَبِ مِنْ هَذَا، أَضْحَى مِنَ الْمُتَعَدِّرِ الْفَصْلِ بَيْنَ مَا تَبَقَّى مِنْ بَنِي قُشَيْرٍ فِي جَزِيرَةِ
الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ، وَإِنْ كُنَّا مَا نَزَالُ نَجِدُ بَعْضَ الْأَفْخَاذِ مُحْتَفِظَةً بِأَسْمِهَا، وَمُقِيمَةً فِي
بِلَادِهَا، وَإِنْ عُدَّتْ فِي النَّسَبِ مِنْ قَبِيلَةِ الدَّوَسِيرِ؛ وَالدَّوَسِيرُ هِيَ الْقَبِيلَةُ الَّتِي تُسَيِّطِرُ الْآنَ
عَلَى الْقِسْمِ الْجَنُوبِيِّ مِنْ بِلَادِ بَنِي كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ. أَوْ عُدَّ بَعْضُهَا فِي قَبِيلَةِ قَحْطَانَ؛ الَّتِي
حَلَّتْ مِنْذُ قَرْنَيْنِ وَنُصْفِ الْقَرْنِ تَقْرِيبًا فِي غَرْبِ دِيَارِ بَنِي قُشَيْرٍ (٢).

(١) الغرب، ص ١٣٠

(٢) الغرب، ص ١٣٤

٢. دِيَارُ الْقُشَيْرِيِّينَ

تَوَسَّطَتْ دِيَارُ الْقُشَيْرِيِّينَ بِلَادُ بَنِي كَعْبِ بْنِ رَبِيعَةَ، وَجَاوَرَهُمْ مِنْ هَوْلَاءِ أَبْنَاءِ
عُمُومَتِهِمْ: بَنُو عُقَيْلٍ وَبَنُو جَعْدَةَ. وَامْتَدَّتْ دِيَارُهُمْ فِي جَنُوبِ بِلَادِ بَنِي كَعْبٍ وَغَيْرِهَا
عَلَى ضِفافِ أَوْدِيَةِ غَزِيرَةِ الْمِيَاهِ؛ مِثْلَ: بِيْشَةَ، وَرَنْيَةَ، وَعَقِيقِ بَنِي عُقَيْلِ الَّذِي يُعْرَفُ
الْآنَ بِأَسْمِ وَاْدِي الدَّوَسِيرِ.

وَقَدْ خَالَطَ الْقُشَيْرِيُّونَ بَنِي عُقَيْلٍ فِي أَطْرَافِ عَقِيقِهِمْ، كَمَا خَالَطُوا الْجَعْدِيِّينَ فِي
الْأَفْلَاجِ. وَامْتَدَّتْ دِيَارُهُمْ مِنَ الْأَفْلَاجِ إِلَى أَطْرَافِ جَبَلِ الْعَارِضِ شَمَالاً، مَا يَبْنِ
الْأَفْلَاجِ وَوَادِي بَرْكٍ. أَمَّا مِنْ نَاحِيَةِ الْغَرْبِ، فَقَدْ بَلَّغَتْ دِيَارُهُمْ حُدُودَ جَبَلِ الْعَارِضِ
غَرْبِيَّ الْأَوْدِيَةِ الْمُتَنَحِدَةِ مِنْ جِبَالِ الْغَرْضِ.

وَقَدْ انْتَشَرَتْ قُشَيْرٌ فِي وَاْدِي الرَّيْبِ (الرَّيْنِ الْآنَ)، وَفِي السُّهُولِ الْوَاقِعَةِ بَيْنَ
الْعَارِضِ (طُوبَيْي الْآنَ) وَالْغَرْضِ (عَرْضِ شِمَامٍ)؛ فِي الْمَرُوتِ شَمَالاً إِلَى رَمْلَةِ الدَّيْلِ
الْمَعْرُوفَةِ الْآنَ بِأَسْمِ (نُفُودِ الدَّحِي) جَنُوباً. وَجَاوَرَتِ الْقَبِيلَةُ فِي الْمَرُوتِ بَعْضُ بَنِي تَمِيمٍ،
كَمَا جَاوَرَهَا فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ عَجَلَانُ وَعُقَيْلٌ، لَا سِوَا فِي جِبَالِ الْحِصَاةِ.

وَالنَّاطِرُ فِي الرُّبُوعِ الَّتِي حَلَّتْ فِيهَا قُشَيْرٌ يَجِدُهَا مَرَاتِعَ خَصِيبَةً تَشْقُهَا أَنْهَارٌ عِدَّةٌ،
وَمَسَايِلُ أَوْدِيَةِ غَزِيرَةِ الْمِيَاهِ؛ فَضْلاً عَنْ الْمِيَاهِ وَالْأَفْلَاجِ وَالْعِيُونِ الَّتِي تَنْتَشِرُ فِي رُبُوعِ
الْقُشَيْرِيِّينَ، مِمَّا جَعَلَهَا مَرَاحاً أَتَاخَ لِلْقُشَيْرِيِّينَ أَنْ يَقْرُؤُوا، وَأَطْمَعَ الْقَبَائِلَ الْأُخْرَى فِيهَا.
وَلَعَلَّ أَشْهَرَ مِيَاهِ الْقُشَيْرِيِّينَ: حَايِلٌ وَحِلْبَانٌ وَبَرْكٌ وَالرَّيْبُ وَالْفُلْجُ وَالْغَيْلُ.

أما أشهر مواضعهم فهو المروث، ويروي البكري أن بني حِمان من بني سعد من
تميم كانوا يشاركونهم فيه، وأنَّ الحُصَيْن بن مُشَمَّت الحِمانِي وفد على رسول الله -
صلى الله عليه وسلم - في المدينة فبايعه، ودفع إليه صدقات ماله، فأقطعه - عليه السلام -
- مياها في المروث منها: أصنهب، والماعزة، وأهوى، والثماد، والسدير. وفي ذلك
قال قيس بن عاصم الحِمانِي^(١):

إِنَّ بِلَادِي لَمْ تَكُنْ أَمْلَسَا بِهِنَّ خَطَّ الْقَلَمِ الْأَنْقَاسَا
مِنَ النَّبِيِّ حِينَ أَعْطَى النَّاسَا فَلَمْ يَدْعُ لَبْسًا وَلَا التَّيَّاسَا

وقد حدّد الشيخ الجاسر ديار قشِير بحسب التخطيط الجغرافي الحديث، فقال^(٢):
"إنه يُمكننا القول بأن بلادها تقع بين خطي الطول : ٤٥ و ٤٦,٣٠. وبين خطي
العرض : ٢١ و ٢٤، ومعلوم أن هذه المساحة من الأرض لا تختص بهذه القبيلة، بل
يسكنها قبائل تجتمع معها في النسب من بني عامر بن صعصعة، وقبائل أخرى تحل
مواضع قليلة في نواحي هذه البلاد".

وقد وصف صاحب (بلاد العرب) ديار قشِير قديماً؛ فقال^(٣): "... سوق
(الفلج) يبطحاء وادٍ يُسمّى وادي (أكمة)، واسم الوادي (كرز)، والسوق مدينة
عظيمة، ومنازل بني قشِير في ناحية السوق على شاطئ الوادي: نخيل ودور وحيطان،
ويُسمّى منزلهم (الزرنوق). ولبن قشِير أيضاً قرية على فرسخ من الزرنوق يُقال لها
(قرن)؛ فيها نخيل ودور ومزارع، وفي ناحية قرن (سيح إسحاق) الذي اقتتل فيه
جعده وقشِير؛ لأنه كان لقشِير؛ لإسحاق بن فلان، فاشترته جعده، فمعتها قشِير،

(١) انظر مُعْجَم ما استعجم (المروث)

(٢) العرب، ص ١٣٠

(٣) لُغَةُ الْأَصْفَهَانِي، بلاد العرب، تحقيق حمد الجاسر وصالح العلي (الرياض: دار اليمامة، ١٩٨٠)، ص ٣-٥،

فوقعت بينهم فيه حرب. وكانت جعده اشترته بثلاث مائة ألف درهم، وهو نهر
مخرج من قنّة، وهو بَطِيحَة واسعة، وعليه من النخل ما لا يُدرى^(١) مبلّغه.

(والقاع) أيضاً قرية لبني قشِير حذاء قرن، (والشطبتان) واديان فيهما نخيل؛
وهما للحريش وقشِير...، (وأكمة) قرية بها سوق ومبئر لجعده؛ إلا قليلاً من أعلاها
لبني قشِير، (وكرز) ساقيتها، وأكمة بين جبال.

(والغيل) في أعلاه لبني قشِير أموال كثيرة، وفي (العارض) ثنايا منها: ثنية الهدار،
وثنية أكمة، وثنية نساح، وثنية الأحيسي، وبهذه الثنايا مياه لقشِير.

ومياهمم بالديبل شباك كثيرة؛ منها: الجاذبة، والخضر، والصحيبة، والصبيغاء،
والعشيرة، والرايعة، والجناديات - أمواة متقاربة - والسلمية؛ فهذه مياه الديبل،
والديبل رملة بمقابلة العارض. ولهم بين الديبل والعارض ماء يُقال له أوّان، ولهم
المربير والرجلاء والقادفة، ولهم مياه كثيرة لا تُحصى. ولبن قشِير وغيرهم من الجبال
عماتان؛ إحداها للحريش، والأخرى لهم ولهم من بني عبد الله بن كعب. ويذبل
لبني قشِير، والينكير لبني قشِير، والريم وادٍ لبني معاوية بن قشِير، وقساس قريب من
الينكير، وهو جبل طويل، وجبل يُقال له يجاد في ناحية العمق لبني قشِير.

وصيق ماء لبني سلمة بن قشِير، والحاجر لهم أيضاً. ولبن قشِير الثغر - وهي
رملة معترضة دون جراد، وهي شبه الوهدة، يحيط بها كيب، وفيها نخيل ومياه
منها: الحاجر وواسط. وبين الثغر وقرقرى مسيرة ليلتين، وبين قرقرى وحجر^(٢) ليلة.

(١) في الأصل (ما لها يدرى)، وفيه تحريف وتصحيف ظاهران !

(٢) هو الوارد في قول امرئ القيس :

فَلَوْلَا الرِّيحُ أَسْمِعَ مَنْ بِحَجَرٍ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُقْرِغُ بِالذُّكُورِ

وَالَّذِي يَخْرُجُ عَلَى سِيعَاةٍ خُلْطَاءِ كَعْبٍ أَوَّلُ مَا يَنْزِلُهُ بَعْدَ قَرْقَرَى الْحَاجِرِ وَوَاسِطٌ.
وَتِلْكَ التَّقْرِئَةُ مَقْتَرَنَةٌ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ.

وَلَهُمُ الشَّيْكََةُ مِنْ مَعَادِنِ الْيَمَامَةِ بَيْنَ الْحَفِيرَةِ وَالْعُوسَجَةِ، وَلَهُمْ مَاءٌ تُسَمَّى الْأَثَرَةُ
عَذْبَةً؛ عَلَيْهَا بَنُو اللَّبْنِ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ التَّقْرِئَةِ ثَلَاثُ لَيَالٍ. وَلَهُمْ شَعْبَعَبٌ؛ وَهِيَ بِحَايِلِ مَاءٍ
مِنْ وَرَاءِ التَّقْرِئَةِ يَوْمٌ؛ تَهْبِطُ مِنَ التَّقْرِئَةِ حَايِلًا، وَإِذَا جَاوَزَ الْحَاجُّ حَايِلًا وَالْمَرُوتُ مُقِيلِينَ
صَارُوا فِي قُرَى الْيَمَامَةِ؛ قَالَ الرَّاجِزُ:

إِذَا قَطَعْنَا حَايِلًا وَالْمَرُوتَ فَابْعَدَ اللَّهُ السَّوِيْقَ الْمَلْتُوتَ^(١)

وَحَايِلٌ بَيْنَ رَمْلَتَيْنِ: جُرَادٍ وَالْأَطْهَارِ.

هَذَا مَا أوردَهُ لُعْدَةُ الْأَصْفَهَانِي فِي وَصْفِ دِيَارِ قُشَيْرٍ، وَهُوَ كَمَا نَرَى وَصْفٌ يَدُلُّ
عَلَى خِصْبِ تِلْكَ الدِّيَارِ، وَكَثْرَةِ مَا فِيهَا مِنْ مِيَاهٍ. أَمَّا الْهَمْدَانِي فِي (صِفَةِ حَزِيرَةِ
الْعَرَبِ)، فَقَدْ أَفَاضَ فِي وَصْفِ حُصُونِهِمْ وَأَفْلَاجِهِمْ وَأَوْدِيَّتِهِمْ، وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي
حُصُونِهِمْ^(٢): "الْفَلَجُ بَلَدٌ أَرْبَابُهُ جَعْدَةُ وَقُشَيْرٌ وَالْحَرِيشُ بَنُو كَعْبٍ، وَأَمَّا قُشَيْرٌ
فَهِيَ بِالْمَدَارِعِ، وَبِهِ الْحُصُونُ وَالتَّحْلُ وَالزَّرْعُ، وَالسَّيْحُ تَحْتَ التَّحْلِ، وَالْأَبَارُ أَيْضًا.
فَأَوَّلُ حُصُونِ بَنِي قُشَيْرٍ بِالْمَدَارِعِ: حِصْنُ الْعَقِيدَةِ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ، وَأَهْلُهُ جَفْنَةُ الْفَلَجِ
كُرْمَاءٌ وَجُوهٌ، وَحِصْنُ الْفِرَاسِيِّينَ مِنْ بَنِي فِرَاسٍ، وَحِصْنُ بَنِي نَبِيْتٍ مِنْ بَنِي قُرَّةٍ يَصْدَأُ
مِنْ الْمَدَارِعِ. وَحِصْنُ الْعَادِيَةِ بِالصَّافِيَةِ لِبَنِي سَوَادَةَ مِنْ قُشَيْرٍ، وَهُمْ طَوَالِغُ الْأَحْسَابِ.
وَحِصْنُ آلِ شَيْلٍ بِالصَّافِيَةِ أَيْضًا لِبَنِي هُرَيْمٍ، وَحِصْنُ بَنِي التَّجْوَى مِنْ بَنِي هُرَيْمٍ، وَحِصْنُ
أُمِّ الْجَحَافِ بْنِ الْعَنْبَرِ - هُرَيْمِيٌّ - وَحِصْنُ آلِ ضِرَارٍ مِنْ بَنِي هُرَيْمٍ، وَحُصُونُ بَنِي ثَوْرٍ،
وَحِصْنُ بَنِي صُهَيْبٍ بِأَكْمَةٍ، وَحِصْنُ بَنِي قُرْطٍ مِنْ قُشَيْرٍ". ثُمَّ ذَكَرَ حِصْنَ الْأَحَابِشَةِ
مِنْهُمْ، وَالْهَيْصِيَّةَ لِبَنِي صُهَيْبٍ مِنْهُمْ، وَقَالَ إِنَّهَا مَدِينَةٌ حَصِينَةٌ "يَرَكُضُ أَرْبَعَةٌ مِنَ
الْخَيْلِ عَلَى جُدْرِهَا".

وَفِي أَوْدِيَّتِهِمْ قَالَ الْهَمْدَانِي^(١): "الرَّيْبُ وَادٍ رُغَابٌ ضَخْمٌ فِيهِ بَطُونٌ مِنْ قُشَيْرٍ،
مَرِيحٌ بِالْكُدَيْدِ، وَهُوَ أَسْفَلُ وَادِي الرَّيْبِ، وَفِي وَسْطِهِ بَنُو حَيْدَةَ، وَفِي أَعْلَاهُ الْعُبَيْدَاتُ
وَصَرْفٌ مِنْ بَنِي قُرَّةٍ، وَفِي أَعْلَاهُ وَادٍ يُقَالُ لَهُ عِنَانٌ، وَالْعُدَيْبُ تَحْلٌ وَقُرَّةٌ، وَبَيْنَهُ
سَوَادٌ بِأَهْلَةٍ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ الْغَابَةُ؛ فِيهِ تَحْلٌ".

وَقَالَ فِي صِفَةِ حَايِلٍ وَبَعْضِ مِيَاهِهِمْ^(٢): "وَعَنْ يَمِينِ سَوَادٍ بِأَهْلَةٍ بَطْنُ حَايِلٍ،
وَهُوَ بَلَدٌ مِثْلُ يَدِ الْمُصَافِحِ يُرَى فِيهِ الرَّكَّابُ مِنْ مَسَافَةٍ نَصْفِ نَهَارٍ، فِي وَسْطِ رُمَيْلَةٍ
يُقَالُ لَهَا رُمَيْلَةُ الْأَطْهَارِ، وَفِي أَعْلَاهُ سَوَقَتَانِ^(٣)، وَيَحْفُهُ رَمْلُ جُرَادٍ، وَحَدُّهُ بَيْنَ الْمَرُوتِ
وَبَيْنَ جُرَادٍ، وَهُوَ أَسْفَلُ رَمْلِ الشَّعَافِقِ، وَفِيهِ تَحِيلٌ وَتَحْلَةٌ [مَاءَانِ لِبَنِي تَمِيمٍ]، وَفِيهِ
مَاءٌ يُقَالُ لَهُ السَّحَامَةُ، وَبَطْرَفُهُ مَاءٌ يُقَالُ لَهُ الْحَفِيرَةُ حَيْثُ انْصَرَمَ جُرَادٌ. ثُمَّ تَشَأُ رُمْلَةٌ
الْحَوَامِضُ؛ تَلٌّ مُنْقَطِعُ الرَّمْلِ مِيَالًا أَوْ أَكْثَرُ، فَيَرْمِلَةُ الْحَوَامِضِ مَاءٌ هُوَ الْحَامِضَةُ؛ مِلْحٌ
يُسَلِّحُ الْإِبِلَ. ثُمَّ وَاسِطٌ، ثُمَّ الْحَاجِرُ [غَيْرِ حَاجِرِ الْمَحَجَّةِ]، وَفِيهِ مَاءٌ عَذْبٌ، وَبِهِ الْمِلْحُ،
وَمِلْحُ الْحَاجِرِ قَرَارَةٌ بَيْنَ أَكْثَرِ فِي وَسْطِ الْقَرَارَةِ، وَالْقَرَارَةُ سَيْحَةٌ وَمِلْحٌ نَحِيَتْ أَيْبُضُ
وَأَحْمَرُ، وَفِي وَسْطِ ذَلِكَ غَدِيرٌ طَوَالُ قَرَارَةِ الْمِلْحِ؛ يَنْسَلُّ مِنْهُ زَبَدٌ أَيْبُضٌ خَفِيفٌ، وَهُوَ
أَعَذْبُ الْمِلْحِ، فَيُخَفَّفُ فَيَصِيرُ مِلْحًا، وَبَيْنَ أَطْرَافِ هَذِهِ السَّيْحَةِ وَمَسَاقِطِ الْأَكْثَبَةِ تَحْلٌ.

ثُمَّ أَسْفَلُ مِنْ ذَلِكَ فِي حَايِلٍ: سَيْحُ ابْنِ مَرِيمٍ، وَهُوَ سَيْحٌ كَانَ غَزِيرًا ثُمَّ انْقَطَعَ
بِضَعْفِ أَهْلِهِ. وَبَطْنُ مُنِيمٍ وَفِيهِ مِيَاهٌ أَمْلَاحٌ مِنْهَا الْجَدْعَاءُ عِنْدَ مُنَجْدَعِ الرَّمْلِ مُقَابِلَةً
لِقِفِّ الْوَحَى، وَفِي بَطْنِ مُنِيمٍ مِيَاهٌ أَمْلَاحٌ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا: صَوْقَعٌ، وَالضُّبَيْبُ، وَقُنْيَى،
وَالْهَوَّةُ، وَهِيَ مِيَاهٌ مَاجٌ لَا مِلْحَ وَلَا عَذْبَةَ، وَهِيَ مُقَابِلَةُ لِقِفِّ مَاذِقٍ. وَقُفٌّ مَاذِقٍ
مُعْتَرِضٌ بَيْنَ الثَّنَايَا؛ ثَنَايَا الْأَوْدِيَّةِ: حُنَيْظَلَةٌ، وَتَعَامٌ، وَبَرْكٌ، وَبَيْنَ بَطْنِ حَايِلٍ وَالْعَارِضِ؛
وَهُوَ قَفِيفٌ ضَعِيفٌ سَهْبُ الْأَعَالِي."

(١) نفسه، ص ١٤٨

(٢) نفسه، ص ١٤٨

(٣) فِي الْأَصْلِ (سَوَقَتَيْنِ)، وَلَا تَسْتَقِيمُ

(١) السَّوِيْقُ: الدَّقِيقُ، وَالْمَلْتُوتُ: الْمَعْحُونُ، وَهِيَ كَلِمَةٌ مَا تَزَالُ دَائِرَةً فِي اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ إِلَى الْآنَ فِي الْعَجِينَ

(٢) صِفَةُ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، ص ١٥٩

٣. شعراء قشير

دأب بعضُ علماء اللغة ورُواة الشعر، قديماً، على جمع أشعار القبائل العربية في كتب كانت تُسمى كتب القبائل أو دواوينها؛ ومن أمثال ذلك ما صنعه ابن حبيب، والسكراني وغيرهما، والباحث لا يعثر في أسماء تلك الكتب والدواوين على ديوان لقشير.

وبهذا ظل شعر قشير نشاراً في بطون كتب الأدب والتاريخ واللغة والمعاجم وغيرها، "ولعل أوفى مجموعة من ذلك ما دوّنه لنا عالم الجزيرة في القرن الرابع الهجري؛ أبو علي هارون بن زكريا الهجري، فقد جمع لنا هذا العالم طائفة كبيرة نجد جلّها في كتابه (التعليقات والنوادر)، في القطعة الباقية من هذا الكتاب"^(١). وقد اعتمد الهجري في ما أثبتّه من شعر قشير على رُواة من القبيلة نفسها، ومن هؤلاء: أبو الميمون القشيري، وزيد بن فائد بن غالب بن بشير بن عطي من عبدة قشير.

وقد عدّ الهجري من شعراء قشير أحداً وأربعين شاعراً، وأوردَ لهم شعراً، وتوزعت مصادر أخرى؛ كالأغاني، وحماسي أبي تمام والبحراني، وجمهرة النسب

(١) مجلة العرب، ص ١٣٥. طبع مرتين: إحداهما بتحقيق حمد الجاسر، والأخرى بتحقيق حمود عبد الأمير

لابن الكلبي، سائر شعرائهم. ثم تيسر لعبد العزيز الفيصل أن جمع شعر قشير، فأشار إلى سبعة وسبعين شاعراً وشاعرة جمع شعرائهم من المصادر المختلفة^(١).

وقد اشتهر عدد من شعراء قشير بأسماء من أحبوا من النساء؛ وفيهم: الصصة صاحب ريتا، والقشيري صاحب سعدى، ومعروف بن قدامة القشيري صاحب منيعة، ومُنقذ بن عليم صاحب عوجاء، وميمون بن عامر صاحب خيرة، وهؤلاء ممن ذكر لهم الهجري شعراً. ويمكن للمطالع في شعر قشير المجموع أن يقف على سمات عدة طبعته بطابع خاص؛ حتى لكأنما جاء شعر هذه القبيلة متفرداً عن أشعار غيرها بما فيه من رائحة المكان؛ فهم يحنون إلى جملاتهم وديارهم، ويتشوقون إليها، وهم عشاق يُغنون عشقهم، ويسفحون دموعهم حين تهيجهم الذكرى، وغزلون غزلاً رقيقاً في الأعم الأغلب.

وإذا كان عبد العزيز الفيصل قد جمع من شعر قشير ألفاً وثلاثمائة بيت من الشعر، وهو ما جمعه من شعر قشير، وعدّ من شعرائهم ستة وسبعين شاعراً وشاعرة^(٢)؛ فإن المنطق يقضي بأن لهذه القبيلة من الشعر ما يزيد عن هذا الكم الذي جمعه كثير؛ لأن هذا الكم يعطي كل شاعر من هؤلاء الستة والسبعين ما معدله سبعة عشر بيتاً حسب! وإذا كان يزيد بن الطثري ما يزيد عن أربعمائة بيت في ديوانه

(١) مبنا يحدّر ذكره أن الشيخ حمد الجاسر كان قد جمع شعر يزيد بن الطثري في العرب قبل شعر الصصة القشيري، وقد أشار حين جمع شعر الصصة إلى أسماء شعراء قشير عند الهجري، وفي بعض المصادر الأخرى: فقد خمسين من شعرائهم؛ هذا عام ١٩٦٧م، ولم يُشير عبد العزيز الفيصل إلى ذلك. والتأخر في قوله: "لم يسبق لأي شخص كان جمع هذا الشعر"، وقوله: "لم يطبع من شعر بني قشير إلا شعر يزيد بن الطثري وعيسى الصصة بن عبد الله القشيري" يجد أنه ممتحل غير صادق؛ فالشيخ الجاسر كان قد نشر شعر ابن الطثري في العرب، ثم نشر شعر الصصة فيها أيضاً، وبته الدارسين على تعليقات الهجري وما فيها من أشعار قشير، وحدد ما ورد من شعر قشير في مصادر أخرى كالأغاني وجمهرة النسب لابن الكلبي وكتب الحماسة، ولهذه الحكاية

ثمة بعد. (انظر عبد العزيز الفيصل، شعراء قشير، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٧٨م)، ص ٧)

(٢) انظر شعراء قشير في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي، ٢ ص ٧

المجموع^(١)، وجمعنا للصمة ما يزيد عن ثلاثمائة وثلاثين بيتاً؛ فليس من المقبول أن يكون لسائر شعراء القبيلة حتى أواخر عصر بني أمية ما يقرب من ستمائة بيت فقط. وهذا يرجح أن يكون القسم الأكبر من شعر قشير قد ضاع ولم يدون، كما حدث لشعر بقية القبائل العربية؛ سوى شعر هذيل.

٤. الصمة بن عبد الله القشيري

• اسمه ونسبه:

هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرّة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة، وربيعة من هوازن، ثم من قيس عيلان بن مضر، هذا ما ذكره أبو الفرج الأصفهاني عند كلامه على الصمة^(١). أما ابن حزم فقد جعل نسبه هكذا: الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرّة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة^(٢)، وهو يتفق في هذا النسب مع أبي عبيد البكري^(٣).

أما الأمدي في المؤلف والمختلف، فقد جعل نسبه هكذا: الصمة بن عبد الله بن (طفيل) بن (مرة) بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب^(٤)، وهو يختلف مع ما تقدم في أمرين اثنين: أولهما إثباته (طفيل) بدلاً من (الطفيل)، والآخر

(١) هذا ما أورده أبو الفرج في نسبه. انظر الأغاني، إعداد مكتب تحقيق التراث، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، ص ٦، و٢٩١، وتكاد المصادر تجمع على هذا النسب!

(٢) جمهرة أنساب العرب، ص ص ٢٨٩-٢٩٠

(٣) سبط اللآلي في شرح أمالي القاضي، تحقيق عبد العزيز الميمني، ط ٢، (بيروت: دار الحديث، ١٩٨٤)، ١ ص ص ٤٦٢-٤٦١

(٤) الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي، المؤلف والمختلف، تحقيق عبد الستار فراج، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١)، ص ٢١٤، وانظر أبا عبيد الله محمد بن عمران المرزباني، معجم الشعراء، تصحيح وتعليق ف. كرنكو، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)، ص ص ١٤٤-١٤٥. وقد أخذ هذا عنه يحيى شامي، انظر موسوعة شعراء العرب، (بيروت: دار الفكر العربي، د.ت)، ١ ص ٣٥٢، وكذلك عبد عون الروضان، موسوعة شعراء صدر الإسلام والعصر الأموي، (الرياض: دار أسامة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٠)، ص ١٦٩

(١) كان الشيخ حمد الجاسير قد جمع شعر ابن الطثرية ونشره في (مجلة العرب، الجزء الأول، السنة الأولى، رجب سنة ١٣٨٦ هجرية - تشرين أول ١٩٦٦ م، ص ص ٨١٦-٨٥٣، ص ص ١٠٤٦-١٠٥٦)، ثم نشره ناصر ابن سعد الرشيد عام ١٩٨٠ دون أن يشير إلى جهود الشيخ الجاسير، مع أن الفارق بين ما فعله الرشيد والجاسير لا يتجاوز عددًا محدودًا من الأبيات! انظر (ناصر بن سعد الرشيد، شعر يزيد بن الطثرية - دراسة وجمع وتحقيق، ط ١، (الرياض: دار مكة للطباعة والنشر، ١٩٨٠)، المقدمة. ومن الجدير بالذكر أن الرشيد قد نسب عينة الصمة المشهورة ليزيد بن الطثرية تكثرًا من شعره، وحاول كل جهده أن يثبت نسبتها لابن الطثرية، وحال دون مراده أشياء كثيرة؛ لعل أهمها أن حل كتب الأدب نسبتها للصمة (انظر شعر يزيد بن الطثرية، ص

إثباته (مرّة) بدلاً من (قرّة)، وإذا كان أول الأمرين مقبولا يحدف لام التعريف من الطفيل؛ فإن أحرهما ظاهر فيه أنه خطأ من الناسخ أو المحقق، فهو من قبيل التحريف لا غير.

ويجعل ابن الكلبي بدل الطفيل (الحارث)^(١). أما الهجري فقد أورد نسبته مرتين؛ جاء في أولهما أنه ... ابن طفيل بن زيد بن ثور بن سودة بن قرّة بن سلمة الخير بن قشير، وفي الأخرى طفيل بن قرّة بن عبد الله بن سلمة. وعندما فرغ الهجري فصائل بني سلمة قال: هؤلاء في عامر، ثم من عامر في ثبيط، وثبيط رهط الصّمة بن عبد الله. فكان عامراً عند المحري ليس اسم جد، إنما هو اسم يطلق على مجموعة عشائر بني سلمة الخير^(٢).

وقد وقع الزبيدي - أو من نقل عنه - في خطأ حين روى بعض شعر الصّمة بن عبد الله؛ فجعل اسمه في الرواية اسم أبيه، قال^(٣): "حدثني عمي عبيد الله بن محمد؛ قال: أنشدني ابن الكسكري لعبد الله بن الصّمة القشيري، وكان وامقاً لابنة عمه رياً...". ولعل هذا الخطأ إنما أتى به من ارتكبه من جهة كثرة من سمي بالصّمة أولاً، ثم من التباس اسم أبي الصّمة عبد الله، بعبد الله بن الصّمة الحشمي أخي دريد بن الصّمة!

أما أطرف خطأ في نسب الصّمة؛ فالذي وقع فيه صاحب تزيين الأسواق؛ فقد ذكر الأنطاكي في (فصل في أخبار الصّمة وصاحبه رياً) نسبه هكذا^(٤): "هو أبو

(١) نقل هذا عنه صاحب خزانة الأدب، ٣ ص ٦٣

(٢) انظر تفصيل ذلك عند الجاسير في العرب، ص ١٣٨-١٣٩

(٣) أبو عبد الله محمد بن العباس الزبيدي، المراتي، حققه محمد نبيل طريفي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، ١٩٩١)، ص ٣٠٦-٣٠٧، وانظر للزبيدي، كتاب الأمالي، ط ١، (الهند - حيدر آباد الدكن: مطبعة جمعية دائرة المعارف، ١٩٤٨)، ص ١٤٨-١٤٩، ونظّمها الكتاب ذاته، لكن بعنوانين مختلفين!

(٤) داود بن عمر الأنطاكي، تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، دراسة وتحقيق وتعليق أيمن عبد الجابر

البحري، (القاهرة: دار البيان العربي، د.ت)، ١ ص ٢٩٩، وانظر ص ٢٣٠

مالك الصّمة بن عبد الله بن مسعود بن رقاش القشيري التّغليبي، من بني ربيعة"، ثم قال: "كان أدبياً شجاعاً عارفاً بآيام العرب ووقائعها ومواضعها، وكثيراً ما يسند إليه ابن دريد والأصمعي. قال ابن الفوار والوزير (?): إنه أدرك أوائل الإسلام". وهذا نسب لم نجد له أصلاً، ولعل الأنطاكي اختلط عليه الأمر فتحدث عن الرقاشي اللعوي المعروف؛ فضلاً عن أن الصّمة القشيري ممن عاش في عصر بني أمية، وهذا الذي يتحدث عنه الأنطاكي قيل إنه أدرك الإسلام، ولعله إنما يتحدث عن أحد الصّمتين الكبيرين الجاهليين. ودليلنا على وهم الأنطاكي قوله في رياً إنها: "بنت مسعود بن رقاش أيضاً"، وهي على ذلك عمته!

• حياته وعشقه رياً:

ليس بين أيدينا ما يمكننا من الحديث عن ميلاد الصّمة، فالمصادر عادة ما تكون ضئيلة يمثل هذه الأخبار؛ لأن التاريخ حتى لعظماء القوم لم يكن سهلاً حتى يصبح الواحد منهم ظاهر الشّان؛ وإذا ذاك يتنبه له أهل الأدب ورواة الأخبار، ولهذا قد يُظفر بتاريخ وفاة الواحد من الشعراء المتقدمين؛ أما تاريخ ميلاده فأمره عسير غاية العسر.

وتشير جل مصادر ترجمته إلى أنه "شاعر إسلامي بدوي مقل من شعراء الدولة الأموية، ولجده قرّة بن هبيرة صحبة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهو أحد وفود العرب الوافدين عليه صلى الله عليه وسلم وآله"^(١).

ولعل الرواية الوحيدة التي ظفّرنا بها هي رواية الأنطاكي في تزيين الأسواق؛ وهي رواية ضعيفة لا شك في كونها صيغت لتكون قصة من قصص العشاق؛ يروها

(١) الأغاني، ٦ ص ٢٩١، ويبدو أن من ترجموا للصّمة اعتمدوا على ترجمة أبي الفرج له

الْقَصَاصُونَ عَلَى النَّاسِ فِي مَجَالِسِهِمْ. وَتَحْنُ إِنَّمَا تَذْكُرُهَا إِنِنَاسًا وَاسْتِنَاسًا؛ قَالَ^(١):
"وَرَيَّا هِيَ بِنْتُ مَسْعُودِ بْنِ رُقَاشٍ أَيْضًا، كَانَتْ ذَاتَ ظَرَفَةٍ وَفِرَاسَةٍ وَمَعْرِفَةٍ وَحُسْنٍ،
نَشَأَتْ مَعَ الصَّمَّةِ صَغِيرَيْنِ، وَكَانَا يَتَذَاكَرَانِ الْأَدَبَ وَمُلَحَّ الْأَشْعَارِ، فَأُعْجِبَ بِهَا،
وَتَمَكَّنَتْ مِنْهُ، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا مِنْهُ مُقْدَارٌ مَا عِنْدَهُ مِنْهَا، فَلَمَّا شَكَ مَا يَجِدُ مِنْهَا إِلَى
بَعْضِ أَصْدِقَائِهِ أَرْشَدَهُ إِلَى تَزَوُّجِهَا، فَحَطَبَهَا إِلَى عَمِّهِ".

وَلَا شَكَّ لَدَيْنَا فِي أَنَّ الصَّمَّةَ قَدْ نَشَأَ فِي قَبِيلَةٍ عُرِفَ فِيهَا الشَّعْرُ بِكَثْرَةٍ^(٢)، وَفِي
دِيَارِ عَمَّتِهَا خَيْرَاتِ الْمَاءِ، وَجَادَتْهَا السَّمَاءُ بِخَيْرَاتٍ عَمِيمَةٍ كَمَا تَقَدَّمَ فِي وَصْفِ دِيَارِ
قُشَيْرٍ^(٣). وَيَبْدُو أَنَّهُ قَالَ الشَّعْرُ يَافِعًا، وَأَنَّهُ أَحَبَّ ابْنَةَ عَمِّهِ (رَيَّا) فِي سِنٍّ مُبَكَّرَةٍ أَيْضًا،
نَسْتَدِلُّ عَلَى ذَلِكَ مِنْ إِجْمَاعِ الرُّوَايَاتِ التَّارِيخِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ تَوَجَّهَ وَحْدَهُ إِلَى عَمِّهِ لِخَطْبَةِ
(رَيَّا)^(٤)، وَهَذَا فِيهِ شَيْءٌ مِنَ الرُّغُوعَةِ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِغَرِ سِنِّهِ وَقَتِّهَا.

(١) تزيين الأسواق، ١ ص ٢٣٠

(٢) تقدم أن جدّه قُرّة بن هُبَيْرَة شاعِرٌ، وَكَانَ أَبُوهُ شَاعِرًا؛ نَسَبَ إِلَيْهِ الْهَجْرِيُّ شَيْعْرًا قَالَهُ حِينَ هَاجَرَ الصَّمَّةَ إِلَى الشَّامِ.

(٣) وَهَم بَعْضُ مَنْ تَرَجَّمْ لَهُ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ؛ فَقَالُوا إِنَّهُ سَكَنَ بَادِيَةَ الْعِرَاقِ، وَإِنَّهُ هَاجَرَ مِنَ الْعِرَاقِ إِلَى الشَّامِ، وَهَذَا لَيْسَ صَحِيحًا؛ فَالصَّمَّةُ وُلِدَتْ فِي دِيَارِ قُشَيْرٍ؛ وَهَذِهِ فِي تَحْلٍ، يَبْدُو أَنَّ هَوْلَاءَ وَهَمُوا لَمَّا نَقَلُوا عَنْ الزُّرْكَانِيِّ الَّذِي قَالَ إِنَّهُ سَكَنَ بَادِيَةَ الْعِرَاقِ، فَهَذَا الْقَوْلُ جَرَى عَلَى طَرِيقَةِ مُؤَرِّخِي الْأَدَبِ الَّذِينَ جَعَلُوا كُلَّ شُعْرَاءَ تَحْلٍ مَعْدُودِينَ فِي أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَخَاصَّةً فِي عَهْدِ بَنِي أُمَيَّةٍ؛ لَوْفُودِ شُعْرَاءَ تَحْلٍ عَلَى الْمُلُوكِ الْعِرَاقِيَّةِ (العرب، ص ١٢٩)، انظر: الْأَغْلَامِ، ٣ ص ٢٠٩، عَزِيزَةُ فَوَالِ بَابِي، مُعْجَمُ الشُّعْرَاءِ الْمُخَضَّرِينَ وَالْأُمَوِيِّينَ، (بيروت: جروس، ٢٠٠٠)،

(٤) انظر في ذَلِكَ الْاِغْنَانِي، ٦ ص ٢٩٥-٢٩٦، سَمَطُ اللَّاتِي، ١ ص ٤٦١-٤٦٢، عَبْدِ الْقَادِرِ بْنِ عُمرِ الْبَغْدَادِيِّ، خِزَانَةُ الْأَدَبِ، تَحْقِيقُ عَبْدِ السَّلَامِ هَارُونِ، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٨)، ٣ ص ٦٢-٦٣، وَلَا يَخْرُجُ عَنْ هَذِهِ الرُّوَايَاتِ سِوَى مَا رَوَاهُ الْبُزِيدِيُّ عَنْ ابْنِ الْكَسْكَرِيِّ، مِنْ أَنَّ أَبَا الصَّمَّةِ هُوَ الَّذِي خَرَجَ يَخْطُبُهَا عَلَيْهِ، وَفِي الرُّوَايَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الصَّمَّةَ كَانَ قَدْ طَلَبَ (رَيَّا) مِنْ عَمِّهِ أَوَّلًا، بِدَلِيلِ أَنَّ أَبَاهُ سَاقَ مَهْرَهَا مَعَهُ نَاقِصًا نَاقَةً وَاحِدَةً، وَكَانَ الْمَهْرُ مَائَةً نَاقَةً (انظر مراثي البزيدي، ص ٣٠٦-٣٠٧).

وَتَحْتَلِفُ الْمَصَادِرُ فِي (رَيَّا) هَذِهِ؛ فَصَاحِبُ الْأَغْنَانِي قَالَ^(١): "كَانَ مِنْ خَبَرِ الصَّمَّةِ أَنَّهُ هَوِيَ امْرَأَةً مِنْ قَوْمِهِ؛ ثُمَّ مِنْ بَنَاتِ عَمِّهِ دُنْيَةَ يُقَالُ لَهَا: الْعَامِرِيَّةُ بِنْتُ غُطَيْفِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، فَحَطَبَهَا إِلَى أَبِيهَا"، وَبِالنَّظَرِ فِي أَبْنَاءِ قُرَّةَ عِنْدَ ابْنِ حَزْمٍ نَجِدُ لَهُ مِنْهُمْ حَبِيبًا وَالطُّفَيْلَ^(٢)، وَهَذَا يُقَوِّي هَذِهِ الرُّوَايَةَ، وَبِهَذَا يَكُونُ اسْمُهَا (الْعَامِرِيَّةُ) وَ(رَيَّا) لَقَبًا لَهَا، أَوْ يَكُونُ الْعَكْسُ صَحِيحًا؛ أَيَّ أَنَّ اسْمَهَا (رَيَّا)، وَ(الْعَامِرِيَّةُ) لَقَبٌ لَهَا عَلَى النَّسَبَةِ إِلَى قَوْمِهَا بَنِي عَامِرٍ.

لَكِنَّ الْهَجْرِيَّ ذَكَرَ الصَّمَّةَ يَوْصِفُهُ (صَاحِبَ طَيِّبًا)، وَحِينَ كَانَ يُورَدُ لَهُ شَيْعْرًا فِيهِ اسْمُ (رَيَّا) كَانَ يُعْلَقُ فِي الْحَاشِيَةِ (الصَّوَابُ طَيِّبًا)، وَهَذَا يَحْتَمِلُ عَلَى اعْتِقَادِ أَنَّ اسْمَ حَبِيبَتِهِ الْحَقِيقِيِّ إِنَّمَا هُوَ طَيِّبًا، وَأَنَّ رَيَّا مَا هُوَ إِلَّا تَحْرِيفٌ "دَفَعَ إِلَيْهِ شُهْرَةً اسْمُ رَيَّا وَغَرَابَةً اسْمِ طَيِّبًا" كَمَا رَأَى الشَّيْخُ حَمْدُ الْجَاسِرِ^(٣). لَكِنَّ لَنَا فِي هَذَا رَأْيَا آخَرَ، نَوْكُذٌ فِيهِ أَنَّ اسْمَهَا إِنَّمَا هُوَ (رَيَّا)، وَأَنَّ (طَيِّبًا) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ لَقَبًا مِنْ أَلْقَابِهَا، أَوْ تَحْرِيفًا لَاسْمِ (رَيَّا)، وَدَلِيلُنَا عَلَى ذَلِكَ نُورَدُهُ فِي الْكَلَامِ عَلَى دِيْوَانِ الصَّمَّةِ وَشَيْعِرِهِ بَعْدَ صَفَحَاتٍ يَسِيرَةٍ!

وَتَتَّفِقُ مَصَادِرُ تَرْجَمَةِ الصَّمَّةِ عَلَى أَنَّهُ أَحَبَّ (رَيَّا)، وَوَجَدَ بِهَا وَجْدًا شَدِيدًا دَفَعَهُ إِلَى مُكَاشَفَةِ عَمِّهِ بِحُبِّهِ لَا بِنْتِهِ، وَطَلَبَهُ الزَّوْاجَ مِنْهَا دُونَ أَنْ يَلْحَاقَ إِلَى أَبِيهِ؛ وَنَظُنُّ أَنَّهُ مَا فَعَلَ هَذَا إِلَّا لِأَحَدِ سَبَبَيْنِ: أَوَّلُهُمَا أَنَّهُ تَوَقَّعَ مِنْ أَبِيهِ أَنْ يَصُدَّهُ وَيَرْفُضَ السَّعْيَ لَهُ لِأَمْرِ بَيْنِهِ وَبَيْنَ ابْنِ عَمِّهِ غُطَيْفِ بْنِ حَبِيبٍ، وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَ يَافِعًا شَدِيدَ الْوَجْدِ بِهَا، فَوَجَدَ نَفْسَهُ يَتَقَدَّمُ مِنْ عَمِّهِ وَيُفَاتِحُهُ فِي أَمْرِهَا.

(١) الأغاني، ٦ ص ٢٩١

(٢) جمهرة أنساب العرب، ص ٢٩٠

(٣) العرب، ص ١٤٠-١٤١

وتُشِيرُ الرِّوَايَاتُ إِلَى أَنَّ وَالِدَ (رَبَّيَا) أَحَابَ الصَّمَّةَ إِلَى طَلَبِهِ^(١)، وَوَافَقَ عَلَى تَزْوِيجِهِ مِنْ (رَبَّيَا) عَلَى مَهْرٍ اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَاتُ فِيهِ؛ فَبَعْضُهَا يَذْكُرُ أَنَّهُ طَلَبَ مَهْرًا قَدَرُهُ مِائَةُ نَاقَةٍ حِسَانٍ، وَبَعْضُهَا جَعَلَ الْمَهْرَ خَمْسِينَ نَاقَةً^(٢). فَعَادَ الصَّمَّةُ إِلَى أَبِيهِ طَالِبًا مِنْهُ الْعَوْنَ فِي دَفْعِ الْمَهْرِ، وَتَخْتَلِفُ الرِّوَايَاتُ مَرَّةً أُخْرَى هُنَا فِي مَوْقِفِ أَبِيهِ؛ إِذْ تُشِيرُ بَعْضُ الرِّوَايَاتِ إِلَى أَنَّ أَبَاهُ أَعْطَاهُ الْمَهْرَ نَاقِصًا نَاقَةً وَاحِدَةً؛ أَيْ تِسْعًا وَتِسْعِينَ نَاقَةً أَوْ تِسْعًا وَأَرْبَعِينَ؛ وَحِينَ نَبَّهَهُ الصَّمَّةُ قَائِلًا: " أَكْمِلْهَا ! فَقَالَ: هُوَ عَمَلُكَ، وَمَا يُنَازِرُكَ فِي نَاقَةٍ. فَجَاءَ إِلَى عَمِّهِ بِهَا، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا أَقْبِلُهَا إِلَّا كُلَّهَا. فَلَجَّ عَمُّهُ وَلَجَّ أَبُوهُ. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ أَلَامَ مِنْكُمْ، وَأَنَا أَلَامٌ مِنْكُمْ إِنْ أَقَمْتُ مَعَكُمْ. فَرَحَلَ إِلَى الشَّامِ"^(٣).

وَبَعْضُهَا يُشِيرُ إِلَى تَمَنُّعِ أَبِيهِ عَلَيْهِ فِي دَفْعِ الْمَهْرِ إِلَى عَمِّهِ، فَتَوَجَّهَ الصَّمَّةُ إِلَى قَوْمِهِ فَأَعْطَوْهُ. قَالَ الْبَكْرِيُّ^(٤): " سَأَلَ أَبَاهُ أَنْ يُعِينَهُ فَأَبَى، وَسَأَلَ عَشِيرَتَهُ فَأَعْطَوْهُ، فَأَتَى عَمَّهُ بِالْإِبِلِ؛ فَقَالَ: لَا أَقْبِلُهَا إِلَّا مِنْ مَالِ أَبِيكَ. وَعَاوَدَ أَبَاهُ فَمَنَعَهُ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْهُمَا قَطَعَ عَقْلَ الْإِبِلِ وَأَرْسَلَهَا، فَعَادَ كُلُّ بَعِيرٍ إِلَى أَلْفِهِ مِنْهَا، وَتَحَمَّلَ الصَّمَّةُ رَاحِلًا". وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تَحْمِلُ مَا يُثِيرُ؛ إِذْ كَيْفَ عَرَفَ عَمُّهُ أَنَّ الْإِبِلَ لِبَيْتِ مَنْ مَالِ أَبِيهِ إِلَّا إِذَا كَانَ أَبُوهُ قَدْ وَسَمَ إِلَيْهِ بِمُيَسَمِيهِ، لَكِنَّ هَذِهِ الرِّوَايَةَ جَاءَتْ عِنْدَ الْأَصْفَهَانِيِّ بِطَرِيقَةٍ أُخْرَى تَزِيلُ الشُّبْهَةَ.

(١) ذَكَرَ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ عَمَّهُ " أَبَى أَنْ يَزَوِّجَهُ بِهَا" (الْأَغَانِي، ٦ ص ٢٩١)، وَلَيْسَ صَحِيحًا مَا ذَكَرَهُ بَعْضُ مَنْ تَرَجَّمَهُ لَهُ مِنَ الْمَعَاصِرِينَ حِينَ جَعَلُوا رَبَّيَا هِيَ الَّتِي رَفَضَتْهُ بِحُجَّةٍ أَنَّهُ لَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُنْهَرِّجَهَا بِخَمْسِينَ بَعِيرًا، فَالْقَائِدُ أَنَّ وَالِدَهَا هُوَ الَّذِي أَحَابَ أَوْ رَفَضَ وَارِدٌ بِكَثْرَةِ الرِّوَايَاتِ، وَأَنَّهُ تَأَلَّصَتْ لَهَا كَانَ ذَلِكَ مِنْ أَبِيهَا وَعَمِّهَا أَبِي الصَّمَّةِ. وَمِنْ هَوْلَاءِ الْأَسَدِ عَفِيفِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، مَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ مِنَ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ حَتَّى نَهَايَةِ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ. (عَمَّان: دَارُ الْمَنَاهِلِ، ٤)، ص ١٣١، عَزِيرَةُ بَابِي، مَعْجَمُ الشُّعْرَاءِ الْمُخَضَّرِينَ وَالْأُمَوِيِّينَ، ٢١٦

(٢) يَذْكُرُ الْأَصْفَهَانِيُّ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّ عَمَّهُ وَافَقَهُ عَلَى طَلَبِهِ، لَكِنَّهُ "اشْتَطَّ عَلَيْهِ فِي الْمَهْرِ" (الْأَغَانِي، ٦ ص ٢٩٥)، وَكَذَلِكَ الْبَكْرِيُّ فِي سِمْتِ اللَّاتِي، ١ ص ٤٦٢، وَابْنُ هِشَامٍ فِي شَرْحِ الشُّعْرَاءِ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ، ٨ ص ٦٢، وَمَنْ جَعَلَهَا مِائَةَ نَاقَةٍ الْيَزِيدِي فِي مِرَاتِيهِ، ص ٣٠٦، تَزْيِينُ الْأَسْوَاكِ، ص ٢٩١، وَمَنْ جَعَلَهَا خَمْسِينَ أَبُو رِيَالٍ فِي خَزَانَةِ الْأَدَبِ، ٣ ص ٦٢

(٣) خَزَانَةُ الْأَدَبِ، ٣ ص ٦٢-٦٣

(٤) سِمْتِ اللَّاتِي، ١ ص ٤٦٢

قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ وَقَدْ نَسَبَ الرِّوَايَةَ إِلَى مُوسَى بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التَّيْمِيِّ^(١): "اْخْطَبَ الصَّمَّةُ الْقُشَيْرِيَّ بِنْتَ عَمِّهِ، وَكَانَ لَهَا مُجِبًّا، فَاشْتَطَّ عَلَيْهِ عَمُّهُ فِي الْمَهْرِ، فَسَأَلَ أَبَاهُ أَنْ يُعَاوَنَهُ، وَكَانَ كَثِيرَ الْمَالِ، فَلَمْ يُعِنِهِ بِشَيْءٍ. فَسَأَلَ عَشِيرَتَهُ فَأَعْطَوْهُ، فَأَتَى بِالْإِبِلِ عَمَّهُ. فَقَالَ: لَا أَقْبِلُ هَذِهِ فِي مَهْرٍ ابْتِنِي، فَسَأَلَ أَبَاكَ أَنْ يُبْدِلَهَا لَكَ. فَسَأَلَ ذَلِكَ أَبَاهُ، فَأَبَى عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِمَا قَطَعَ عَقْلَهَا وَخَلَّاهَا، فَعَادَ كُلُّ بَعِيرٍ مِنْهَا إِلَى أَلْفِهِ". وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تَدُلُّ عَلَى حَقِيقَةِ مَا حَرَى؛ إِذْ يَبْدُو أَنَّ مَالَ أَبِي الصَّمَّةِ عَبْدِ اللَّهِ كَانَ كَثِيرًا مَعْرُوفًا مُمَيَّزًا مِنْ مَالِ غَيْرِهِ، وَأَنَّ مَا أَعْطَاهُ قَوْمُهُ مِنْ إِبِلٍ كَانَ مَهْزُولًا، فَأَرَادَ عَمُّهُ مِنْهُ اسْتِبْدَالَهَا مِنْ مَالِ أَبِيهِ فَأَبَى.

وَالْغَرِيبُ فِي هَذِهِ الرِّوَايَاتِ جَمِيعُهَا هَذَا الْمَوْقِفُ مِنْ أَبِيهِ وَعَمِّهِ، فَكِلَاهُمَا وَقَفَ مِنَ الصَّمَّةِ فِي زَوَاجِهِ مَوْقِفًا يَدُلُّ عَلَى عِلَاقَةٍ مُرِيَّةٍ بَيْنَهُمَا. وَقَدْ لَا يَكُونُ مَيْسُورًا تَبَيُّنُ طَبِيعَةِ هَذِهِ الْعِلَاقَةِ الْوَاحِيَةِ؛ غَيْرَ أَنَّ إِجْمَاعَ الرِّوَايَاتِ تَقْرِيبًا عَلَى أَنَّ الصَّمَّةَ هُوَ الَّذِي طَلَبَ (رَبَّيَا) مِنْ عَمِّهِ، وَأَنَّ أَبَاهُ إِمَّا لَمْ يُعِنَهُ بِالْمَهْرِ، أَوْ أَعْطَاهُ الْمَهْرَ نَاقِصًا دُونَ أَنْ يَذْهَبَ هُوَ بِنَفْسِهِ لِيُطَلِّبَ (رَبَّيَا) لِأَنَّهُ الصَّمَّةُ، وَإِمَّا رَفَضَ أَنْ يُعْطِيَهُ نَوْقًا بِدِيلَةٍ عَنِ الَّتِي أَعْطَاهُ إِيَّاهَا بَنُو عَشِيرَتِهِ، وَأَنَّ أَبَاهُ كَانَ كَثِيرَ الْمَالِ؛ يَدُلُّ هَذَا كُلُّهُ عَلَى أَنَّ أَبَا الصَّمَّةِ كَانَ رَافِضًا زَوَاجَ ابْنِهِ مِنْ (رَبَّيَا). كَمَا أَنَّ إِجْمَاعَ الرِّوَايَاتِ عَلَى تَمَحُّكِ أَبِي (رَبَّيَا) فِي طَلَبِ الْمَهْرِ وَاشْتِطَاطِهِ عَلَى الصَّمَّةِ فِيهِ، أَوْ طَلَبِهِ مِنْهُ أَنْ يَسْتَبْدِلَ نَوْقًا مِنْ إِبِلِ أَبِيهِ بِهَا، أَوْ رَفْضِهِ مَهْرَ (رَبَّيَا) نَاقِصًا نَاقَةً وَاحِدَةً، دَالٌّ عَلَى تَمَحُّكِهِ وَلِجَاجَتِهِ، وَكَأَنَّهُ يَشْتَرِطُ عَلَى الصَّمَّةِ مَا يُعْجِزُهُ.

لَعَلَّنَا نَسْتَنْجُ مِنْ هَذَا أَنَّ غُطِيْفًا وَالدَّ رَبَّيَا كَانَ فَقِيرَ الْحَالِ؛ حَاسِدًا لِابْنِ عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ وَالِدِ الصَّمَّةِ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ يَحْقِرُ غُطِيْفًا لِفَقْرِهِ وَقِلَّةِ ذَاتِ يَدِهِ. وَقَدْ يَدْفَعُنَا إِلَى تَرْجِيحِ هَذِهِ النَّتِيجَةِ مَا تُشِيرُ إِلَيْهِ الرِّوَايَاتُ مِنْ أَمْرِ تَزْوِيجِ رَبَّيَا بِثَرِيٍّ مِنْ أَثَرِيَاءِ الْعَرَبِ؛

(١) الْأَغَانِي، ٦ ص ٢٩٥-٢٩٦

وَرَجُلٍ مِنْ رَجالاتِهَا الْمَعْدُودِينَ حَسْبًا. قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ مُسْنِدًا الرَّوَايَةَ إِلَى ابْنِ دَابٍ^(١):
 "... وَخَطَبَهَا عَامِرُ بْنُ بَشْرِ بْنِ أَبِي بَرَاءٍ بْنِ مَالِكِ بْنِ مُلَاعِبِ الْأَسَيْتَةِ بْنِ جَعْفَرِ بْنِ
 كِلَابٍ، فَرَوَّجَهُ إِيَّاهَا، وَكَانَ عَامِرٌ قَصِيرًا قَبِيحًا، فَقَالَ الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ فِي ذَلِكَ:

فَإِنْ تُنَكِّحُوهَا عَامِرًا لَا طَلَاعَكُمْ إِلَيْهِ يُدْهِدْهُكُمْ بِرَجُلَيْهِ عَامِرٌ

وَيَذْكُرُ صَاحِبُ تَرْزِينِ الْأَسْوَاقِ فِي مَا رَوَاهُ عَنْ صَاحِبِ (قُوتِ الْقُلُوبِ فِي أَخْبَارِ
 الْمُحِبِّ وَالْمُحْبُوبِ)^(٢): "أَنَّهُ قَدِيمٌ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ غَاوِي بْنُ رَشِيدِ بْنِ طَلَابَةِ الْمَدْحِجِيِّ
 عَلَى مَسْعُودٍ، فَخَطَبَ مِنْهُ رَيَّا، وَأَمَّهَرَهَا ثَلَاثِمِائَةَ نَاقَةٍ بِرُعَاتِهَا، فَرَوَّجَهُ بِهَا، فَحَمَلَهَا إِلَى
 مَدْحِجٍ. فَلَبَّغَ ذَلِكَ الصَّمَّةَ فَلَزِمَ الْوَسَادَ، وَطَالَ أَمْرُهُ".

وَالنَّاطِرُ فِي كِلَا الرُّوَايَتَيْنِ، بِاخْتِلَافِ الْأَسْمَاءِ فِيهِمَا، يَجِدُ أَنَّ مِنْ تَزْوُجِ رَيَّا كَانَ
 مُوسِرًا وَاسِعَ الْحَالِ، وَأَنَّ غُطُفًا - أَوْ مَسْعُودًا - أَبَاهَا إِنَّمَا كَانَ يَنْظُرُ إِلَى مَا يُمَكِّنُ أَنْ
 يَكْسِبَهُ مِنْ وَرَاءِ زَوَاجِهَا، وَنَحْنُ نَجِدُ شَيْئًا مِنْ شِعْرِ الصَّمَّةِ يُوَكِّدُ مِثْلَ هَذَا التَّوَجُّهِ^(٣).

(١) نفسه، ٦ ص ٢٩٢، وقد وهم الأستاذ ياسين الأيوبي حين قال في ترجمته للصَّمَّةِ بِشَأْنِ رَيَّا: "رَفَضَ عَنْهُ تَزْوِيجَهُ
 مِنْهَا، وَزَوَّجَهَا لِشَاعِرٍ مَشْهُورٍ هُوَ مُلَاعِبُ الْأَسَيْتَةِ"، وعامِرٌ هذا كما في رواية أبي الفرج من أحفادِ مُلَاعِبِ الْأَسَيْتَةِ!
 انظر (ياسين الأيوبي، مُعْجَمُ الشُّعْرَاءِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨١)، ص ٢٣٦

(٢) تَرْزِينِ الْأَسْوَاقِ، ١ ص ص ٢٣٠-٢٣١

(٣) أَثَبَتَ الْبَغْدَادِيُّ لِلصَّمَّةِ أَيْثَانًا دَلِيلًا قَالَ فِي أَحَدِهَا:

لَمَّا اللَّهُ تَجَدَّدًا كَيْفَ يَتَرَكُ ذَا التَّدَى بَخِيلًا، وَخَرَّ الْقَوْمُ تُخَسُّبُهُ عِنْدًا

وَقَالَ: "نَقَلَ ابْنُ الْمُسْتَوْفِيِّ عَنْ تَعْلِيْقِ أَنَّ الْمُرَادَ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ أَنَّ عَيْشَ تَجَدُّدٍ عَيْشٌ شَدِيدٌ؛ لَا بُدَّ أَنْ يَقُومَ بِالْمَالِ
 فِيهِ وَالْإِصْرَاعُ، وَنَقَلَ عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَيْضًا أَنَّهُ ذَمَّ تَجَدُّدًا لِشَيْئَانِهِ وَقَطِيعِهِ. وَهَذَا إِنَّمَا يَصِحُّ مَعَ قَطْعِ النَّظَرِ عَنْ
 سَبَبِ الشُّعْرِ" (خزانة الأدب، ٨ ص ص ٦٣-٦٤)، وَقَالَ نَقْلًا عَنْ ابْنِ هِشَامٍ وَقَدْ سَأَلَ قِصَّةَ الصَّمَّةِ مُخْتَصَرَةً:
 "وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ: أَنَّ الصَّمَّةَ، أَنَّهُ خَطَبَ ابْنَةَ عَمِّهِ، فَاشْتَطَّ عَلَيْهِ عَمُّهُ فِي الْمَهْرِ، وَبَخَلَ عَلَيْهِ أَبُوهُ بِالْجَمَالِ، فَزَوَّجَتْ
 مِنْ غَيْرِهِ؛ فَغَضِبَ مِنْ عَمِّهِ وَأَبِيهِ، وَخَرَجَ إِلَى طَبْرِسْتَانَ؛ وَهِيَ مَقَرُّ الدَّيْلَمِ، فَأَقَامَ بِهَا مَدَّةَ حَيَاتِهِ إِلَى أَنْ مَاتَ فِيهَا،
 فَلِهَذَا تَارَةً مَا يَجِيءُ إِلَى تَجَدُّدٍ، وَتَارَةً يَذْمُهُ" (خزانة الأدب، ٨ ص ص ٦٢-٦٣)، وَقَالَ فِي مَكَانٍ آخَرَ فِي التَّعْلِيْقِ
 عَلَى الْبَيْتِ ذَاتِهِ بِرَوَايَةٍ (كَيْفَ يَتَرَكُ ذَا الْعَيْتِ فَقِيرًا) بَعْدَ أَنْ أَوْرَدَ تَفْسِيرًا بَعِيدًا عَنْ ابْنِ الْفَيْصَمِ: "... وَكَأَنَّهُ لَمْ
 يَقِفْ عَلَى هَذِهِ الْقَصِيدَةِ، وَلَا عَلَى شَيْءٍ مِنْ خَبَرِهَا" (نفسه، ٨ ص ٦٤)

هَذَا مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ طَلَبِ الصَّمَّةِ الزَّوْاجَ مِنْ (رَيَّا)، وَتَقُولُ الرُّوَايَاتُ إِنَّ رَيَّا حِينَ
 بَلَغَهَا مَا حَدَّثَتْ قَالَتْ: "تَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا بَاعَتْهُ عَشِيرَتُهُ بِأَبْعَرَةٍ"^(١). لَكِنْ رُؤَاةُ أَخْبَارِهِ
 يَخْتَلِفُونَ مَرَّةً أُخْرَى فِي رَحِيلِهِ: هَلْ كَانَ مُبَاشِيرًا فَوْرَ فَشْلِهِ فِي الزَّوْاجِ مِنْ رَيَّا، أَمْ أَنَّهُ أَقَامَ
 مُدَيَّدَةً فِي قَوْمِهِ ثُمَّ تَرَحَّلَ؟

نَقَلْتُ بَعْضُ الرُّوَايَاتِ أَنَّ الصَّمَّةَ تَحَمَّلَ رَاحِلًا عَنْ دِيَارِهِ إِلَى الشَّامِ بَعْدَ الَّذِي
 حَدَّثَتْ، وَأَنَّ (رَيَّا) قَالَتْ قَوْلُهَا تِلْكَ لَمَّا رَأَتْهُ يَتَحَمَّلُ لِلرَّحِيلِ؛ فَمَا كَادَ يَسْمَعُ رَدَّ أَبِيهِ
 وَعَمِّهِ حَتَّى "مَضَى مِنْ وَجْهِهِ حَتَّى لَحِقَ بِالتَّغْرِ"^(٢). وَنَقَلَ بَعْضُهَا أَنَّهُ "رَحَلَ إِلَى الشَّامِ
 فَلَقِيَ الْخَلِيفَةَ، فَكَلَّمَهُ، فَأَعْجَبَ بِهِ، وَفَرَضَ لَهُ، وَالْحَقُّ بِالْفُرْسَانِ"، غَيْرَ أَنَّنَا لَا نَدْرِي
 أَيَّ خَلِيفَةٍ كَانَ فِي دِمَشْقَ^(٣). وَالظَّاهِرُ أَنَّ الصَّمَّةَ أَقَامَ فِي دِيَارِهِ زَمَنًا لَمْ تُحَدِّدْهُ
 الْمَصَادِرُ، ذَلِكَ بِأَنَّ أَهْلَهُ زَوَّجُوهُ مِنْ إِحْدَى فَتَيَاتِ الْعَشِيرَةِ حِينَ تَزَوَّجَتْ رَيَّا، وَرَحَلَ
 بِهَا عَامِرٌ زَوَّجَهَا إِلَى دِيَارِ قَوْمِهِ.

قَالَ الْأَصْفَهَانِيُّ نَقْلًا عَنْ ابْنِ دَابٍ^(٤): "فَلَمَّا بَنَى بِهَا زَوْجُهَا وَجَدَ الصَّمَّةُ بِهَا
 وَجَدًا شَدِيدًا وَحَزَنَ عَلَيْهَا، فَزَوَّجَهُ أَهْلُهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ يُقَالُ لَهَا (جَبْرَةٌ) بِنْتُ وَحْشِيِّ بْنِ

(١) الْأَغَانِي، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦)، ٦ ص ٨

(٢) انظر الْأَغَانِي، دار الثقافة، ٦ ص ص ٨، ٩

(٣) انظر خزانة الأدب، ٣ ص ٦٢ نَقْلًا عَنْ أَبِي رِيَّاسٍ فِي شَرْحِهِ الْحَمَاسَةِ، وَانْظُرْ أَيْضًا جَلَالَ الدِّينِ السَّيُوطِيَّ،
 شَرْحُ شَوَاهِدِ الْمَعْنَى، ص ٢٢٢. وَقَدْ جَانَبَ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْفَيْصَلُ الصَّوَابَ وَالذِّقَّةَ حِينَ نَسَبَ هَذَا الْقَوْلَ إِلَى
 الْمَرْزُوقِيِّ فِي شَرْحِ الْحَمَاسَةِ، وَأَحَالَ عَلَيْهِ فِي (٣ ص ١٢١٥)، وَلَيْسَ الْقَوْلُ وَارِدًا فِيهِ، وَيَسُدُّ أَنَّهُ خَلَطَ فَنَقَلَ
 الْمَعْلُومَةَ مِنَ الْخِزَانَةِ مُشَارًا فِيهَا إِلَى شَرْحِ الْحَمَاسَةِ، وَلَمْ يَنْبِذْهُ إِلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ شَرْحُ الْحَمَاسَةِ لِأَبِي رِيَّاسٍ، وَهُوَ
 كِتَابٌ لَمْ يَصِلْنَا، فَتَسَبَّ الرُّوَايَةُ إِلَى الْمَرْزُوقِيِّ حِينَ لَمْ يَجِدْهَا فِي شَرْحِهِ لِذِيوَانِ الْحَمَاسَةِ !! انْظُرْ دِيوَانَ الصَّمَّةِ
 الْقَشِيرِيِّ، ١٤

(٤) الْأَغَانِي، دَارُ إِحْيَاءِ الثُّرَاثِ، ٦ ص ٢٩٢. وَمِنْ الْجَدِيدِ ذِكْرُهُ أَنَّ الْأَصْفَهَانِيَّ انْفَرَدَ بِهَذِهِ الرُّوَايَةِ، لَكِنْ ذَكَرَهُ
 وَحْشِيُّ ابْنِ الطَّفِيلِ دَلِيلًا عَلَى صِدْقِ رَوَايَتِهِ، فَضْلًا عَنْ رَوَايَتِهِ بَيْتَ الشُّعْرِ الَّذِي قَالَهُ الصَّمَّةُ لِزَوْجَتِهِ جَبْرَةَ!
 وَلَسْنَا نَدْرِي إِذَا كَانَ الصَّمَّةُ قَدْ أَنْجَبَ مِنْ (جَبْرَةَ) أَمْ لَا؛ لَكِنْ قَوْلُهُمْ أَنَّهُ خَلَفَ امْرَأَتَهُ فِي قَوْمِهِ دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ
 يُنْجِبْ مِنْهَا

الطُّفَيْلُ بْنُ قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، فَأَقَامَ عَلَيْهَا مُقَامًا يَسِيرًا، ثُمَّ رَحَلَ إِلَى الشَّامِ غَضِبًا عَلَى قَوْمِهِ، وَخَلَفَ امْرَأَتَهُ فِيهِمْ، وَقَالَ لَهَا:

كُلِّي التَّمْرَ حَتَّى تَهْرَمَ التَّخْلُ وَاضْفُرِي خِطَامَكَ، لَا تَذَرِينَ مَا الْيَوْمَ مِنْ أَمْسٍ

يَذُلُّ عَلَى هَذَا أَيْضًا مَا نَقَلَهُ أَبُو الْفَرَجِ، قَالَ^(١): "أَخْبَرَنِي حَبِيبُ بْنُ نَصْرِ الْمُهَلَّبِيِّ ... عَنْ بَعْضِ بَنِي عُقَيْلٍ، قَالَ: مَرَرْتُ بِالصَّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيِّ يَوْمًا وَهُوَ جَالِسٌ وَحْدَهُ يَبْكِي، وَيُخَاطِبُ نَفْسَهُ وَيَقُولُ: لَا وَاللَّهِ مَا صَدَقْتُكَ فِي مَا قَالْتَ! فَقُلْتُ: مَنْ تَعْنِي وَيَحْكُ؟ أَجِنْتَ؟ قَالَ: أَعْنِي الَّتِي أَقُولُ فِيهَا:

أَمَّا وَجَلَّالَ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي كَذَكْرِكَ، مَا كَفَكُفْتَ لِلْعَيْنِ مَدَمْعَا
فَقَالَتْ: بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى صُمِّ الصَّفَا لَتَصَدَّعَا

أَسْلَى نَفْسِي عَنْهَا، وَأَخْبَرَهَا أَنَّهَا لَوْ ذَكَرْتَنِي كَمَا قَالَتْ لَكَانَتْ فِي مِثْلِ حَالِي".
فهذه الرواية دالة على أنه بقي في ديار قومه زمنًا، ذلك أنَّ بَنِي عُقَيْلٍ مِنْ بَنِي كَعْبٍ بْنِ رَبِيعَةَ، وَهُمْ جِيرَانُ الْقَشِيرِيِّينَ، وَمَا مَرَّ بِهِ هَذَا الْعُقَيْلِيُّ إِلَّا فِي دِيَارِ قَوْمِهِ قَبْلَ رَحِيلِهِ.

وَتَتَابِعُ الرِّوَايَاتُ فِي شَأْنِ هِجْرَةِ الصَّمَّةِ أَنَّهُ هَاجَرَ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ، فِيمَا يُشِيرُ بَعْضُ شِعْرِهِ إِلَى أَنَّهُ سَلَكَ - فِي طَرِيقِ هِجْرَتِهِ مِنْ تَحْدٍ إِلَى مَكَّةَ أَوَّلًا - سَبِيلًا، وَعَدَّدَ فِي إِحْدَى قِصَائِدِهِ الْأَمَاكِينَ الَّتِي مَرَّ بِهَا حَتَّى بَلَغَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ، ثُمَّ سَلَكَ إِحْدَى طَرِيقَيْنِ: إِمَّا إِلَى الشَّامِ مُبَاشَرَةً مُرُورًا بِأَدْرَعَاتٍ فِي الْأَرْدُنِّ، ثُمَّ بُصْرَى الشَّامِ حَتَّى وَصَلَ دِمَشْقَ، وَإِمَّا إِلَى الشَّامِ عَبْرَ الْعِرَاقِ كَمَا حَمَّنَ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ^(٢).

(١) الأغاني، ٦ ص ٢٩٥٤-٢٩٥

(٢) العرب، ص ١٤٧، وانظر في رحيله إلى الشَّامِ سمط اللآلي، ١ ص ٤٦٢، مرثي البزبيدي، ص ٣٠٧، في حين يذكر الأنطاكي أنه بعدما حدث من أبيه وعمه "خرج عنهما إلى العراق"، ولعل هذا يرجع ظنَّ الشَّيْخِ الْجَاسِرِ مِنْ أَنَّ الصَّمَّةَ تَرَحَّلَ إِلَى الشَّامِ عَبْرَ الطَّرِيقِ إِلَى الْعِرَاقِ أَوَّلًا. (تزيين الأسواق، ١ ص ٢٢٩-٢٣١)

وَتُجْمَعُ الرِّوَايَاتُ عَلَى أَنَّ الصَّمَّةَ قَدْ التَّحَقَّقَ بِجَيْشِ الْفُتُوحِ الْمُتَوَجِّهِ إِلَى الشَّرْقِ؛ قَالَ ابْنُ دَابٍ فِي مَا رَوَاهُ أَبُو الْفَرَجِ^(١): "أَخْبَرَنِي جَمَاعَةٌ مِنْ بَنِي قُشَيْرٍ أَنَّ الصَّمَّةَ خَرَجَ فِي غَزَايَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى بَلَدِ الدَّيْلَمِ، فَمَاتَ بِطَبْرِسْتَانَ".

• وفاته:

ذَكَرَ الْأَصْفَهَانِيُّ خَبْرًا يَلْفُهُ الْعُمُوضُ حَوْلَ وَفَاةِ الصَّمَّةِ الْقَشِيرِيِّ، جَاءَ فِيهِ^(٢):
"أَخْبَرَنِي مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ عَنْ وَكَيْعٍ وَعَمِّهِ؛ قَالَا: حَدَّثَنَا هَارُونُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الرِّيَّاتِ؛ قَالَ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْجَعْفَرِيُّ: حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ إِسْحَاقَ الْجَعْفَرِيُّ عَنْ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي ثَابِتٍ؛ قَالَ: حَدَّثَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ طَبْرِسْتَانَ كَبِيرُ السِّنِّ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا يَوْمًا أَمْشِي فِي ضَيْعَةٍ لِي فِيهَا أُلُوَانٌ مِنَ الْفَاكِهَةِ وَالزَّعْفَرَانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَشْجَارِ؛ إِذْ أَنَا بِإِنْسَانٍ فِي الْبُسْتَانِ مَطْرُوحٍ عَلَيْهِ أَهْدَامٌ خُلُقَانٌ، فَذَكَرْتُ مِنْهُ فَإِذَا هُوَ يَتَحَرَّكُ وَلَا يَتَكَلَّمُ، فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ؛ فَإِذَا هُوَ يَقُولُ بِصَوْتٍ خَفِيٍّ:

تَعَزَّ بِصَبْرٍ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى بِشَامَ الْجَمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
كَأَنَّ فُؤَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْجَمَى وَأَهْلَ الْجَمَى، يَهْفُو بِهِ رَيْشُ طَائِرٍ

قَالَ: فَمَا زَالَ يُرَدِّدُ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ حَتَّى فَاضَتْ نَفْسُهُ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ لِي: هَذَا الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيُّ".

فِيمَا رَوَى صَاحِبُ تَزْيِينِ الْأَسْوَاقِ خَبْرًا فِيهِ أَنَّ الصَّمَّةَ كَانَ قَدْ سَأَلَ فِي خَالِي الْأَيَّامِ عَرَفًا بِالْعِرَاقِ عَنْ أَمْرِ زَوَاجِهِ مِنْ رِيَّا، فَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَا يَتَزَوَّجُ بِهَا أَبَدًا، فَضَعُفَ، وَطَالَ بِهِ ضَعْفُهُ، فَدَعَا لَهُ صَاحِبُهُ الْعِرَاقِيُّ (الْعَرَّافُ) "بَطِيبٍ حَاقِقٍ، فَلَمَّا تَأَمَّلَهُ قَالَ:

(١) الأغاني، ٦ ص ٢٩٢، وانظر خزائن الأدب، ٣ ص ٦٣

(٢) الأغاني، ٦ ص ٢٩٣

إِنَّمَا يَشْكُو الْعِشْقَ لَا غَيْرَهُ، وَأَرَى أَنْ يَلْزَمَ النُّزْهَةَ وَالْفَرَحَ بِنَحْوِ الْبَسَاتِينِ؛ لِيَتَشَاغَلَ عَمَّا هُوَ فِيهِ؛ فَأَخْرَجَهُ صَاحِبُهُ مَعَ بَعْضِ الْخُدَمِ إِلَى الثُّغُورِ. فَبَيْنَا هُوَ يَوْمًا عَلَى شَاطِئِ نَهْرٍ، وَقَدْ جَدَّ بِهِ الْكَرْبُ، إِذْ سَمِعَ امْرَأَةً تُنَادِي ابْنَتَهَا: (يَا رِيَا)، فَسَقَطَ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ. فَاحْتَمَلُوهُ إِلَى بُسْتَانٍ هُنَاكَ وَأَضْجَعُوهُ. فَلَمَّا أَفَاقَ أَتَشَدَّ:

تَعَزَّ بِصَبْرِ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى سَنَامُ الْحِمَى إِحْدَى اللَّيَالِي الْغَوَابِرِ
كَأَنَّ لِسَانِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْحِمَى وَأَهْلُ الْحِمَى ، يَهْفُو بِهِ رِيَشُ طَائِرٍ

وَلَمْ يَزَلْ يُرَدِّدُهَا حَتَّى قَضَى، وَلَمَّا وَصَلَ خَبْرُهُ إِلَى رِيَا دَاخَلَهَا مِنَ الْوَجْدِ مَا أَمْسَكَتْ مَعَهُ عَنِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَجَعَلَتْ تُبْكِي حَتَّى مَاتَتْ^(١).

وَلَسْنَا نُرِيدُ التَّقْلِيلَ مِنْ شَأْنِ هَاتَيْنِ الرَّوَائِيَتَيْنِ، لَكِنَّ فِي كِلَاهُمَا مَا يَطْعَنُ فِيهِمَا، وَيُقَلِّلُ مِنْ صِدْقِيَّتِهِمَا؛ فَفِي أَوَّلَاهُمَا نَرَى الرَّجُلَ الطَّبْرَانِيَّ يَعْرِفُ الْعَرَبِيَّةَ، وَيَحْفَظُ شِعْرًا قَالَهُ الصَّمَّةُ قَبْلَ زَمَنِ طَوِيلٍ، وَلَمَّا تَكُنْ طَبْرِسْتَانَ قَدْ فُتِحَتْ بَعْدُ. وَفِي الْأُخْرَى يَبْدُو نَسِيجُ الْقِصَّةِ الشَّعْبِيَّةِ؛ وَالظَّاهِرُ أَنَّ نَسَاجَهَا قَدْ وَجَدَ نَقْصًا وَتَغَرَّاتٍ زَمْنِيَّةً وَتَارِيخِيَّةً فِي الرِّوَايَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ عَنْ حَيَاةِ الصَّمَّةِ، فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ أَتَمَّ هَذِهِ الْفَجَوَاتِ الزَّمْنِيَّةَ، وَوَصُولُ الْخَبَرِ إِلَى رِيَا بَعْدَ وِفَاةِ الصَّمَّةِ (وهو بطبرستان)، وَاتِّحَابُهَا وَمَوْتُهَا حُزْنًا وَكَمَدًا، يُشْعِرَانِ بِهَذَا النَّسِيجِ الْعَاطِفِيِّ الشَّدِيدِ فِي الْقِصَّةِ الْمُنَسُوجَةِ !

وَإِذَا كَانَ الزَّرَكَلِيُّ قَدْ حَدَّدَ وِفَاةَ الصَّمَّةِ بِنَحْوِ عَامِ خَمْسَةِ وَتِسْعِينَ هِجْرِيَّةً (٧١٤م)^(٢)، فَإِنَّا نَظُنُّهُ مَالَ إِلَى تَحْدِيدِهِ بِالنَّظَرِ إِلَى تَارِيخِ حُرُوبِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ الدَّلِيلِ، وَفَتْحِ طَبْرِسْتَانَ، فَقَدَّرَ سَنَةَ وَفَاتِهِ تَقْدِيرًا لَا أَكْثَرَ. فَالْمَصَادِرُ التَّارِيخِيَّةُ لَا تَذْكُرُ شَيْئًا عَنْ وِفَاةِ الصَّمَّةِ سِوَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ وَفَاتِهِ بِطَبْرِسْتَانَ، وَلَعَلَّنَا نُرَجِّحُ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْأُسْتَاذُ

عَفِيفُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ حِينَ جَعَلَ وِفَاةَ الصَّمَّةِ وَاقِعَةً مَا بَيْنَ ٩٠ - ١٠٠ هِجْرِيَّةً^(١)، وَهُوَ يَسْتَنِدُ فِي ذَلِكَ إِلَى أَنَّ تَارِيخَ حُرُوبِ الْمُسْلِمِينَ فِي بِلَادِ الدَّلِيلِ وَفَتْحِ طَبْرِسْتَانَ إِنَّمَا يَشْمَلُ هَذِهِ الْمُدَّةَ مِنَ الزَّمَنِ، وَيَبْدُو أَنَّ تَرْجِيحَ الزَّرَكَلِيِّ سَنَةَ ٩٥ إِنَّمَا كَانَ عَلَى اخْتِيَارِ الْوَسْطِ بَيْنَهُمَا .

(١) تزيين الأسواق، ١ ص ٢٣٠-٢٣١

(٢) الأعلام، ٣ ص ٢٠٩

(١) معجم الشعراء، ص ١٣١

٥. هل كانت الصِّمَّةُ أَعْوَرَ؟

لَمْ أَجِدْ ذِكْرًا لِعَوَرِ الصِّمَّةِ فِي مَا كَتَبَ الْجَاهِظُ عَنْ ذَوِي الْعَاهَاتِ مِنَ الْعَرَبِ؛ فِي كِتَابِهِ (الرِّصَانُ وَالْعُرْجَانُ وَالْعُمَيَّانُ وَالْحَوْلَانُ)، وَلَا فِي مَا كَتَبَهُ الصَّفْدِيُّ فِي كِتَابِهِ (الشُّعُورُ بِالْعَوَرِ). وَلَا شَكٌّ عِنْدَنَا فِي أَنَّ الصِّمَّةَ كَانَ ذَائِعَ الصِّتِ فِي شُعْرَاءِ الْعَرَبِ؛ وَمَا عَدَمُ ذِكْرِهِ فِي هَؤُلَاءِ الَّذِينَ تَرَجَّم لَهُمُ الْجَاهِظُ، أَوْ تَكَلَّمَ عَلَيْهِمُ الصَّفْدِيُّ، إِلَّا تَرْجِيحٌ لِكَوْنِهِ صَحِيحَ الْعَيْنَيْنِ غَيْرَ أَعْوَرَ!

غَيْرَ أَنَّ شَارِحِي قَوْلِهِ فِي عَيْنَيْهِ :

بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى، فَلَمَّا زَجَرْتُهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْحِلْمِ أَسْبَلْنَا مَعَا

أشاروا إلى أَنَّهُ كَانَ أَعْوَرَ مُصَابًا بِعَيْنِهِ الْيُسْرَى. قَالَ الْمَرْزُوقِيُّ فِي شَرْحِ الْحَمَاسَةِ^(١): "إِنَّمَا قَالَ (بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى) لِأَنَّهُ كَانَ أَعْوَرَ مُتَمَعًا بِعَيْنِهِ الْيُسْرَى، وَالْعَوْرَاءُ لَا تَدْمَعُ. فَيَقُولُ: بَكَتْ عَيْنِي الصَّحِيحَةُ فَاجْتَهَدْتُ فِي زَجَرِهَا عَنْ تَعَاطِي الْجَهْلِ بَعْدَ أَنْ كُنْتُ تَحَلَّمْتُ، وَتَرَكْتُ الصَّبَا، فَلَمَّا تَكَلَّفْتُ ذَاكَ لَهَا أَقْبَلْتُ الْعَوْرَاءُ تَدْمَعُ مَعَهَا وَتَبْكِي. وَنَبَّهَ بِهَذَا عَلَى عِصْيَانِ النَّفْسِ وَالْقَلْبِ، وَقِلَّةِ ائْتِمَارِهِمَا لَهُ، وَأَنَّهُمَا إِذَا زَجَرَا وَرَدَّا عَنْ مَوَارِدِهِمَا، زَادَا عَلَى الْمُتَنَكَّرِ مِنْهُمَا".

وَالنَّاظِرُ فِي قَوْلِ الْمَرْزُوقِيِّ الْمُشَارَإِلِيهِ بِخَطِّ تَحْتِهِ، وَفِي قَوْلِ الصِّمَّةِ فِي الْبَيْتِ الَّذِي

يَسْبِقُ هَذَا الْبَيْتَ :

وَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعٍ عَلَيْكَ وَلَكِنْ خَلَّ عَيْنُكَ تَدْمَعًا

يَعْرِفُ أَنَّ تَعْلِيلَ الْمَرْزُوقِيِّ هَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا حَاوَلَ تَفْسِيرَ الْبَيْتِ (بَكَتْ عَيْنِي الْيُمْنَى ...)، فَهُوَ يُقَرُّ بِأَنَّ الْعَيْنَ الْأُخْرَى (الْعَوْرَاءُ) قَدْ دَمَعَتْ وَبَكَتْ بَعْدَ تَهْيِيهِ الصَّحِيحَةَ وَزَجَرِهَا عَنْ الْبُكَاءِ، وَكَانَ قَدْ قَدَّمَ قَبْلُ أَنَّ الْعَوْرَاءَ لَا تَدْمَعُ أَصْلًا!

هَذَا فَضْلًا عَنْ أَنَّ رَوَاةَ الْقَصِيدَةِ اخْتَلَفُوا فِي رَوَايَةِ هَذَا الْبَيْتِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ رَوَاهُ بِرَوَايَةِ الْمَرْزُوقِيِّ؛ أَيَّ عَلَى جِهَةٍ كَوْنِ عَيْنِهِ الْيُسْرَى هِيَ الْعَوْرَاءُ، وَمِنْهُمْ مَنْ رَوَاهُ هَكَذَا: (بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى)، وَبِهَذِهِ الرِّوَايَةِ تَكُونُ عَيْنُهُ الْيُمْنَى هِيَ الْعَوْرَاءُ!

نَقَلَ الْيَزِيدِيُّ عَنْ ابْنِ الْكَسْكَرِيِّ بَعْدَ قَوْلِهِ: (بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى) قَوْلَهُ^(١): "كَانَ أَعْوَرَ. قَالَ: وَمِثْلُهُ :

بَكَتْ عَيْنِي لَمْ تَخْنَهَا ضَمَانَةٌ^(٢) وَأُخْرَى بِهَا رَيْبٌ مِنَ الْخَدَثَانِ
عَدَرْتُكَ يَا عَيْنِي الصَّحِيحَةُ بِالْبُكَاءِ فَمَا أَنتَ يَا عَوْرَاءُ وَالْهَمْلَانِ^(٣)

وَمِمَّنْ رَوَى الْبَيْتَ هَذِهِ الرِّوَايَةَ النَّمِرِيُّ فِي مَعَانِي آيَاتِ الْحَمَاسَةِ. قَالَ^(٣): "قَوْلُهُ (بَكَتْ عَيْنِي الْيُسْرَى) دُونَ الْيُمْنَى يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَعْوَرَ"، ثُمَّ ذَكَرَ الْبَيْتَ الْآخَرَ^(٤):

(١) الْمَرْنَانِي، تَحْقِيقُ نَبِيلِ طَرِيفِي، ص ٣٠٨-٣٠٦

(٢) الضَّمَانَةُ: الْعَاهَةُ

(٣) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ النَّمِرِيُّ، كِتَابُ مَعَانِي آيَاتِ الْحَمَاسَةِ، تَحْقِيقُ عَبْدِ اللَّهِ عَبْدِ الرَّحِيمِ عُسَيْلَانَ،

(الْقَاهِرَةُ: مَطْبَعَةُ الْمَدِينِ، ١٩٨٣)، ص ١٦٣. وَانْظُرْ مِثْلَهُ الْعَوْتِيُّ الصُّحَارِيُّ، الْإِبَانَةُ فِي اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، تَحْقِيقُ عَبْدِ

الكَرِيمِ خَلِيفَةَ وَزَمَلَانَهُ، (عُمَان: وَزَارَةُ الثَّقَافَةِ، ١٩٩٩)، ٤ ص ٧٢٧

(٤) مِنَ الْحَدِيثِ ذِكْرُهُ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ لِلصِّمَّةِ، وَقَدْ رَجَّحْنَا نَسَبَهَا إِلَيْهِ فِي الشُّعْرِ، وَقَدْ أَلَيْتَ الْبَيْتَ فِي دِيْوَانِ ابْنِ

الدَّمِيَّةِ، ص ١٧١. وَنَسَبَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْمِصْبِيُّ فِي تَعْلِيقَاتِهِ عَلَى سِمْطِ اللَّالِي (١ ص ٤٦٣) إِلَى الصِّمَّةِ الْقَشِيرِيِّ،

وَاسْتَشْهَدَ بِهِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَعْوَرَ، كَمَا رَجَّحَ الْأَسَازُ رَاتِبُ التَّفَاحِ مُحَقِّقُ دِيْوَانِ ابْنِ الدَّمِيَّةِ هَذِهِ النَّسَبَةَ أَيْضًا!

عَذْرُكَ يَا عَيْنِي الصَّحِيحَةَ بِالْبُكَاءِ فَمَا أَوْلَعَ الْعَوْرَاءَ بِالْهَمْلَانِ

وَتَابَعَ التَّمْرِ شَارِحًا^(١): "كَأَنَّهُ بَكَى بِالصَّحِيحَةِ، ثُمَّ سَاعَدَتْهَا السَّقِيمَةُ. وَبَلَغَ مِنْ حُزْنٍ مُتَمِّمٍ بِنِ نُوَيْرَةَ عَلَى أَخِيهِ مَالِكٍ أَنْ بَكَاهُ يَعْنِيهِ الْعَوْرَاءُ. وَأَمَّا الْبُكَاءُ بِإِحْدَى الْعَيْنَيْنِ فَمُمْتَنِعٌ عَلَى الْإِنْسِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِهِمْ وَبِغَيْرِهِمْ مِنَ الْخَلْقِ ... وَيجوزُ أَنْ تَكُونَ إِحْدَى عَيْنَيْهِ دَمَعَتْ، فَسَمِيَ تِلْكَ الدَّمْعَةُ - وَهِيَ قَطْرَةٌ وَاحِدَةٌ - بُكَاءً، ثُمَّ دَمَعَتْ الْأُخْرَى".

وللباحث في هذه الأبيات رأي آخر قائم على التفريق بين البكاء في الشعر (فنيًا) والبكاء الحقيقي في الواقع. فبكاء مُتَمِّمٍ بِنِ نُوَيْرَةَ عَلَى أَخِيهِ مَالِكٍ يَعْنِيهِ الْعَوْرَاءُ إِنَّمَا كَانَ فِي الشَّعْرِ؛ أَيُ بُكَاءٌ فَنِيًّا لَا وَاقِعِيًّا، وَهُوَ الْبُكَاءُ الَّذِي ذَكَرَهُ مُتَمِّمٌ فِي شِعْرِهِ مُبَالَغَةً مِنْهُ فِي وَصْفِ حُزْنِهِ عَلَى أَخِيهِ. وَالرَّاجِحُ عِنْدِي أَنَّ الصَّمَّةَ لَمْ يُؤَلَّدْ أَعْوَرًا، وَلَمْ يَكُنْ أَعْوَرًا حِينَ قَالَ قَصِيدَتَهُ هَذِهِ عَلَى الْأَقْل، وَقَدْ قَالَهَا بَعْدَ رَحِيلِهِ عَنْ دِيَارِ قَوْمِهِ، وَأَنَّهُ إِنَّمَا قَالَ فِي بَيْتِهِ: (بَكَتْ عَيْنِي ...) الْيَمْنَى أَوِ الْيُسْرَى؛ مُبَالَغَةً مِنْهُ فِي وَصْفِ حُزْنِهِ، وَإِمْعَانًا مِنْهُ فِي حِكَايَةِ مَوْجِدَتِهِ الَّتِي وَجَدَهَا بِرِيًّا بَعْدَ أَنْ فَارَقَ دِيَارَهُ؛ فَضْلًا عَنْ أَنَّ الرُّوَايَاتِ الَّتِي تَحَدَّثَتْ عَنْ عَوْرِهِ لَمْ تَقْطَعْ بِذَلِكَ.

ولعلَّ في قَوْلِهِ قَبْلَ هَذَا الْبَيْتِ :

وَلَمَّا رَأَيْتُ النَّيْرَ قَدْ حَالَ دُونَهُ وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَحْنُنُ نَزْعًا

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي وَجِغْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لَيْتًا وَأَخْدَعَا

وَأَذْكُرُ أَيَّامَ الْجَمَى ثُمَّ أَتَشِي عَلَى كِبْدِي مِنْ خَشْيَةٍ أَنْ تَصْدَعَا

مَا يَدُلُّ عَلَى تِلْكَ الرَّغْبَةِ فِي الْمُبَالَغَةِ؛ وَلَعَلَّ فِيهِ أَيْضًا مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَيْنَ الَّتِي بَكَتْ هِيَ تِلْكَ الْقَرِيبَةُ فِي النَّظَرِ مِنْ جِهَةِ الْجَمَى؛ لِأَنَّهُ تَلَفْتُ، وَتَلَفْتُ لَا يَكُونُ بِالنَّظَرِ

(١) معاني أبيات الحماسة، ص ١٦٤

الْمُبَاشِيرِ بِكِلَا الْعَيْنَيْنِ؛ وَإِنَّمَا بِاسْتِدَارَةِ الْعُنُقِ بِالرَّأْسِ نَحْوَ الْجِهَةِ الْمَقْصُودَةِ، وَالتَّظَرُّ بِطَرَفِ الْعَيْنِ؛ وَكَأَنَّهُ كَانَ يَحْشَى تِلْكَ اللَّحْظَةَ فِي الْوَاقِعِ، فَكَانَ أَنْ تَلَفْتُ تَلَفْتُ بِطَرَفِ عَيْنِهِ؛ لَا اِزْوَارًا أَوْ قَلِيًّا؛ بَلْ خَشْيَةً وَتَرْفُقًا بِالنَّفْسِ .

٥٧٧٨٦٤

وَلَمَّا أَنْ بَكَتْ عَيْنُهُ تِلْكَ الْقَرِيبَةَ مِنْ جِهَةِ الْجَمَى فِي التَّلَفْتُ، وَحَاوَلَ أَنْ يُدَكِّرَ نَفْسَهُ بِمَا حَدَثَ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي اخْتَارَ الْبُعْدَ وَالنَّأْيَ فَكَانَ كَمَا قَالَ الْمَجْنُونُ: (أَتَبْكِي عَلَى لَيْلَى وَأَنْتَ هَجَرْتَهَا ؟)، أَسْبَلَتْ عَيْنَاهُ مَعًا فِي الْبُكَاءِ. وَالَّذِي يَقْرَأُ الْعَيْنِيَّةَ يَجِدُ الصَّمَّةَ يُحَاوِلُ التَّجَلُّدَ مِنْذُ بَدْئِهَا، لَا سِيَّمَا قَوْلُهُ :

وَمَا حَسَنَ أَنْ تَأْتِيَ الْأَمْرَ طَائِعًا وَتَجْزَعُ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا

وهذا لا ينبغي أَنْ يَكُونَ الصَّمَّةُ قَدْ أَصِيبَ فِي إِحْدَى عَيْنَيْهِ بَعْدَ ذَلِكَ فِي بَعْضِ الْمَعَارِكِ أَوْ رِحَالِ الصَّيْدِ، كَمَا لَا يَحُولُ دُونَ الظَّنِّ بِأَنَّ مَرَضًا مَا قَدْ أَلَمَّ بِإِحْدَى عَيْنَيْهِ؛ فَالْمَثَلُ مُدَّةٌ مِنَ الزَّمَنِ فَكَانَتْ كَالْعَوْرَاءِ؛ أَوْ وَصَفَهَا هُوَ بِالْعَوْرَاءِ تَجَوُّزًا.

وَقَدْ يَكُونُ فِي ذِكْرِ بَعْضِ صُورِ الْبُكَاءِ عِنْدَ غَزَلِي الْبَادِيَةِ - مِنْ أَمْثَالِ الصَّمَّةِ - مَا يُعِينُ عَلَى تَبْيِينِ جَوَانِبِ أُخْرَى فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ. قَالَ الْحُسَيْنُ بْنُ مُطِيرٍ الْأَسَدِيِّ^(١):

وَكُنْتُ أَذُودُ الْعَيْنَ أَنْ تَرِدَ الْبُكَاءَ فَقَدْ وَرَدَتْ مَا كُنْتُ عَنْهُ أَذُودُهَا

وَقَالَ أَبُو حَيَّةَ التَّمِيمِيُّ^(٢):

نَظَرْتُ كَأَنِّي مِنْ وَرَاءِ رُجَاةٍ إِلَى الدَّارِ مِنْ فَرْطِ الصَّبَابَةِ أَنْظُرُ

فَعَيْنَايَ طَوْرًا تَغْرِقَانِ مِنَ الْبُكَاءِ فَأَعَشَى ، وَطَوْرًا تَحْسِرَانِ فَأَبْصُرُ

(١) حماسة أبي تمام، ص ٢٦٦

(٢) نفسه، ص ٢٦٩

وقال عمرو بن ضبيعة الرقاشي^(١):

تَضِيقُ جُفُونُ الْعَيْنِ عَنْ عِبْرَاتِهَا
وَعُصَّةَ صَدْرٍ أَظْهَرَتْهَا فَرَفَهَتْ
فَتَسْفَحُهَا بَعْدَ التَّجَلُّدِ وَالصَّبْرِ
حَزَازَةٌ حَرٌّ فِي الْجَوَانِحِ وَالصَّدْرِ

وقال جميل بُيِّنَة^(٢):

وَمِمَّا شَجَانِي أَنَّهَا يَوْمَ أُعْرِضَتْ
فَلَمَّا أَعَادَتْ مِنْ بَعِيدٍ بِنَظَرَةٍ
تَوَلَّتْ وَمَاءُ الْعَيْنِ فِي الْجَفْنِ حَائِرُ
إِلَيَّ الْتِفَاتًا أَسْلَمَتْهُ الْمَحَاجِرُ

٦. ديوان الصِّمَّةِ القُشَيْرِيِّ

ذَكَرَ ابْنُ التَّدِيمِ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ السُّكْرِيَّ قَدْ عَمِلَ شِعْرَ الصِّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ، كَمَا عَمِلَ لَهُ دِيوَانًا الْمُفَضَّلُ بْنُ سَلَمَةَ الضَّبِّيُّ^(١). وقال في فصل (أسماء العشاق الذين عشقوا في الجاهلية والإسلام، وألف في أخبارهم كُتِبَ)^(٢): "هؤلاء الذين نذكرهم ألف في أخبارهم جماعة مثل عيسى بن دأب، والشرقي بن القطامي، وهشام الكلبي، والهيثم بن عدي، وغيرهم"، ثم ذكر في كُتِبَ هؤلاء العشاق "كتاب الصِّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَّيًّا".

وَيُمْكِنُ لَنَا أَنْ نَسْتَتِجَ أَنَّ الَّذِي أَلْفَ هَذَا الْكِتَابِ الْمَذْكُورَ؛ (كِتَابُ الصِّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وَرَّيًّا)، هُوَ عَيْسَى بْنُ دَأَبٍ؛ ذَلِكَ بَأَنَّ مُجْمَلَ الرِّوَايَاتِ الَّتِي يَسُوقُهَا أَبُو الْفَرَجِ فِي أَغَانِيهِ عَنْ أَخْبَارِ الصِّمَّةِ إِنَّمَا يَرُويها عَنْ ابْنِ دَأَبٍ هَذَا.

ويبدو أَنَّ غَيْرَ هَؤُلَاءِ قَدْ صَنَعَ دِيوَانًا لِلصِّمَّةِ أَيْضًا؛ فَمِمَّا يَذْكُرُهُ يَاقُوتُ فِي تَرْجَمَةِ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ، وَهُوَ عَلَى مَا وَصَفَهُ الْمَرْزُبَانِيُّ "مِنْ عُلَمَاءِ بَغْدَادَ بِاللُّغَةِ وَالشُّعْرِ وَالْأَخْبَارِ وَالْأَنْسَابِ النَّقَاتِ"، قَوْلُهُ^(٣): "وَمِنْ صُنْعِهِ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ: كِتَابُ دِيوَانِ

(١) محمد بن أبي يعقوب المعروف بالورّاق، الفهرست، دراسة بيوجرافية بليوجرافية بليوميزية، وتحقيق ونشر

شعبان خليفة ووليد محمد الغورة، (القاهرة: العربي للنشر، ١٩٩١)، ١ ص ٢٩٣

(٢) الفهرست، تحقيق رضا تجدد، (طهران: ١٩٧١)، ص ٣٦٥

(٣) ياقوت الحموي الرومي، مُعْجَمُ الْأَدْبَاءِ (المسمى إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، تحقيق الأستاذ إحسان

عَبَّاس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)، ٦ ص ٢٤٨٣

زُفَرَ بْنِ الْحَارِثِ، كِتَابُ شِعْرِ الشَّمَاخِ، كِتَابُ شِعْرِ الْأَقْيَشِيرِ، كِتَابُ شِعْرِ الصَّمَّةِ، كِتَابُ شِعْرِ لَيْدٍ.

وما ظَهَرَ لَنَا حَتَّى الْآنَ أَنَّ هَذِهِ الْكُتُبَ وَالذَّوَابِينَ الَّتِي ضَمَّتْ شِعْرَ الصَّمَّةِ وَأَخْبَارَهُ لَمْ تَصِلْ إِلَيْنَا، وَأَتَاهَا ضَاعَتْ فِي مَا ضَاعَ مِنْ مَصَادِرِ التَّرَاثِ الْأَدَبِيِّ الْعَرَبِيِّ. غَيْرَ أَنَّ كُتُبَ الْأَدَبِ وَالتَّرَاجِمِ وَالْمُخْتَارَاتِ قَدْ حَفِظَتْ لَنَا شَيْئًا مِنْ شِعْرِ الصَّمَّةِ.

وَقَدْ سَبَقَ لِلشَّيْخِ الْعَلَامَةِ حَمَدِ الْجَاسِرِ أَنْ حَاوَلَ جَمْعَ شِعْرِ الصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ، وَعَمِلَ عَلَى نَشْرِ مَا تَمَكَّنَ مِنْ جَمْعِهِ فِي مَجَلَّةِ الْعَرَبِ الَّتِي كَانَ يُصَدِّرُهَا، فَجَمَعَ مِنْ شِعْرِهِ مَاتْنَيْنِ وَوَاحِدًا وَأَرْبَعِينَ بَيْتًا اعْتَمَدَ فِي أَكْثَرِهَا عَلَى رِوَايَةِ الْهَجَرِيِّ فِي (التَّعْلِيقَاتِ وَالتَّوَادِرِ) الَّذِي حَقَّقَهُ بَعْدُ. كَمَا دَرَسَ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ طَرَفًا مِنْ أَخْبَارِ قَبِيلَةِ قُشَيْرٍ، وَبَيْتَيْهَا وَمَوْطِنَهَا، وَشَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ الصَّمَّةِ، فِي الْبَحْثِ الْمَوْسُومِ (الصَّمَّةُ الْقُشَيْرِيُّ الشَّاعِرُ: طَرَفٌ مِنْ أَخْبَارِ قَبِيلَتِهِ وَشِعْرِهِ)^(١). وَهُوَ بَحْثٌ جَلِيلٌ بَدَّلَ فِيهِ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ جُهْدًا عَظِيمًا، لَا سِيَّمَا فِي تَوْثِيقِ الْمَوَاضِعِ الَّتِي وَرَدَتْ فِي شِعْرِ الصَّمَّةِ، وَفِي كَوْنِ مُحَاوَلَتِهِ هِيَ الْأُولَى لِجَمْعِ شِعْرِ هَذَا الشَّاعِرِ وَنَشْرِهِ عَلَى الْمَلَأِ.

وَالْمُلاحَظَةُ الْمُهِّمَةُ عَلَى مَا فَعَلَهُ الشَّيْخُ هِيَ أَنَّهُ اعْتَمَدَ كَثِيرًا عَلَى أَسْمَاءِ الْمَوَاضِعِ الْوَارِدَةِ فِي شِعْرِ الصَّمَّةِ الَّذِي جَمَعَهُ لِيُثَبِّتَ نَسَبَهُ لِلصَّمَّةِ، أَوْ لِيَنْفِيَ تِلْكَ النَّسَبَةَ مِنْ أَصْلِهَا؛ وَهَذَا الصَّنِيعُ مِنْهُ يَجْعَلُنَا نَظُنُّ أَنَّهُ قَضَى عَلَى الشَّاعِرِ بِأَنْ لَا يَتَرَحَّلَ عَنْ دِيَارِهِ بَيْنَ الْحَيْنِ وَالْآخِرِ طَلَبًا لِلصَّبْدِ أَوْ لِلنَّجْعَةِ، كَمَا أَثْبَتْنَا غَيْرَ مَرَّةٍ أَنَّ الشَّيْخَ الْجَاسِرَ قَدْ جَانَبَ الصَّوَابَ فِي بَعْضِ أَسْمَاءِ الْمَوَاضِعِ حِينَ نَفَسَى نَسَبَةَ الشَّاعِرِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ لِلصَّمَّةِ. وَكُلُّ هَذَا مُثَبَّتٌ فِي مَكَانِهِ مِنْ صَنِيعِنَا هَذَا.

ثُمَّ وَقَفْتُ عَلَى مَا صَنَعَهُ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْفَيْصَلُ فِي كِتَابِهِ (دِيوان الصَّمَّةِ بن عبد الله القُشَيْرِيِّ)^(١)، فَوَجَدْتُهُ لَمْ يَزِدْ عَلَى مَا صَنَعَهُ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ إِلَّا تِسْعَةً وَعِشْرِينَ بَيْتًا مِنَ الشَّعْرِ، وَقَدْ جَاءَ صَنِيعُهُ عَلَى وَجْهِ غَيْرِ سَائِغٍ؛ فَهُوَ لَمْ يَزِدْ عَلَى تَخْرِيجَاتِ الشَّيْخِ الْجَاسِرِ إِلَّا فِي مَوَاقِعَ مَعْدُودَةٍ؛ مِثْلَ تَخْرِيجَاتِهِ لِعَيْنِيَّةِ الصَّمَّةِ، وَتَائِيَّتِهِ، لَكِنَّهُ بِالْمُقَابِلِ اهْتَدَمَ مَا كَانَ صَنَعَهُ الْجَاسِرُ فِي أَسْمَاءِ الْمَوَاضِعِ الْوَارِدَةِ فِي شِعْرِ الصَّمَّةِ، وَحَدَفَ مَا أوردَهُ فِي الْحَدِيثِ عَنْ قَبِيلَةِ الشَّاعِرِ، وَلَمْ يُدَقِّقْ فِي أَخْبَارِ الصَّمَّةِ وَرِيَا، فَروى بَعْضَ الرِّوَايَاتِ عَلَى مَا فِيهَا مِنْ تَضَارُبٍ وَتَنَاقُضٍ أحيانًا، ثُمَّ مَلَأَ الدِّيوانَ (٩) بِاخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ.

وَإِذَا كَانَ مِنْ فَضْلِ لِلْفَيْصَلِ فِي مَا صَنَعَ؛ فَإِنَّ فَضْلَهُ لَا يَتَجَاوَزُ إِخْرَاجَهُ شِعْرَ الصَّمَّةِ فِي (دِيوانِ)، وَلَسْتُ أَجِدُ مَنْدُوحَةً عَنْ تَرْديدِ مَا قَالَهُ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ - رَجَمَهُ اللَّهُ - فِي تَعْلِيقِهِ عَلَى مَا صَنَعَ الْفَيْصَلُ؛ إِذْ قَالَ بَعْدَ تَعْرِيفِهِ بِالصَّمَّةِ^(٢): "وَقَدْ حَاوَلْتُ جَمْعَ شِعْرِهِ فِي (الْعَرَبِ) فِي سَنَتِهَا الْأُولَى، فَأَغَارَ عَلَى مَا جَمَعْتُ أَحَدُهُمْ فَادَّعَاهُ، وَنَشَرَهُ".

وَقَدْ يَجْدُرُ بِنَا فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ نَذْكُرَ بَعْضَ مَنْ رَوَى شِعْرَ الصَّمَّةِ الْقُشَيْرِيِّ سِوَى مَنْ صَنَعَ لَهُ دِيوانًا مِنَ الْقُدَمَاءِ، وَفِي هَؤُلَاءِ:

- أَبُو عَلِيٍّ الْهَجَرِيُّ مِنْ أَهْلِ الْقُرْنَيْنِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ، وَقَدْ رَوَى لِلصَّمَّةِ خَمْسَةَ وَثَلَاثِينَ بَيْتًا عَنْ بَعْضِ الْقُشَيْرِيِّينَ مِثْلَ مَضَاءِ بْنِ مَضْرَجِيٍّ بْنِ الثَّوَيْبِ، وَالْعَدَاءِ

(١) صدرَ هذا الكتابُ عامَ ١٩٨١ عن التَّادِي الْأَدَبِيِّ بِالرِّيَاضِ فِي الْمَمْلَكَةِ الْعَرَبِيَّةِ السَّعُودِيَّةِ؛ رَقْمُ (٣٢) ضِمْنَ سِلْسِلَةِ كِتَابِ الشَّهْرِ

(٢) أَبُو عَلِيٍّ هَارُونُ بْنُ زَكَرِيَّا الْهَجَرِيُّ، التَّعْلِيقَاتِ وَالتَّوَادِرِ - دَرَاةٌ وَمُخْتَارَاتٌ، تَحْقِيقُ حَمَدِ الْجَاسِرِ، (الرِّيَاضُ: الْمَوْلُفُ، ١٩٩٢)، ق ٢ ص ٦٧٩، هَامِشُ رَقْمِ (٣)، وَقَدْ مَرَّ بِنَا قَبْلُ أَنَّ نَاصِرَ بْنَ سَعْدِ الرَّشِيدِ قَدْ فَعَلَ مِثْلَ هَذَا بِصَنِيعِ الشَّيْخِ الْجَاسِرِ حِينَ جَمَعَ شِعْرَ يَزِيدِ بْنِ الطُّغْرَيْيَّةِ، ثُمَّ نَشَرَهُ فِي دِيوانِ أَيْضًا!

ابن مضاء، كما روى بعضه عن أبي نافذ مُشَيِّع بن جُبَيْر بن المقدام الخفاجي.

• ابن الكسكري على ما رواه البيهقي في مرثيته وأماليه، والبيهقي من أهل القرنين الثالث والرابع أيضًا.

• ابن الأعرابي على ما ذكر أبو الفرج الأصفهاني؛ كان يستحسن له أبياتاً من عينيه، وكذلك في رواية أبي زيد عن ابن الأعرابي في ما رواه صاحب خزانة الأدب.

• أبو حاتم السجستاني الذي كان يستحيد بعض شعره على ما روى أبو الفرج في أغانيه، وقد روى عن أبي حاتم كل من ابن دُرَيْد، والحسن بن علي عن ابن مَهْرَوَيْهِ.

• الأصمعي، وهذا ما أورده أبو علي القالي في أماليه؛ إذ قال إنّ ابن دُرَيْد أنشده عن أبي حاتم عن الأصمعي أبياتاً من العينية.

• وفي أمالي القالي أسند ابن دُرَيْد رواية بعض شعر الصمة إلى الرياشي، وإلى نفطويه، وإلى أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب النحوي.

• أبو علي القالي في أماليه، والبكري في السَّمط تعليقاً على روايات القالي وشرحاً لها.

• أبو عبد الله المُفَضَّل في كتابه (الترجuman) على ما ذكر المرزوقي في شرح الحماسة.

• أبو زيد الأنصاري في ما رواه صاحب الخزانة في تنايا كلامه على الصمة، وابن هشام الأنصاري في الخزانة أيضًا.

ويمكن أن تُعدَّ سيوى هؤلاء القوم كثيرين غيرهم، وفي ما ذكرناه منهم كفاية للدلالة على أنّ شعر الصمة قد لقي من عناية المتقدمين قسطاً وافراً. لكن لنا ما يصرِّفنا عن الإفاضة في تعداد رواة شعره؛ وهذا الصارف تحديداً هو نسبة العينية للصمة؛ حيث تنازعها ديوان يزيد بن الطثري، وقد أثبت فيه كثير منها، وديوان الصمة.

أما نسبتها ليزيد بن الطثري فخلط لا شك فيه؛ فقد ذكر ابن خلكان أنّ أبا الحسن علي بن عبد الله الطوسي اعتنى بشعر ابن الطثري وجمع له ديوان شعر^(١)، وقال أيضاً^(٢): "وكان أبو الفرج الأصفهاني صاحب كتاب الأغاني قد جمع شعر يزيد بن الطثري أيضاً في ديوان، وأورد له قوله..."

لكن أبا الفرج لا يذكر شيئاً عن نسبة العينية إلى ابن الطثري هذا، بل يذكر في شك في نسبتها إليه من الشعراء: قيس بن ذريح، والمجنون، والصمة^(٣)، ثم يرجح نسبة أغلبها إلى الصمة، سيوى بيتين نسبتهما إلى ابن ذريح، ولو كان شك في نسبتها إلى ابن الطثري لكان أوردَ خبراً عن ذلك، وهو من صنع له ديواناً.

وإذا تابعنا مع ابن خلكان فقد نصل إلى نتيجة تقطع الشك، وترجح نسبة العينية لأحد هؤلاء. قال الشمس: "وأورد له^(٤) المرزباني في (المعجم) أيضاً (حننت إلى ربّا... في ثمانية أبيات"، وتابع^٥: "قلت: وهي أبيات في غاية الرقة واللطفة، وذكرها

(١) شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق الأستاذ إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، د.ت)، ٦ ص ٣٦٨

(٢) نفسه، ٦ ص ٣٦٩

(٣) انظر الأغاني، ٦ ص ٢٩٤

(٤) أي لابن الطثري

(٥) وفيات الأعيان، ٦ ص ٣٧٠. وقال الشمس أيضاً: "قلت: فقد وقع الاختلاف في أنّ هذه أبيات العينية هل هي: ليزيد بن الطثري، أم للصمة بن عبد الله القشيري، أم لقيس بن ذريح، أم للمجنون، والله أعلم" (نفسه، ٦ ص ٣٧٢)

أبو تَمَام في كِتَابِ (الْحَمَاسَةِ) في أَوَّلِ بَابِ النَّسِيبِ، وَقَالَ: إِنَّهَا لِلصَّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيِّ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالصَّوَابِ فِي ذَلِكَ".

ثُمَّ قَالَ ابْنُ خَلِّكَان^(١): "وَقَالَ أَبُو عُمَرَ يُوسُفُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ... فِي كِتَابِ (بَهْجَةِ الْمَجَالِسِ) مَا مِثَالُهُ :

لِلصَّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيِّ :

أَمَا وَجَلَّالِ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي ...

فَقَالَتْ بَلَى وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ ...

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ: وَأَكْثَرُهُمْ يَنْسُبُونَ إِلَيْهِ فِي هَذَا الشَّعْرِ :

حَنَنْتَ إِلَى رَيَّا وَنَفْسُكَ بَاعَدَتْ ...

وَذَكَرَ الْآيَاتَ بِكَمَالِهَا كَمَا ذَكَرَهَا فِي الْحَمَاسَةِ، وَبَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا قَالَ: وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْسُبُهَا إِلَى قَيْسِ بْنِ ذَرِيحٍ، وَإِلَى الْمَجْنُونِ أَيْضًا [لَا ذِكْرَ لِيَزِيدَ بْنِ الطُّرَيْحِيِّ !]، وَالْأَكْثَرُ أَنَّهَا لِلصَّمَّةِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ".

وَلَا بُدَّ هُنَا مِنَ الْقَوْلِ إِنَّ الْقَدَمَاءَ تَذَوَّقُوا عُذُوبَةَ شِعْرِ الصَّمَّةِ، حَتَّى قَالَ فِيهِ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ سُلَيْمَانَ الْأَزْدِيُّ^(٢): "لَوْ حَلَفَ حَالِفٌ أَنَّ أَحْسَنَ آيَاتٍ قِيلَتْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ قَوْلُ الصَّمَّةِ الْقَشِيرِيِّ : (حَنَنْتَ إِلَى رَيَّا ...) مَا حَنَنْتَ".

(١) نفسه، ٦ ص ص ٣٧٠-٣٧١

(٢) الأغاني، ٦ ص ٢٩٤

القسم الثاني

شِعْرُ الصَّمَّةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقَشِيرِيِّ

قافية الهمزة

(١)

{ الطويل }

- | | | |
|---|--|--|
| ١ | لَعَمْرُكَ مَا رَيَا بِذَاتِ أَمَاتَةٍ | وَلَا عِنْدَ رَبِّا لِلْمَحِبِّ جَزَاءُ ^(١) |
| ٢ | وَلَا حَبْلُ طَيًّا يَوْمَ قَاطَعْتُ أَسْرَتِي | بِاقٍ، وَلَا طَيًّا بِذَاتِ وِقَاءٍ ^(٢) |
| ٣ | خَلِيلِي، لَا أَرْدَادُ إِلَّا مَوَدَّةً | لَطِيًّا، وَإِنْ عَدَّتْنِي الْعُدَاةُ ^(٣) |

(١) أشار الشيخ الجاسير إلى أنَّ في هامش هذه الصفحة من تعليقات الهجري إشارة مضمونها: (يُروى: طَيًّا، وهو الصواب)، ولعله ليس من كلام الهجري؛ الذي يستشهد الجاسيرُ بكونه روى شعر الصمّة عن بعض القشّيريين على صواب طَيًّا بدل رَبِّا، فقد يكون من كلام الناسخ.

(٢) البيت فيه إقواء، وهو الإتيان بالرؤي مكسوراً وأصله الضم. ويدل البيت على مقدار حسرة الصمّة إذ زوّجت رَبِّا من غيره، ممّا يرجح أنّه قال هذا الشعر بعد رحيله عن ديار قويمه، ويطمئن إلى ذلك أنّه قال: (قاطعتُ أَسْرَتِي).

(٣) على عادة الشعراء في نداء صَحِيهِم، سواءً أكانوا جماعة (وقوفاً بها صحي)، أم اثنين كما هنا، أم فرداً واحداً (تَبَصَّرْ خَلِيلِي هَلْ تَرَى مِنْ طَعَائِنٍ). وقوله: (عَدَّتْنِي الْعُدَاةُ) قال في اللسان: (والعداء والعداوة والعادية، كُله: الشُّغْلُ يَعْدُوكَ عَنِ الشَّيْءِ. قال مُحَارِبٌ: الْعُدَاةُ عَادَةُ الشُّغْلِ، وَعُدَاةُ الشُّغْلِ مَوَانِعُهُ. ويُقال: جِئْتَنِي وَأَنَا فِي عُدَاةٍ عَنْكَ أَيِ فِي شُغْلٍ ... وَالْعُدَاةُ عَلَى وَزْنِ الْعُلَاةِ: الْمَكَانُ الَّذِي لَا يَطْمَئِنُّ مَنْ قَعَدَ عَلَيْهِ) (اللسان: عدا)، فيكون معنى قوله هذا إنَّ الشواغل لا تشغله عن حبها، إنما يردادها حباً على مرَّ الزمان فلا تؤثر فيه الصوارف والأشغال.

قافية الباء

(٢)

{ الطويل }

١. أَلَا يَا جُرَادَ الْغَوْرِ، هَلْ أَنْتَ مُسْلِعٌ سَلَامًا، وَلَا تَبْحَلُ، عِمَارُ شَعْبَعِبَا؟ (١)

تخريج الأبيات :

تعليقات المجرى - الجاسر (مقطوعة ١٤٥)، وانظر ق ٦٨٠/٢، العرب/ ١٥٢، ديوانه/ ٢٤-٢٥. ومن الواضح أن الشاعر قال هذه الأبيات بعد أن زوّجت رّيا من رجلٍ غيره، وقد تقدّم الحديث عن ذلك في أخبار الصّمة، فليُنظر!

(١) في التعليقات (يا جواد)، (لا تبخل) وكذلك في ديوانه، وهما تصحيف وتخريف ظاهران، وفي العريب (جراد) (لا تبخل). والغور: ما انخفض من الأرض عما يجاوره، ونمة أمكنة كثيرة تُعرف بهذا الاسم، والمقصود منها الأرض المنخفضة الممتدة على ساحل البحر، وذلك يشمل تهامة أيضًا (العرب/ ١٤٨). وقد انصرف الجاسر والفصل إلى أن الشاعر يطلب من سيرب جراد في الغور أن يبلغ ديار محبوبته السلام، وخفي عليهما أن في هذا دعاء عليها من حيث دعا على ديارها بالهلاك، فالجراد لا يبق على أحضر ولا يابس في الديار التي يغزوها. وأملى إلى أن الأصل هو ما أثبت من أن المقصود هو (جراد الغور) لا (جراد الغور)، ويرجح ذلك أن (جرادا) كما ذكر ياقوت هو: (ماء في ديار بني تميم عند المروث) (البلدان: جراد)، والمروث في طرف ديار فخير من الشمال على ما ذكر الجاسر، قال: (وتنشئ هذه القبيلة في وادي الرّين (الرّيب قديما)، وفي السهل الواقع بين العارض والعرص؛ بين المروث من الناحية الشمالية إلى رمل الدّيل المعروف الآن باسم (نفود الدّحي) من الناحية الجنوبية، ويجاور القبيلة في المروث بنو حسان من تميم) (العرب/ ١٢٩). ويرجح ذلك ما ذكره ياقوت عن نصر قال: "جراد رملة عريضة بين البصرة واليمامة، بين حائل والمروث في ديار بني تميم، وقيل في ديار بني عامر، وقيل أرض بين غليا تميم وأسفل قيس". وجاء بشعر يذكر المكان وفيه قرّن الشاعر بين جراد ووادي جفاف، وهو واد يرد ذكره في شعر الصّمة بعد، قال فيه:

منها يتغفّر جراد والقبائض من وادي جفاف مرّا ذليّا ومستمع

أما عمار شعّعب، فالعمار لغة الماء الكثير، ولكن الظاهر أن الصّمة قصد مكانا بعينه قريبا من شعّعب التي هي قرينته على ما ذكر الهمداني في صفة جزيرة العرب، حيث قال: "البّيضة قفّ أبيض فيه مياه وتخل ومزارع، من مياهه عشيرة والكفافة والغاضرية والخلائق، وعن يسارها شعّعب، وهي قرية كانت لبني طفيل بن قرة، جي وحاجر البليح". (صفة الجزيرة: ١٤٨)

وأما شعّعب، فقد قال فيه ياقوت إنه ماء للصّمة بن عبد الله يحائل من وراء الثّغر يومئذ؛ تهيّط من الثّغر حائلًا (البلدان: شعّعب). وقد تقدّم أن الهمداني رأى أن شعّعبا قرية، وهذا لا يتنافى ما قاله ياقوت، فالسّاء قد يطلق على القرية لما يدل على استقرار الناس حوله.

وقد ذكر الشيخ الجاسر أن شعّعبا "هذه قد درّست الآن وجعلت، وهي في حائل، وحائل هذه سبق تحديدها الهمداني لها، تقع بين المروث من الناحية الشمالية، وسفوح جبال العريض من أسفله، بحيث تفيض أوديته مشرقا. ومن الناحية الشرقية نفوذ يبرك الذي يعرف قديما بجبل يبرك - كما ورد في شعر الصّمة. ويبرك منهل لا يزال معروفا. أما من ناحية الجنوب فيحدها رمل الدّيل المعروف الآن باسم نفود الدّحي؛ الذي من مناهله المعروفة الآن قتي والهوة، وكانا معروفين منذ القدم، وورد الأول في شعر الصّمة". (العرب/ ١٩٦٧، ج ١: ١٤٢)

(١) في ديوانه (ألا تجدد)، وفي العريب (ألا تجدد)، وضبطها بالضّم غير وارد بالاعتبارين؛ باعتبار كون (ألا) مركبة من (أن) التامة و (لا) النافية، فيكون الفعل منصوبا، واعتبار (ألا) مركبة من (إن) الجازمة الشرطية و (لا) النافية، فيكون الفعل مجزوما، وكونه مضعفا يقتضي ظهور الفتح على آخره بدلا من السكون. ولعلي أميل إلى ما أثبت، كما أرجح أن يكون كلامها انتهى بِنهاية الشطر الأول، وأن عجز البيت إنما هو من كلامه ردا على قولها، فكأنه يقول: ليس للقوى بقاء وإن لم تجدد.

وأما تجددت وتجدد، فالجذم والجد بمعنى، وهما ينصرفان إلى القطع والانقطاع.

(٣)

تَخْرِيجُ الْبَيْتَيْنِ :

تعليقات المحمدي - الحمادي (مقطوعة ٤٤٨)، العرب / ١٥٢، ديوانه / ٢٧

{ الطَّوِيل }

- ١ فَوَاحَسْرَتِي، لَمْ أَقْضِ مِنْكَ لُبَانَةً وَلَمْ أَمْتَعْ بِالْجَوَارِ وَالْقُرْبِ^(١)
- ٢ يَقُولُونَ: هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْكُمْ فَقُلْتُ: وَهَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْ قَلْبِي^(٢)
- ٣ أَلَا يَا حَمَامَ الشَّعْبِ، شَعْبٌ مُرَاهِقٌ سَقَيْتَ الْعَوَادِي مِنْ حَمَامٍ وَمِنْ شَعْبٍ^(٣)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

الأغاني ٢٩٤/٧، ٢٩٥، البديع في نقد الشعر/١٣٧، الوَحْشِيَّات/١٨٧، العرب / ١٥٣، ديوانه / ٢٨، ولعلَّ هذه الأبيات مِمَّا قَالَهُ الصَّمَّةُ قَبْلَ رَحِيلِهِ عَنْ دِيَارِ قَوْمِهِ إِلَى الشَّامِ، وَيُرْجَّحُ ذَلِكَ قَوْلُهُ فِي الْبَيْتِ الثَّانِي: (هَذَا آخِرُ الْعَهْدِ مِنْكُمْ)

(١) في التعليقات (دَفِيءُ الْمَحَانِي)، (قد اغشبا) وكذلك في ديوانه، ولا يستقيم بهما وزنٌ، والغريب أن المحقق يُشير إلى أن إحدى مخطوطتي التعليقات تُورد (دَفِيءَ) فيعلق: وهو تحريف! والتحريف ما اقترفه. وفي بدء العجز أُلَيْتُ (تَرَى)، والواجب فيها أن تكون (تَر) لأنها مضارعٌ حَوَابُ شَرْطٍ حَازِمٍ، ويبدو أن التاسيحين؛ أو المُحَقِّقِينَ، تنبها إلى خلل الوزن الحادث عن حذفِ العلة للجرم، على أنني أظن الأرجح فيها أن تكون بإضافة هاء السكت؛ هكذا (ثَرَة)، وبها يستقيم الوزن والتظلم.

وقوله: (تُصِفُ) تحتمل أن تكون مضارع (صاف) مجزوماً، وهو الأولى لمناسبة ذكره الشتاء والدَفءَ في المحاني شتاءً، وذكره إغشاب الرُّوضِ وإخضرارهُ صيفاً. وتحتمل أن تكون مضارع (وصف) مجزوماً؛ وهذه - وإن كانت مُحتملة - غير ملائمة للبيت!

والمحاني: جَمْعُ مَحْنِيَّةٍ، وَمَحْنِيَّةُ الْوَادِي: مُتَعَرِّجَةٌ حَيْثُ يَنْعَطِفُ، وَهِيَ الْمَحْنُوَّةُ وَالْمَحْنَاهُ. وَهِيَ أَيْضاً: مُنْحَنَى الْوَادِي حَيْثُ يَنْعَرِجُ مُنْخَفِضاً عَنِ السَّنَدِ. أَمَّا مَحْنِيَّةُ الرَّمْلِ، فَهِيَ مَا انْحَنَى عَلَيْهِ الْجَفَفُ. (اللسان: حنا).

(١) اللَّبَانَةُ: الْحَاجَةُ وَالْوَطْرُ فِي النَّفْسِ، وَيُفَسِّرُهَا التَّمَتُّعُ بِالْقُرْبِ فِي عَجْرِ الْبَيْتِ.

(٢) إسناد فعل القول هنا إلى واو جمع الغائبين قد يُشير إلى تقول بعض أهل قبيلته، لكنه ليس دالاً قطعاً على مثل ذلك؛ فالشاعر هو الذي اعترَمَ الرَّحِيلَ بنفسه!

(٣) في ديوانه (سَقَيْتَ الْعَوَادِي). وقال الشيخ الجاسر إنَّ شَعْبَ مُرَاهِقٍ مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي لَمْ يَهْتَدِ إِلَى مَعْرِفَتِهَا (العرب / ١٤٦). قُلْتُ: لَعَلَّ الْكَلِمَةَ مُخَرَّجَةٌ عَنْ (مَرَاغَة)، فالذي يذكره ياقوت عن ابن الكلبي في شأن (مَرَاغَة) هَجَرَ يُرْجَّحُ ذَلِكَ. يقول: "قال ابن الكلبي: في مَرَاغَة هَجَرَ سَوَّقٍ لِأَهْلِ نَجْدٍ مَعْرُوفٍ"، وقال في موضع آخر قَرَنَ فِيهِ مَرَاغَة هَذِهِ بِ (الْمَرْدَمَة): "قال الأصمعي وذكر مياهاً، ثُمَّ قَالَ: وَمِنْ هَذِهِ الْأَمْوَاهِ مِنَ صُلْبِ الْعِلْمِ، وَهِيَ الْمَرْدَمَة، رَدَاهُ مِنْهَا الْمَرَاغَة" (البلدان: مَرَاغَة). وَالْمَرْدَمَة عَلَى مَا يَذْكُرُ الشَّيْخُ الْجَاسِرُ جِبَالٌ تَقَعُ عَلَى طَرِيقِ الْمَتْجِهَةِ إِلَى مَكَّةَ مِنْ وَسْطِ بِلَادِ بَنِي قُشَيْرٍ، وَقَرِيبَ مِائَةِ مِيلٍ (مَطْلُوب) الَّذِي وَرَدَ فِي شِعْرِ الصَّمَّةِ الَّذِي يَصِفُ فِيهِ رَحْلَتَهُ عَنْ دِيَارِ قَوْمِهِ إِلَى مَكَّةَ، وَالْمَقْصُودُ بِهَذَا مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ (تَمَلَّى)!

- ٤ فَمَا طَابَتِ الرِّيحُ الْجَنُوبُ يَدَارِقُ وَلَكِنَّهَا بِالْعَمَمِينَ تَطْلُبُ^(١)
- ٥ جَنُوبٌ يُدَاوِي هَيْجُهَا بَارِحَ الْهَوَى لَهَا بَعْدَ نَوْمِ السَّامِرِينَ دَيْبُ^(٢)
- ٦ يَقُولُونَ لِي: دَارُ الْأَحْبَةِ قَدْ دَسَتْ وَأَنْتَ كَيْبُ، إِنَّ ذَا لَعَجِيبُ!
- ٧ فَقُلْتُ: وَمَا تُعْنِي دَارٌ تَقَارَبَتْ إِذَا لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الدَّيَارِ حَبِيبُ؟^(٣)

تخريجُ الأبيات :

تعليقات المحرري- الحمادي (مقطوعة ١٧٥)، البيتان ١-٢ أمالي القالي
١/١٩٤، وقد أحلَّ بهما شعره وديوانه المطبوع، سمط اللآلي ١/٤٦٣، العرب/١٥٣،
ديوانه/٢٩

(١) العُتَمَات: ظَنَّ عبد العزيز الفصيل أنَّ المقصودَ جَبَلٌ بالمدينة يُقالُ لَهُ سُلَيْعٌ، عَلَيْهِ بُيُوتٌ أَسْلَمَ مِنْ أَفْصَى، يُنسَبُ إِلَيْهِ نَبِيَّةٌ عَثَّتْ (البلدان: عنثت)، وبينَ هذا وموطن الشاعر مسافةٌ كبيرة، ولعلَّ الصواب ما ذكره الجاسيرُ من أنَّ الشاعرَ قصدَ "موضعاً يعينه"، وقد يقصدُ كَثِيبَيْنِ مِنْ أَكْثَبِةٍ يَلَاذُ قُشَيْرِ النِّجْ تَحِيطُ بِهَا الْكُتُبَانُ مِنْ جَوَانِيهَا الْثَلَاثَةِ؛ حيثُ إِنَّهُ قَالَ الْقِطْعَةَ وَهُوَ فِي دَائِقٍ، وَهِيَ يَلَاذُ جَلِيلَةٍ! (العرب: ١٤٧)

(٢) في التعليقات (رَبِيبٌ) وَهُوَ تَحْرِيفٌ، وَجَاءَ الصَّدْرُ فِي دِيَوَانِهِ هَكَذَا (جَنُوبٌ يُدَاوِي هَيْجُهَا بَارِحَ الْهَوَى الْهَوَى!) وَلَعَلَّ جَعَلَ الرِّيحُ تَحْمِلُ السَّلَامَ إِلَى الْأَحْبَةِ، وَلَعَلَّ جَعَلَ هُبُوبِهَا يَشْفِي فَوَادَ مِنْ بَرَحِهِ الْهَوَى إِذَا هَبَّتْ مِنْ دِيَارِ الْأَحْبَةِ أَوْ مَرَّتْ بِهَا، مِنْ خَصَائِصِ شِعْرِ غَزَلِي الْبَادِيَةِ، وَهَذَا مِنَ الْمَعَانِي الَّتِي مَا تَزَالُ دَائِرَةً فِي أَدْنَى الشَّعْبِيِّ.

وفي البيت صورةً بلاغيةً راقية، وذلك حين جعلَ الرِّيحَ الجنوبَ تَدْبُ بَعْدَ نَوْمِ السَّامِرِينَ. وكان من عادة الشعراء أن يلاقوا محبوبياتهم (في الشعر) بعدَ نومِ السَّامِرِينَ. ومن ذلك قول ابن أبي ربيعة:

وَعَابَ قَمِيرٌ كُنْتُ أَرْجُو غُيُوبَهُ وَرُوحَ وَغِيَانٍ وَلَوْ سَمُرُ

فكانه جعلَ الرِّيحَ تَحْمِلُ رَمًا حَبِيبَتَهُ إِلَيْهِ، فَدَبَّتْ إِلَيْهِ دَيْبًا بَعْدَ نَوْمِ السَّامِرِينَ خَفِيَّةً.

(٣) في السَّمَط (بَيْنَ الدَّيَارِ قَرِيبٌ)، وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ قَالَ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ - لَا كَمَا ذَكَرَ الْجَاسِيرُ - وَهُوَ فِي الشَّامِ، بَلْ قَالَهَا وَهُوَ عَائِدٌ إِلَى مَوْطِنِهِ فِيمَا أَرَى فِي مَرَّةٍ مَا، يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ هَذَا الْبَيْتُ وَالَّذِي تَقْدَمُهُ.

{ الطويل }

- ١ أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتَانِ بِالْأَجْرَعِ الَّذِي بِأَسْفَلِ مُفْضَاهُ غَضًا وَكَيْبُ^(١)
- ٢ هَجَرْتُكُمَا هَجْرَ الْبَغِيضِ وَفِيكُمَا مِنْ النَّاسِ إِنْسَانٌ إِلَيَّ حَبِيبُ^(٢)
- ٣ عَلَقْتُ بِدَارِ الصَّيْدِ، مَا كَفَّةُ الْغَضَا وَلَا دَائِقُ مِنْ وَاسِطٍ قَرِيبِ^(٣)

(١) الْأَجْرَعُ: الْمَكَانُ الْوَاسِعُ الَّذِي فِيهِ خُرُوتٌ وَخُسُوتٌ. وَهُوَ أَكْبَرُ مِنَ الْخَرْعَةِ أَوْ الْخَرْعَةِ، وَقِيلَ هِيَ الرُّمْلَةُ الْمُسْتَوِيَّةُ، وَقِيلَ هِيَ الدَّلْعُصُ لَا تُثْبِتُ شَيْئًا. وَالْخَرْعَةُ عِنْدَهُمْ هِيَ: الرُّمْلَةُ الطَّبِيَّةُ الْمُثْبِتُ الَّتِي لَا وَثُوقَةَ فِيهَا. وَقِيلَ الْأَجْرَعُ: كَيْبٌ حَابِثٌ مِنْهُ رَمْلٌ، وَحَابِثٌ جَعَارَةٌ (للصَّان: جرع ٤٦/٨)، وَلَعَلَّ مَا وَرَدَ فِي هَذَا الْبَيْتِ يَدُلُّ عَلَى خُرُوتِ الْأَجْرَعِ وَانعدامِ الثَّباتِ فِيهِ، وَيَنْفَى أَنْ يَكُونَ كَيْبًا، فَهُوَ يَقُولُ إِنَّ بِأَسْفَلِ مَا يُفْضِي إِلَيْهِ نَبَاتٌ غَضًا وَكَيْبٌ رَمْلٌ. وَلَئِنْ الْأَجْرَعُ عَلَى هَذِهِ الصُّفَةِ فَقَدْ كَثُرَتِ الْأَجَارِعُ، وَلِهَذَا فَهُوَ لَا يَذْكُرُ فِي الشَّعْرِ إِلَّا مَرْصُوفًا، وَفِي الْأَغْلِبِ الْأَعْمُ يُوَصَفُ بِالْمُرْصُوفِ وَرَاءَهُ حَيْثُ تُحْلَدُهُ جُمْلَةُ الصَّلَاةِ، وَمِثَالُهُ مَا جَاءَ هُنَا، وَمَا جَاءَ فِي قَوْلِ ابْنِ الدُّنَيْتَةِ:

سَلِي الْبَائِتَةُ الْغَيْثَاءُ بِالْأَجْرَعِ الَّذِي بِهِ الْبَائِتُ، هَلْ حَبِثْتُ أَطْلَالَ دَارِكُ

(٢) يَقْصِدُ هَجْرَهُ دِيَارَ قَوْمِهِ بَعْدَ مَا حَصَلَ لَهُ فِيهَا، وَالْبَغِيضُ هُنَا تَحْمِيلُ أَنْ تَكُونَ فَعْلًا بِمَعْنَى فَاعِلٍ، أَيْ مُبْغِضٍ، وَفَعْلًا بِمَعْنَى مَفْعُولٍ، أَيْ مُبْغِضٌ، وَلَعَلَّ الْأَرْجَحَ أَنْ تَكُونَ الْأَوَّلَى؛ أَيْ بِمَعْنَى مُبْغِضٍ؛ فَمِنْ عَادَةِ الشُّعْرَاءِ أَنْ يَذْكُرُوا أَنْ هَجَرَهُمْ لَمْ يَكُنْ عَنْ قَلْبِهِ مِنْهُمْ لِلدَّيَارِ، وَتَقَابُلَهَا حَبِيبٌ بِمَعْنَى مَحْبُوبٍ فِي عَجَزِ الْبَيْتِ، وَالْحَبِيبُ هُنَا رَمًا. وَلَعَلَّ الْبَيْتَيْنِ اللَّذَيْنِ خَصَّيْهُمَا الشَّاعِرُ هُنَا هُمَا بَيْتُ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، وَبَيْتُ عَمِّهِ أَبِي زَيْدٍ!

(٣) فِي التَّعْلِيقَاتِ (حَلَفْتُ)، (كَفَّةٌ)، (دَائِقٌ)، وَفِي دِيَوَانِهِ (بِقَرِيبِ)، وَفِي الْبَيْتِ سِنَادٌ. وَقَدْ ظَنَّ عَبْدُ الْعَزِيزِ الْفَيْصَلُ أَنَّ الْمَقْصُودَ بِوَاسِطٍ هُنَا قَرْيَةُ يَحْلَبُ فِي الشَّامِ قَرْبَ بَرَاغَةِ، وَأَحَالَ عَلَى (مَرَاوِدِ الْأَطْلَاعِ ١٤٢٠/٣). فِي حِينَ حَقَّقَ الْجَاسِيرُ أَنَّ الْمَقْصُودَ "مَوْضِعٌ" فِي يَلَاذِ بَنِي قُشَيْرٍ لَا يَزَالُ مَعْرُوفًا، فِيهِ قَرْيَةٌ صَغِيرَةٌ، وَيُزْرَعُ وَقْتُ الشَّتَاءِ، يَقَعُ فِي الْجَنُوبِ الشَّرْقِيِّ مِنْ بَلَدَةِ الدَّوَادِمِيِّ، وَهُوَ مَعْدُودٌ مِنْ "مَوَاطِنِهَا". (العرب: ١٥٠)

وَقَدْ ذَكَرَ يَاقُوتُ هَذَا الْمَوْضِعَ بِقَوْلِهِ: "قَرْيَةٌ مَتَوَسِّطَةٌ بَيْنَ يَطْنِ مَرْ وَوَادِي نَخْلَةٍ ذَاتُ تَحْيِيلٍ. قَالَ لِي صَدِيقُنَا الْحَافِظُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ التَّحَارِي: كُنْتُ بَطْنُ مَرْ فَرَأَيْتُ نَخْلًا عَنْ بَعْدٍ، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ قَرْيَةٌ يُقَالُ لَهَا وَاسِطٌ". ثُمَّ قَالَ يَاقُوتُ: "وَقَالَ بَعْضُ شُعْرَاءِ الْأَعْرَابِ يَذْكُرُ وَاسِطًا فِي يَلَادِهِمْ"، وَذَكَرَ أَرْبَعَةَ أَبْيَاتٍ مِنْ دَائِلَةِ الصَّمَةِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا (ظَمِيَاءٌ) مِنْ دُونَ أَنْ يَنْسَبَ الْأَبْيَاتُ! (البلدان: واسط)

أَمَّا دَارُ الصَّيْدِ: فَلَمْ أَقِفْ فِي مَا نَحْتُ فِيهِ مِنْ مَوَاصِدِ الْبِلَادِ مَا يَدُلُّ عَلَيْهَا، وَيَذْكُرُ يَاقُوتُ دِيَارًا كَثِيرَةً، وَدَارَاتٍ كَذَلِكَ، لَيْسَ مِنْهَا دَارُ الصَّيْدِ هَذِهِ. عَلَى أَنْ تَعْرِيفُهَا بِإِضَافَتِهَا إِلَى الصَّيْدِ دَالٌ عَلَى أَنَّهَا إِحْدَى الْأَمَاكِي الَّتِي كَانُوا يَصْطَادُونَ فِيهَا. وَأَمَّا كَفَّةُ الْغَضَا، فَلَمْ يَذْكُرْهَا الْجَاسِيرُ فِيمَا ذَكَرَ مِنْ مَوَاطِنِ قُشَيْرٍ فِي شِعْرِ الصَّمَةِ، وَقَدْ وَجَدْتُ فِي مُعْجَمِ يَاقُوتَ مَا يُصَوِّرُ: "الْكَيْفَافُ: كَأَنَّهُ جَمْعُ كَيْفَةٍ أَوْ كَفَّةٍ. قَالَ اللَّغَوِيُّونَ: كُلُّ مُسْتَدِيرٍ تَحُورُ الْمِيزَانِ وَجِبَالَةِ الصَّائِدِ فَهُوَ كَيْفَةٌ، وَكُلُّ مُسْتَطِيلٍ كَالْقُرْبِ وَالْقَمِيصِ فَخُرُوفُهُ كَفَّةٌ، وَهُوَ: اسْمُ مَوْضِعٍ قَرْبَ وَادِي الْقَرْيَ" (البلدان: الكيفاف). وَوَادِي الْقَرْيَ هَذَا وَادٍ مَعْرُوفٌ بَيْنَ الشَّامِ وَالْمَدِينَةِ، وَهُوَ بَيْنَ ثِيَمَاءَ وَخَبَرٍ، فِيهِ قَرْيٌ كَثِيرَةٌ (البلدان: قَرْي). وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ إِنَّمَا أَرَادَ الْمَعْنَى اللَّغَوِيَّ لِلْكَفَّةِ مُضَافَةً إِلَى الْغَضَا لِتَحْدِيدِهِ، وَإِذَا كَانَ قَالَ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بِالشَّامِ؛ بِدَلِيلِ ذِكْرِهِ (دَائِقُ)، فَلَرَبَّمَا قَصَدَ كَفَّةً غَضًا هُنَاكَ!

وَأَمَّا دَائِقُ (وَيُرْوَى دَائِقُ)، فَقَرْيَةٌ قَرْبَ حَلَبَ مِنْ أَعْمَالِ عَزَازَ، بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَلَبَ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ، عِنْدَهَا مَرْجٌ مُعْشَبٌ نَزْهٌ (البلدان: دَائِقُ)، وَهَذَا الْمَرْجُ هُوَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ مَعْرَكَةٌ مَرْجِ دَائِقُ.

{ الطويل }

- ١ سَقَى اللهُ أَيَّامًا لَنَا وَلِبَالِيَا لَهُنَّ بِأَكْنَفِ الشَّبَابِ مَلَاعِبُ^(١)
- ٢ إِذِ الْعَيْشُ غَضُّ وَالزَّمَانُ بَغِطَةٌ وَشَاهِدُ آفَاتِ الْمُجِبِّينِ غَائِبُ^(٢)

تَخْرِيجُ الْبَيْتَيْنِ :

الحماسة البصرية ١٣٧/٢، العرب/١٥٣، ديوانه/٢٦

(١) الدُّعَاءُ بالسُّقْيَا معروفٌ عند العربِ للمكان الذي يُحبُّونه، والشاعرُ هنا دَعَا بالسُّقْيَا للزَّمانِ، على أن ذلك ليس بعيداً من السُّقْيَا للمكان، ذلك بأن تلك الأيام والليالي إنما قُضِيَتْ في مكان هو الذي يدعو الشاعرُ له بالسُّقْيَا، ولعلَّ في هذا البيت وَجْهًا بلاغيًّا لم يذكره البلاغيون، وهو ضربٌ من ضروبِ الخجاز المرسل؛ إذ ذكر الزَّمانَ وأراد المكانَ الذي قضاه فيه.

أما أكنافُ الشباب، فقد قال ياقوت: "لَمَّا ظَهَرَ طَلِيحَةُ المنبي ونزلَ يسميراءَ أرسلَ إليه مهلهلُ بنَ زيادِ الخثيل الطائفي: إن معي خدًا لغوث، فإن دهمهم أمرٌ فتحنُّ بالأكنافِ بجال قيد، وهي أكنافُ سلمى. قال أبو عبيدة: الأكنافُ جبالٌ طيِّبٌ: سلمى وأجأ والفراخ" (البلدان: الأكناف). وقال في اللسان: "الكَنَفُ والكَنَفَةُ: ناحية الشيء، وناحيته كل شيء كَنَفَاهُ، والجمعُ أكناف ... وأكنافُ الجبلِ والوادي: نواحيه حيث تنضمُّ إليه"، ومنها أكنافُ بيشة (اللسان: كنف). وقال في قيد: "وقال الحارمي: قيدٌ، بالياء، أكرمُ نخيدٍ قريبٌ من أجسأ وسلمى جبلي طيِّبٌ"، وقال: "وبن قيدٍ ووادي القري سبت لبال" (اللسان: قيد). وأميلُ إلى ترجيح أن يكون هذا اسمًا لموضعٍ من المواضع في ديار قُشَيْرٍ، وهي واسعةٌ تتصلُّ بديار طيِّبٍ؛ والإضافة هنا تكونُ على الحقيقة، يُطمئن إليها قوله: (ملاعِب)، وتَحْتَمِلُ أن تكونَ إضافةُ الأكنافِ إلى الشبابِ الزمانيِّ، بمعنى أيامِ الشباب.

(٢) أرى أن كلمة (آفات) إنما هي تحريفٌ لشبهتها (آهات)؛ لأنَّ آفاتِ الحبيِّين لا تتجاوزُ فراقهم وما يُصيبهم من جرائبه، والشاعرُ هنا يتحدثُ عن البغِطَةِ والعيشِ الغضِّ، وهذا لا يتوافقُ مع الآفات. ويدلُّ على ذلك غيابُ الوشاةِ والرقباءِ الذين يشهدون لقاءَ الأحبةِ خُفْيَةً فلا يقضي العاشقُ منهم لُبائته من إليه حذرَ العيون.

{ الطويل }

- ١ إِلَى اللهِ أَشْكُو نِيَّةَ يَوْمٍ قَرَقَرَى مُفَرَّقَةَ الْأَهْوَاءِ شَسَى شُعُوبَهَا^(١)
- ٢ وَيَوْمًا حِصْنِ الْبَاهِلِيِّ ظَلَلْتُهُ أَكْهَفُ عِبْرَاتٍ تَفِيضُ غُرُوبَهَا^(٢)
- ٣ وَيَوْمًا عَلَى تَبْرَاكِ أَقْنَيْتُ بِالَّذِي تُحَاذِرُهُ نَفْسٌ فَشَبَّ شُوبَهَا^(٣)
- ٤ وَيَوْمًا بِقَاعِ الْأَخْرَبِيِّنِ جَرَى لَنَا بِنَحْسٍ ظِبَاءُ الْأَخْرَبِيِّنِ وَذَيْبَهَا^(٤)

(١) في التعليقات وديوانه (أشكوته)، (مُفَرَّقَة). وقَرَقَرَى: مجموعةٌ من القرى تقعُ في السَّهْلِ الممتدِّ من سَفْحِ جبل طُوبَيْقٍ إلى عارضِ اليمامة من الغرب. وفيها قرى كثيرةٌ أشهرُها ضَرْمًا، وهذه القرية ليستَ معروفةً الآن. وتتصلُّ قَرَقَرَى ببلاد قُشَيْرٍ من الناحيةِ الشماليَّةِ الشرقيَّةِ، وهي أخفضُ منها، وتُعرفُ الآنَ بِاسْمِ الْحَمَادَةِ (العرب/١٤٥، ١٤٨). وقد ذكرها الشاعرُ في هذه القصيدة التي يُعَدُّ فيها أسماءَ المواضع التي مرَّ بها في رحلته عن ديار قويمه متجهًا إلى الشام، لكنَّ هذه المواطنُ تقعُ على طريقِ الصادرِ عن ديار قُشَيْرٍ باتجاه مَكَّةَ أَوَّلًا. وقال ياقوت: "أرضُ باليمامةِ إذا خرجَ الخارجُ من وشمِّ اليمامةِ يريدُ مَهَبَ الجنوبِ، وجعلَ العارضُ شمالاً، فإنه يعلو أرضًا تُسمَّى قَرَقَرَى فيها قرى وزروعٌ ونخيلٌ كثيرةٌ" (البلدان: قَرَقَرَى).

(٢) في التعليقات (ويوم)، والتأخرُ في الأبيات بعده يراها منصوبةً على العطفِ، فهو يشكو نِيَّةً، ويومًا ...، وفي ديوانه (ظَلَلْتُهُ). وحِصْنُ الباهليِّ: عُرفَ قديمًا بحِصْنِ ابنِ عِصَامِ الباهليِّ حاجِبِ الثُّعْمَانِ بْنِ المنذر، وهو في بلادِ باهلةِ الحَاوِرَةِ ببلاد قُشَيْرٍ من الناحيةِ الغربيَّةِ. ويقعُ هذا بقربِ بَلَدَةِ الْقُوَيْعِيَةِ (العرب/١٤٤).

(٣) في التعليقات (تبراك)، (تُحَاذِرُهُ) وهو تصحيفٌ سبى، وفي ديوانه (فَشَبَّ). وتَبْرَاكِ، قال ياقوت: "موضعٌ بجنداءِ تَعُشَارٍ، وقيل: ماءٌ لبني العُتَيْرِ، وفي كتاب الخالغ: تبراك من بلاد عمرو بن كلاب فيه روضةٌ ذُكِرَتْ مع الرِّياض، وحكى أبو عبيدة عن غماره أن تبراك من بلاد بني عُثَيْرٍ، قال: وهي مَسْبَةٌ لا يكاد أحدٌ منهم يذكُرُها لمُطْلَقِ قولِ جرير:

إِذَا جَلَسْتَ نِسَاءَ بَنِي عُثَيْرٍ عَلَى تَبْرَاكِ أَجْبَنَ الرَّمَالَا

... وقال نصر: تبراك ماءٌ لبني عُثَيْرٍ في أذني المُرُوتِ لاصِقٌ بِالْوَرَكَةِ" (البلدان: تبراك)، ولعله المقصود.

(٤) وفيها (بقاع الآخرين)، (بِنَحْسٍ). وقَاعُ الآخرين: القاعُ هو المنخفضُ من الأرض، وأما الآخران، فجمعُ أَخْرَبٍ، وهي قُرُونٌ حُمُرٌ بين سجا والتعلُّ، وهما مَنَهَلانِ في عاليَّةٍ تُجَلُّ ما يَزَالانِ معروفين إلى الآن، ولكنَّهما بعيدان عن بلاد قُشَيْرٍ. والشاعرُ ذكرهما وهو في طريقِ رحلته إلى مَكَّةَ راجلاً عن دياره كما تقدَّم، ومَنَهَلَا سجا والتعلُّ يقعان على طريقِ الصادرِ عن ديار قُشَيْرٍ إلى مَكَّةَ أيضًا (العرب/١٤٣).

- ٥ وَيَوْمًا عَلَى مَاءِ الْهَدْيَةِ قَالَ لِي صِحَابِي: طَبَّ نَفْسًا، وَكَيْفَ أَطْبِئُهَا^(١)
- ٦ وَيَوْمًا بِمَطْلُوبٍ وَجَدْتُ حَرَارَةً طَوِيلًا بِالْأَوَادِ الْفُؤَادِ شَوْبُهَا^(٢)
- ٧ وَيَوْمًا عَلَى مَاءِ الْمُحَلَّقِ طَيْرُهُ أَحَدَتْ نَفْسًا صَبَّةً: مَا يُكَيِّبُهَا؟^(٣)
- ٨ وَيَوْمًا بِقَرْنٍ قَرْنِ نَحْلَةٍ رَاجَعْتُ بِنَفْسِكَ زَفَرَاتٍ، بِنَجْدٍ طَبِئُهَا^(٤)
- ٩ وَيَوْمًا لَدَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ بَجَلَدْتُ لَكَ النَّفْسُ إِكْرَاهًا عَلَى مَا يُرِيهَا^(٥)
- ١٠ فَيَا أَهْلَ بَجْدٍ، لَا شَقِيمٌ وَلَقِيتُ رَكَابَكُمْ رُشْدًا، وَحَلَّتْ دُوبُهَا^(٦)

- ١١ إِذَا مَا أَتْنَا الرِّيحَ مِنْ حَوَارِضِكُمْ أَتْنَا بِرَبَاكُمُ فُطَابَ هُبُوبِهَا^(١)
- ١٢ أَتْنَا بِطَبِيبِ الْمِسْكِ خَالَطَ عَنَبْرًا وَرِيحَ الْحَرَامِ بِأَكْرَثِهَا جَنُوبِهَا
- ١٣ إِذَا مَا لَقِيتُمْ أَهْلَ بَجْدٍ وَعَرِيتُ قَلَاتِصُ أَذُنُكُمْ وَقَدْ طَالَ دُوبُهَا^(٢)
- ١٤ فَمَنِي عَلَيْهِمْ فَاقْرُؤْ نَحْيَةً يُحْصُ بِهَا شُبَّانُ قَوْمِي وَشَبِئِهَا^(٣)
- ١٥ نَحْيَةً مُشْتَقًا إِلَى أَنْ يَرَاهُمْ وَرَجَّعَ أَمَائِلُ يَرْجَى عَرِيبِهَا^(٤)

تخريج الآيات :

قال الهجري: أنشدني العلاء بن مضاء، من ولد الثوب بن الصمّة بن عبد الله بن طفيل بن زيد بن ثور ...، وينتهي به إلى بني قشير. تعليقات الهجري- الحمادي (مقطوعة ٥٠٤)، الأغاني ٢٩٢/٥، تجريد الأغاني ق ١ ج ٢/٧١٥، وروى ابن عبد البر البيهقي ١٠-١١ في بهجة المجالس ق ١ م ٨٢٢/١، الوافي بالوفيات ١٦/١٩٣، معاهد التنصيص ٣/٢٥٦، العرب ١٥٤-١٥٥، شعراء قشير ٢/٦٧-٦٨، ديوانه ٣٥-٣٦

(١) هذا البيت والذي يليه ذكرًا في المصادر بوصفهما نطفة مستقلة، وقد رأيتهما ملائمين تمامًا للمكان الذي أحلّا فيه من القصيدة.

(٢) هذا البيت انفردت به تعليقات الهجري، وهو في ديوانه (ما أتيتهم)، والقلائص جمع قُلُوص، وهي التاقاة الفتيّة الشديدة. أما اللوب فهو اللؤوب مهمل الهمزة، وهو المواظبة والمبالغة في العمل، وها هنا بمعنى المواظبة على المسير (اللسان: دأب).

(٣) في التعليقات (يخص بها شبان) ولا يستقيم بها الرزق ولا التظلم، فشبان مضافة يسقط تنوينها، ويخصر للمعلوم لا المجهول بناؤه.

(٤) في التعليقات وديوانه (فغدى عريها). والأمائيل جمع الأمثل، وأمائيل التماس وأمائيلهم: خيارهم وأشرافهم. العريب: حي من اليمن، والرجل القصيح المعرب، وتقول: ما بالدار من عريب؛ أي ما بها أحد، والذكر والأُنثى فيه سواء (اللسان: عرب). ولعل الرجيع هنا هو المعنى الثاني؛ لأن الرجيع هنا إنما هو رجع الحديث.

(١) هذا البيت من التعليقات، ولم تُورد المصادر الأخرى، وهو في ديوانه. وماء الهدية كما قال ياقوت: "موضع حوالي البامة، وقال أبو زيد الكلبي: من مياه أبي بكر بن كلاب الدبة، وهي في رمل، وجذاعها ماءة" يُقال لها الهدية، وينسب ذلك الرمل إليها فيقال: رمل الهدية" (البلدان: الهدية)، ولم يصفه الجاسر، أو يذكره.

(٢) فيها (وحدث حرارة)، (باعواذ الفواد)، والتصحيح فيها ظاهر بين، وفي ديوانه (بالمعوذ) وبه لا يستقيم الوزن ولا المعنى. أما مطلوب فهو كما قال ياقوت: "اسم يثر بين المدينة والشام بعيدة الغمر يستقى منها يدلاء"، وقيل: "جبل". وقال أبو زيد الكلبي: من مياه بني أبي بكر بن كلاب مطلوب، وقال الأصمعي: "ومن مياه نخلي مطلوب" (البلدان: مطلوب)، وهذا الأخير هو الذي عناه الجاسر بقوله: "المقصود به ماء من مياه تملئ بقرى جبال المردمة، وتقع على طريق المتحجّج إلى مكة من وسط بلاد بني قشير" (العرب ١٤٩).

(٣) لم أجد لماء كهذا ذكرًا في مصادر البلدان، كما أنّ في نظم البيت شيئًا من الخلل بهذه الرواية، فلو كان طيرة فاعلاً لاسم الفاعل (المُحَلَّق) لكان ينبغي أن يكون المُحَلَّق صفةً لمُحْدَوِفٍ مضاف إليه؛ أي (ماء المكان أو الرجل المُحَلَّق طيرة)، وإلا فإنّ (طيرة) تظل مبتدأ يقتضي خبراً عنه، وليس في البيت ما يقوم مقام الخبر عنه. ولعل الرواية أصلاً هي (على الماء المُحَلَّق طيرة)، أو (على ماءٍ يُحَلَّق طيرة).

(٤) وفيها (بقرن قرن)، (زفرات) ويحب تنوينها لاستقامة الوزن والنظم تحوًا. وفي شعراء قشير (بقرن قرون نخلة)، ولا يستقيم بها وزن ولا نظم. وقرن نخلة: يقصد وادي قرن، وهو قرن المنازل المعروفة الآن باسم السيل، ومنه يُخرم حجاج عالية نخد، بل أكثر أهل نخد. وأضاف إلى نخلة؛ إذ هو أعلى وادي نخلة، وهما نخلتان: الشامية والبمانية، ويلتقيان فيكونان واديًا عظيمًا يُدعى مر الظهران قنينا، ووادي فاطمة حديثًا، ثم يتحدان إلى البحر فيصب فيه إلى الجنوب من مدينة جدة (العرب ١٤٨).

(٥) وفيها (تجددت)، ويملأها في ديوانه. وقوله البيت الحرام يدل على مروره بمكة، وأنّ كل المواضع التي تقدّم ذكرها في القصيدة إنما كانت على طريقه بين ديار قشير حتى وصوله مكة.

(٦) ذكرتها المصادر هكذا (دئوبها)، وبها لا يستقيم المعنى، والمقصود دئوبها، وهي دغوة لها يأن تقرّ.

قافية التاء

(٧)

{ الطويل }

١ ألا مَنْ لَعِينٍ لَا تَرَى قُلَّ الْجِمَى وَلَا جَبَلِ الْأَوْشَالِ إِلَّا اسْتَهَلَّتْ^(١)

(١) في الحمدونية (ما ترى)، (ولا أبرق الظلمان). قلَّ الجِمَى: القلَّة من كل شيء رأسه وأغلاؤه، وأعلى الجبل، وخصَّ بعضهم به أعلى السنام والرأس والجبل، وقلالة الجبل كقلته؛ وهي كالقمة، إلا أنَّ القلَّة تَجْمَعُ الشَّكْلَ الذي تُكوِّنُ القِمةَ أغلاؤه، وهي تُشْبِهُ قُلَّةَ الماء والحالة هذه، وهذه كانت معروفة بهذه التسمية عندهم، واشتهرت منها قِلَالُ اليمَنِ والأحساء. أما القِنَانُ (جمع قَنَّة) فهي التَّسَوَاتِ البارزة المرتفعة في الجبل، وتكون أدون من القِمة أو القلَّة.

وأما الجِمَى، فالذي يقصده الشاعر هنا هو جِمَى النَّيِّر، وهو جِمَى كُلَّيْب وائل في القديم، ويقع في الجنوب الغربي من ديار قشير (العرب/١٤٤)، قال ياقوت: "النَّيِّرُ جَبَلٌ بِأَعْلَى تَحْدِ شَرْقِيَّةِ لَعْنِي ابْنِ أَغْصَرُ وَغَرِيْبُهُ لِعَاظِرَةُ بِنِ صَعْصَعَةَ بِنِ مُعَاوِيَةَ بِنِ بَكْرِ بْنِ هُوَازِن، وجذءه بالأحساء يوازي يقال له ذو بحار، وهذا الوادي يتعض من أقاصي النَّيِّر ... وبالتَّيْرِ قَبْرُ كُلَّيْبِ بْنِ وائل - على ما خبرنا بعض طيِّبٍ - على الحَبْلَيْنِ، قال: وهو قُرْبُ ضَرْبَةٍ" (البلدان: النَّيِّر)، ويردُّ في البيت التالي

أما جَبَلِ الْأَوْشَالِ، فَلَمْ أَقِفْ لَهُ عَلَى تَعْرِيفٍ فِي مَصَادِرِ الْبِلَادِ، وَوَجَدْتُ الْجَامِرَ قَالَ: "قَدْ يَكُونُ هَذَا الْاسْمُ لَيْسَ عَلَمًا، وَإِنَّمَا هُوَ جَبَلٌ تَكَثَّرَ فِيهِ أَوْشَالُ الْمَاءِ؛ هَذَا إِذَا لَمْ يَكُنِ الْاسْمُ مُحَرَّفًا" (العرب/١٤٤)، وَتَابِعَهُ الْفَيْصَلُ (شعراء قشير ٧٤/٢، ديوانه/٣٧). وَالْوَشَلُ: الْمَاءُ الْقَلِيلُ يَتَحَلَّبُ؛ وَذَلِكَ إِذَا تَكَوَّنَ سَفْحُ الْجَبَلِ مِنَ التُّرَابِ وَالصُّخُورِ غَيْرِ الْمُتَّصِلَةِ بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ، فَعِنْدَمَا يَنْزِلُ الْمَطَرُ يَخْتَرِنُ التُّرَابُ شَيْئًا مِنْهُ، وَيَتَغَلَّقُ الْمَاءُ فِي التُّرَابِ حَتَّى يَصِلَ حَدَّ الصَّخَرِ الصَّلْبِ، فَيَنْزِلُ عَنْهُ إِلَى أَسْفَلٍ مُتَحَدِّرًا حَتَّى يَجِدَ مَخْرَجَهُ أَسْفَلَ السَّفْحِ عِنْدَ أَصُولِ الْجَبَلِ مِمَّا يُحَاطِذِي الْوَادِي. وَقَدْ رَوَى يَاقُوتُ عَنْ أَبِي مَنْصُورٍ قَالَ: "رَأَيْتُ فِي الْبَادِيَةِ جَبَلًا يَقَطُرُ مِنْهُ فِي لَحْظٍ مِنْ سَقْفِهِ مَاءٌ فَيَجْتَمِعُ فِي أَسْفَلِهِ، يُقَالُ لَهُ الْوَشَلُ. وَقَالَ الْجَوْهَرِيُّ: وَشَلَّ اسْمُ جَبَلٍ عَظِيمٍ يَنَاجِيهِ تِهَامَةٌ، وَفِيهِ مِيَاءٌ عَذْبَةٌ ... وَقَالَ أَبُو عُبَيْدِ اللَّهِ السَّكُونِيُّ: الْوَشَلُ مَاءٌ قَرِيبٌ مِنْ غَضُورٍ وَرَمَانٍ شَرْقِيٍّ سَمِيرَاءَ؛ وَلِحِفِّ الْجَبَلِ أَصْلُهُ (البلدان: الْوَشَلُ)، وَلَعَلَّ هَذَا الْجَبَلَ هُوَ الْمَقْصُودُ بِعَيْنِهِ، فَسَمِيرَاءُ هَذِهِ تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا فِي حَدِيثِ طَلْبَةِ الْأَسَدِيِّ الْمَتْنِيِّ (انظر الهامش الأول في المقطوعة البائية الرابعة - أكتاف الشباب).

وَاسْتَهَلَّتْ الْعَيْنُ: دَمَعَتْ، وَمِنْهَا أَهْلَتْ عَيْنُهُ وَتَهَلَّلَتْ، وَتَكُونُ بِمَعْنَى سَأَلَتْ بِالذَّمِّ إِنْ أَغْزَرَتْ، انظر (اللسان: هَلَل).

٢ وَلَا النَّيِّرَ إِلَّا أَسْهَلَتْ وَكَأَنَّهَا عَلَى رَمَدٍ بَاتَتْ عَلَيْهِ وَظَلَّتْ^(١)
٣ لَجُوجٍ إِذَا لَجَّتْ، بِكِيٍّ إِذَا بَكَتْ بَكَتْ فَادَّقَتْ فِي الْبُكَاءِ وَأَجَلَّتْ^(٢)
٤ كَمَا هَمَّتْ طَرْفًا نَاشَتْ غُصُونُهَا جَنُوبٌ وَقَدْ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ طَلَّتْ^(٣)

(١) فِي الْعَرَبِ وَدِيَوَانِهِ وَشِعْرَاءُ قَشِيرَ (رَبْعٍ)، وَالصَّوَابُ مَا أَتَيْنَاهُ. وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُ النَّيِّرِ فِي الْهَامِشِ الْمُتَقَدِّمِ (الجمي)، أَمَّا الرَّمَدُ فَهُوَ أَلَمٌ يُصِيبُ الْعَيْنَ بِاتِّفَاعٍ وَاحْتِرَارٍ، وَنَعْرِفُ لَهُ الْيَوْمَ أَنْوَاعًا مِنْهَا الرَّمَدُ الرَّبِّيُّ. وَأَسْهَلَتْ الْعَيْنُ سَأَلَ دَمْعُهَا، وَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ الْأَرْمَدَ وَالرَّمْدَاءَ يُغَيِّرُ الدَّمْعُ فِي عَيْنَيْهِمَا أَقْلَ أَثَرٍ مِنْ رِيحٍ أَوْ غَبَارٍ أَوْ ضَوْءٍ زَائِلٍ وَهَاجٍ
(٢) الْعَيْنُ اللَّحُوجُ: الَّتِي دَمْعُهَا لَجُوجٌ؛ تِلْكَ الَّتِي تَتِمَادَى فِي الْبُكَاءِ وَتَأْبَى أَنْ تَنْصَرِفَ عَنْهُ، قَالَ أَبُو ذُؤَيْبٍ الْهَذَلِيُّ: (اللسان: لَجَجَ)
(٣) فَإِنِّي صَبَرْتُ النَّفْسَ بَعْدَ ابْنِ عَتَبَسٍ فَقَدْ لَجَّ مِنْ مَاءِ الشُّوُونِ لَجُوجٌ

أَمَّا بِكِيٍّ: فَهِيَ بِمَعْنَى بُكَاءٍ، وَأَدَّقَتْ وَأَجَلَّتْ أَيَّ أَقْلَتْ وَزَادَتْ، فَهِيَ إِذْنُ لَا تَنْقَطِعُ عَنِ الْبُكَاءِ، إِنَّمَا يَخْفُفُ دَمْعُهَا قَلِيلًا ثُمَّ يَزِدُّ شَيْئًا فَشَيْئًا
(٣) فِي دِيَوَانِهِ (جَنُوبٌ)، هَمَّتْ السَّمَاءُ: صَبَّتْ مَاءَهَا وَأَغْزَرَتْ مَطَرَهَا، وَإِذَا كَثُرَ دَمْعُ الْعَيْنِ شَبَّ عَنْدهُمْ بِالنَّسْكَابِ الْقَطْرِ، وَابْتِلَاقِ الْمَاءِ مِنْ مُرَادَةٍ لَمْ يُحْكَمْ حَرْزُهَا، أَمَّا الطَّرْفَاءُ، فَجَمَاعَةُ الطَّرْفَةِ، نَوْعٌ مِنَ الشَّجَرِ؛ قَالَ فِي الْلسَانِ: "الطَّرْفَاءُ مِنَ الْعِضَاءِ، وَهَذِهِ مِثْلُ هَذَبِ الْأَثَلِ، وَلَيْسَ لَهُ خَشَبٌ، وَإِنَّمَا يُخْرِجُ عَصِيًّا سَمْحَةً فِي السَّمَاءِ، وَقَدْ تَحَمَّضُ بِهِ الْإِبِلُ إِذَا لَمْ تَجِدْ حَمَضًا غَيْرَهُ" (طرف)، فَيَكُونُ تَشْبِيهُهُ لِأَنَّهُمَا الدَّمْعُ مِنَ الْعَيْنِ هُنَا بِالْخِمَارِ قَطَرَاتِ الطَّلِّ عَنْ أَغْصَانِ الطَّرْفَاءِ حِينَ تُحْرَكُ أَغْصَانُهَا الرِّيحَ الْجَنُوبُ، وَلَوْ لَمْ تَكُنْ أَغْصَانُ الطَّرْفَةِ مُسْتَدَقَّةً سَمْحَةً صَاعِدَةً فِي السَّمَاءِ لَمَا كَانَ تَشْبِيهُهُ دَقِيقًا، لِأَنَّ كَوْنَهَا كَذَلِكَ يَجْعَلُ حَرَكَةَ أَغْلَى الْقَطَرَاتِ مَكَائِلًا إِلَى أَسْفَلٍ تُحْرَكُ الْقَطَرَاتُ دُونَهَا، وَهَكَذَا تَسَابِلُ الْقَطَرَاتِ مِنْ أَعْلَى إِلَى أَسْفَلٍ مُتَحَدِّرَةً مُتَلَاحِقَةً فِي الْأَسْبَابِ وَتَتَابِعُ. أَمَّا قَوْلُهُ (نَاشَتْ غُصُونُهَا)، فَعَلَى تَشْبِيهِ مَا تَفْعَلُهُ الرِّيحُ الْجَنُوبُ هَذِهِ الْأَغْصَانُ مِنْ تَحْرِيكِهَا بِمَا تَفْعَلُهُ الْأَنْعَامُ وَالطَّيَاءُ مِنْ تَوْشِي الْأَغْصَانِ؛ فَكَأَنَّهُمَا يَسْبَبُ حَرَكَةَ خَفِيفَةً لَا غَنَفَ فِيهَا وَلَا صَخْبَ؛ فَكَأَنَّهُ جَعَلَ لِلرِّيحِ مَا لِلطَّيَاءِ وَغَيْرِهَا.

وَنَقُولُ: "طَلَّتْ" أَيَّ أَصَابَهَا الطَّلُّ، أَوْ تَلَدَّتْ، أَمَّا "طَلَّ"، فَهُوَ مِنْ مَطْلُورِ الدَّمِّ، وَلَا تَقُومُ هَذِهِ مَكَانَ تِلْكَ، وَالضَّمُّ فِيهَا لِمَعْنَى (تَلَدَّتْ) (هَكَذَا وَرَدَ فِي هَامِشِ تَعْلِيقَاتِ الْمَحْرِيِّ).

- ٥ ألا قاتل الله الحمى من محلة
وقائل دنانا بها كيف ولت^(١)
٦ غنينا زمانا بالحمى ثم أصبحت
عراص الحمى من أهلها قد تحلت^(٢)
٧ ونادي المُنادي بالفراق ففوضوا
ببونا ترى أطنابها حيث شدت^(٣)
٨ شدت تبوي حشوة صببت بها
يد الشوق يوم البين حين حزّلت^(٤)
٩ وقلت لأصحابي غداة فراقها :
وددت البحور العام بالناس طمت^(٥)
١٠ فتقطع الدنيا التي أصبحت بهم
كمثل مصابات على الناس عمت^(٦)
١١ ولكلما الدنيا كفي غمامة
أظلت بغير ساعة واضمحلت^(٧)

(١) في ديوانه (ولت)، المحلة والمحل كالمنزل والمنزلة، ويكون المحل والمحلة الموضع الذي يحل فيه، ويكون المحل مصدراً، وكلاهما يفتح الحاء لأتقيا من حل يحل، أما محل فهو من حل يحل أي وجب.

(٢) في الحمدونية والعرب (كيف أصبحت)، وفيهما وفي شعراء قشير وديوانه (عراص اللوى)، وهو تصحيف ظاهر. والعراض والعراضات جمع عرصة، وهي الساحة والبناء. ويقال: "حلى الأمر وتخلّى منه وعنه وحالاه: تركه" (اللسان: خلا).

(٣) في العرب وشعراء قشير وديوانه (ترى أطنابها) ولا وجه للخطاب هنا، ويقوي ما أثبتناه قوله (شدت) بالبناء للمجهول. والبيت وما يليه من أبيات تظهر أن القصيدة قيلت في ارتحال بني عمه عن الديار التي كان يقيم فيها إلى مرابع أخرى في ديار قشير. وتقويض البيوت طيها بعد فك أطنابها إيداً بالرحيل.

(٤) شدّ ثيابه على خصره ليقل من إيلام كبده، والحشوة هنا الحشا أو الأحشاء. أما (ضبت) فهي بمعنى أمسكت بها تماماً، وجعلتها في قبضتها في شدة (اللسان: ضبت)، والبين الفراق. أما الاخرتلال، فهو الارتفاع في السّير والأرض، واحزّلت الإبل إذا اجتمعت ثم ارتفعت عن متن من الأرض في ذهابها (اللسان: حزل). وهذا يسبق غيابها عن النظر؛ لأنها عمّا قليل يخفيها منخفض من الأرض بعد ارتفاعها، وهذه عادة ما تكون لحظة النظرة الأخيرة التي يلقها العاشق.

(٥) يتمي لو حل طرفان بالثلاث جميعاً.

(٦) فراقها كأنه نهاية الدنيا عنده، لكنه يتمي لو كان ذلك على الحقيقة.

(٧) مقصوده أن السعادة قصيرة العمر؛ في حين يسيطر الحزن في الأعم الأغلب، وواقع الأمر أن هذا كان نهجاً معروفاً عند شعراء العرب، ولهذا تجد شاعرهم يقول:

يطول اليوم لا ألفاك فيه وخول نلتقي فيه قصير

وترى هذا المعنى عند شعراء عصرنا هذا، فتجد محمود درويش يقول في رثاء راشد حسين إنه كان (طويلاً كشيد ساحلي وحزين)، والجامع بين هذه الأقوال في محملها هي أن الزمن الموضوعي قد يختلف إحساس الناس به، فتختلف قيمته الفيزيائية من ثمة، فهذا يرى الليل طويلاً بسبب حزنه وأرقه، ويراه الآخر قصيراً لفرجه وخلوة ما ينوقه فيه.

- ١٢ ألا قاتل الله الحمامة غدوة
على الفرع ماذا هيّجت حين عنت
١٣ نعت غناء أعجبمياً فهيجت
جواي الذي كانت ضلوعي أجنت
١٤ نظرت بصحراء البريقين نظرة
حجازية لو جن طرف لجنت^(١)
١٥ أقول لعثمان بن وهب وقد رأى
سحوقي جرت فيها دموعي فبلت^(٢)
١٦ ألكني إلى طيا، ألكني لحاجة
من الحاج قد همت بنفسي وهمت^(٣)
١٧ بآية ما سارت، فلما تمكنت
حبائلها من شعبة القلب حلت^(٤)
١٨ وقالت: حللنا وإديا ذا طريفة
وكانت مطايانا من السير كلت^(٥)
١٩ فحلت محلاً لم يكن حل قبلها
وهانت مراقبه لطيا وذلت^(٦)

(١) صحراء البريقين: رملّة في بلاد قشير، متنى البريق (ياقوت: البريقان).

(٢) في ديوانه (عثمان بن وهب)، ولا يستقيم. وعثمان بن وهب أخذ أصحاب الشاعر، لكنني لم أفهم له على ذكر في المصادر. أما (السحوق)، فهي مجاري الدمع مما يحاور العين، وسحقت العين الدمع: حذرت (اللسان: سحقت).

(٣) ألكني إليها، أي أرسلني إليها، ألحقني بها، ألغها بأثري (اللسان: ألك). أما الحاج فجمع حاجة. وأما قوله (همت) الأولى، فهي من معنى همت به، أي أرادته، وهمت بنفسي أي همت بإثلافها، أما الأخرى فهي من معنى الهمة، أي أسكنتها الهمة والكند (اللسان: هم).

(٤) الشعبة: ما شعب من الجلد ليكون حقيباً أو مزادة؛ والشعب هنا بمعنى خرز الجلد بالمشعب ليحاط (اللسان: شعب)؛ فكانه أراد أنها لما استحكمت علائق هواها من قلبه، وأوتقته بيجال الوصل والعيش حتى تمكنت من فواده، رحلت فحلت ما كانت أو تفت غراه.

(٥) الطريقة ضرب من الكلاء، وهي من التبات أوله الذي تستطرقه الأنعام فترعاه، وقيل سميت بذلك لطرافتها وكربها، وأطرفت الأرض: كثرت طريفاتها، وأرض مطروقة: كثيرة الطريفة (اللسان: طرف)، والقصد هنا إلى الوادي المشعب الخصيب، أما الكلال فالتعب.

(٦) المراقبي: جمع (مراقب)؛ ما يرتقى من الأرض، وهي مرتفعاتها. وقوله (هانت) ... وذلت) يشير به إلى أن الصعاب ذلت ليخيبته في رحلتها، وإلى أن المقام طاب لها في مرتحلها عند ذلك الوادي. وثمة ما يمكن لحظته هنا في قوله (طيا) بدل (ربا)، وهو أن القصائد التي غلب على إحساس الشاعر فيها هجر طيا، أو التآلم ليراقها وفراق دياره بعد أن تزوجت، قد غلب عليها هذا الاسم (طيا)، في حين غلب (ربا) على قصائد حنينه إليها، وتشوقه إلى ترحل ليراقها، ولعل الاسم (طيا) يحيل في ثناياه شيئاً من الطي الذي يدل على التهايات دائماً، وطي المتأوز والرحيل والفراق!

- ٢٠ خَلِيلِي، فِي طَبَا أَقْلًا مَلاَمِي فَقَدْ بَخَلْتُ طَبَا عَلَيْنَا، وَضَنْتِ^(١)
- ٢١ لَعْمَرِي، لَنْ أَحْبَبْتُ طَبَا، وَأَثَرْتُ عَلَى الْعِدَا، مَا سُنَّةَ الْعَدْلِ سَنَّتِ
- ٢٢ أَظَلُّ أَمْنِيهَا الْفَوَادَ سَفَاهَةً إِذَا مَا أَتَطَوْتُ نَفْسِي عَلَى الْيَأْسِ مَلَّتِ^(٢)
- ٢٣ فَوَجَدِي بِطَبَا وَجَدُ أَشْمَطَ رَاعَهُ بِوَاحِدِهِ دَاعِي الْمَنَايَا أَلَمَّتِ^(٣)
- ٢٤ وَوَجَدِي بِطَبَا وَجَدُ بِكَرٍ غَرِيرَةٍ عَلَى وَالِدِيهَا فَارَقَاهَا فَجَنَّتِ^(٤)
- ٢٥ وَوَجَدِي بِطَبَا وَجَدُ هِمَاءَ حَلَّتْ عَنْ الْمَاءِ كَانَتْ مُنْذُ خَمْسِينَ صَلَّتِ^(٥)

(١) جرى في البيت على عادة الشعراء في نداء الصاحبين، وقد تقدم الحديث عن ذلك. وأضيف هنا أن من عادات الراحلين أن يكونوا جنمًا زرافات لا وخذائًا، ويبدو أن أدنى عذو للسفر عند العرب في الأحوال العادية كان ثلاثة؛ تَلَحُّجٌ مثل هذا في قوله عليه الصلاة والسلام: (إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فَأَمَرُوا وَاحِدًا مِنْكُمْ)، ولهذا جررت العادة بمناداة الاثنين أكثر من نداء الواحد والجماعة عند الشعراء!

(٢) هاء المفعول في (أَمْنِيهَا) تحتمل العود إلى (طَبَا) في البيت المتقدم؛ فيكون المعنى على هذا أنه أقام ذمًّا يُمْنِيهَا يُلْكُ فَوَادِهِ، وأنه يغير بكونه سقيمًا لما فعل، كما تحتمل العود إلى (نَفْسِي) المتأخّرة في عجز البيت؛ فيكون المعنى على هذا الوجه أنه ظل يَمْنِي نَفْسَهُ بما في فَوَادِهِ من حُبٍّ، وبأنه قد قُرِبَ وصالته؛ لَكِنَّهُ كَانَ سَقِيمًا إِذْ أَمْسَ بِذَلِكَ، وَلَمْ يَأْمَنْ غَوَائِلَ الذَّهْرِ وَصُرُوفَهُ، حَتَّى تَمْلِكَ نَفْسَهُ الْيَأْسَ فَمَلَّتْ أَمَانِيَهُ الْمَعْسُولَةَ الْحَادِغَةَ، وَيُعَوِّي هَذَا الْوَجْهَ أَنَّهُمْ سَلَكُوا فِي شِعْرِهِمْ مِثْلَ هَذَا؛ يَقُولُ شَاعِرُهُمْ (أَعْلَلُ النَّفْسَ بِالْأَمَالِ). لَكِنَّ الْأَوَّلَ أَقْوَى وَأَقْرَبُ؛ مِنْ حَيْثُ يَدُلُّ عَلَى مِقْدَارِ خُضُوعِهِ لِخَبِيئَتِهِ، وَمَا كَانَ يَدُلُّ لَهَا مِنْ أَمَانِيٍّ؛ لَكِنَّهُ لَمْ يَقَوْ عَلَى مِلْكِهِ مَا يُحَقِّقُ بِهِ وَعُودَهُ!

(٣) الأَشْمَطُ مِنَ الرِّجَالِ: الَّذِي وَخَطَ الشَّيْبُ فِي شَعْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي بَلَغَ مِنَ الْعُمُرِ مَبْلَغًا يَحْتَاجُ فِيهِ إِلَى أَنْ يَسْتَظْهَرَ يَغْيِرَهُ عَلَى مَتَاعِبِ الدُّنْيَا، وَيَطْمَئِنُّ إِلَى أَنَّ لَهُ مَعِينًا عَلَى صُرُوفِهَا، وَقَارِبَ عَلَى سِنٍّ لَا يُنْجِبُ فِيهَا، وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي قَصِدَ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ حِينَ قَالَ: (بِوَاحِدِهِ)؛ أَيِ بَائِسِهِ الْوَحِيدِ. وَمَوْثِقُهُ الشَّمَطَاءُ (اللسان: شَمَطَ)، وَهُوَ فِي الْبَيْتِ يُصَوِّرُ مَدَى حُزْنِهِ وَفَجِيعَتِهِ بِفِرَاقِ رَبِّهَا.

(٤) الْبُكَرُ مِنَ النِّسَاءِ: الَّتِي لَمْ تَتَزَوَّجْ بَعْدَ، وَحَدِيثَةُ السِّنِّ يَمْنَعُنِي الْمَعْنَى؛ وَالْغَرِيرَةُ مِنَ النِّسَاءِ تُقَابِلُ الْغُرَّ مِنَ الرِّجَالِ؛ أَيِ لَمْ تَخْتَرِ الدُّنْيَا بَعْدَ؛ فَهِيَ فِي حَاجَةٍ إِلَى غَيْرِهَا؛ وَلَا سِيَّمَا أَبَوَيْهَا (اللسان: غَرِرَ).

(٥) الْهِمَاءُ: التَّاقَةُ الَّتِي أَصَابَهَا الْهَيْامُ؛ وَهُوَ شَيْدَةُ الْعَطَشِ، وَحُلَّتْ؛ صُدَّتْ وَأَبْعِدَتْ، وَالْجِمْسَانُ مَتْنَى الْجِمْسِ؛ وَهُوَ وَرُودُ الْمَاءِ بَعْدَ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، وَالْعَرَبُ يَقُولُ: ثَلَاثٌ وَرَبْعٌ ... إِلَى تِسْعٍ، وَلَا يَقُولُ: عِشْرُونَ، وَلِذَلِكَ تَنَى الشَّاعِرُ الْخَمْسِينَ لِيَدُلَّ عَلَى انْقِطَاعِ التَّاقَةِ عَنْ وَرُودِ الْمَاءِ بَعْدَ عِشْرَةِ أَيَّامٍ، (اللسان: هِم، حَلَا، خَمْس). وَالْبَيْتُ يُدْكَرُ بِقَوْلِ ابْنِ الطَّرَفَةِ:

فَمَا وَجَدُ مِلْوَاحٍ مِنَ الْهَيْمِ حُلَّتْ
عَنْ الْمَاءِ حَتَّى جَوَّفَهَا يَتَصَلَّصَلُ
تَحُومُ وَتَلْحَاها الْعَيْصُ وَخَوَّلَهَا
أَفَاطِيعُ الْأَعَامِ تَعْلُ وَتَنْهَلُ
بِأَكْثَرِ مَنِي غُلَّةٍ وَتَنْهَلُهَا
إِلَى الْوَرْدِ إِلَّا آتَى أَتَجَمَّلُ

- ٢٦ إِذَا سَافَتِ الْأَغْطَانُ، أَوْ شَمَّتِ الثَّرَى رَمَاهَا وَلِيَّ الْمَاءِ عَنْهُ، فَوَلَّتِ^(١)
- ٢٧ وَإِنْ أَشْرَفْتُ مِنْ أَكْمِ الْمَاءِ مَيِّفَعًا لَوْتُ رَجُلَهَا الْيُسْرَى بِالْأُخْرَى فَحَنَّتِ^(٢)
- ٢٨ فَحَنَّتْ حَنِيبًا يُطْرِبُ الصَّبَّ ذَا الْهُوَى وَقَدْ نَهَلَتْ مِنْهُ بِيَأْسٍ وَعَلَّتِ^(٣)
- ٢٩ وَلَا وَجَدُ بِكَرٍ حُرَّةً أَرْحِيَّةً تَرُودُ حَوَالِي طِفْلِهَا قَدْ أَتَمَّتِ^(٤)
- ٣٠ أَتَيْجَ لَهَا فِيمَا تَرُوحُ وَتَعْدِي خُشَارُمُ مِنْهُ رُعْبُهَا فَاشْمَعَلَّتِ^(٥)
- ٣١ وَجَاءَتْ مُفْجَأَةً تَرَى فَرَثَ طِفْلِهَا بِسِرْحَانِهِ أَظْفَارُهَا قَدْ كَدَمَتْ^(٦)

(١) سَافَتِ الْأَغْطَانُ: تَنَشَّقَتْ رَائِحَةُ مَبَارِكِ الْإِبِلِ حَوْلَ الْمَاءِ (اللسان: سوف، عطن)، وَلِيَّ الْمَاءِ: الَّذِي يَقُولِي أَمْرَ سَفَى الْإِبِلِ، أَيِ حَلَّاهَا عَنْ الْمَاءِ فَاتَهَرَّهَا أَوْ رَمَاهَا بِخَجَرٍ فَوَلَّتْ.

(٢) أَشْرَفْتُ: نَظَرْتُ مِنْ مَكَانٍ مُشْرِفٍ عَلَيْهِ، وَهُوَ الْمَيِّفَعُ (اللسان: يفع)، وَالْأَكْمُ جَمْعُ أَكْمَةٍ، وَهِيَ أَشْرَافُ فِي الْأَرْضِ كَالرَّوَابِي (اللسان: أَكَم)، وَأَمَّا لَيْهَا رَجُلَهَا الْيُسْرَى بِالْيَمْنَى فَكَيَانَةٌ عَنْ تَحَسُّرِهَا عَلَى صَدِّهَا عَنِ الْمَاءِ مَعَ شِدَّةِ عَطَشِهَا، وَهِيَ تَرَى غَيْرَهَا يَرُدُّهُ فَلَا يَصُدُّ مِثْلَهَا، أَمَّا حَنِيبُهَا؛ فَصَوْتُ حَزِينٍ تُطْلِقُهُ التَّاقَةُ حِينَ تُرْجَلُ تَارِكَةً فَصَلَّيْهَا وَرَافَهَا، أَوْ تَمُرُّ بِدِيَارِ كَانَتْ فِيهَا قَبْلُ. وَالْجَدِيرُ بِالذِّكْرِ هُنَا أَنَّ غَزَلِي الْبَايِزَةَ أَكْثَرُوا فِي شِعْرِهِمْ مِنْ تَصْوِيرِ حَزِينِ الْإِبِلِ؛ كَمَا فَعَلُوا بِهَدِيلِ الْحِمَامِ، وَوَضَفُوهُ فِي تَصْوِيرِ لَوَاعِيهِمْ وَزَفَرَاتِهِمْ الْحَرَى حِينَ يَفَارِقُونَ دِيَارَهُمْ وَمَحَبَّاتِهِمْ.

(٣) الصَّبُّ: الْعَاشِقُ (اللسان: صَبَب)، وَالتَّهْلَةُ: الشَّرْبَةُ الْأُولَى، تَلْبِهَا الْعَلَّةُ (اللسان: نهل، علل).

(٤) بدأ الشاعر في هذا البيت مع ما يليه (٢٦-٣١) باستخدام التصوير باللوحية، فَهُوَ يَرْمِزُ لَوَجْهِهِ صُورَةً مُقَابِلَةً بِاسْتِخْدَامِ اسْلُوبِ التَّذْوِيرِ؛ حَيْثُ يُوَدِّي كُلُّ بَيْتٍ حُرُوتًا مِنْ حُرُوتَاتِ اللُّوحَةِ الَّتِي يَرَسُمُهَا، وَهُوَ بِذَلِكَ يُحَاوِلُ أَنْ يَسْتَفْصِلَ التَّفْصِيلَاتِ الَّتِي يَرَاهَا مُؤَدِّيَةً لِلْحَالَةِ الَّتِي يَرِيدُ تَصْوِيرَهَا. أَرْحَبُ: قَبِيلَةٌ مِنْ هَمْذَانَ تُنْسَبُ إِلَيْهَا النُّجَابُ الْأَرْحَبِيُّ (اللسان: رَحَب)، تَرُودُ: تَرُوحُ وَتَعْدِي غَيْرَ آمِنَةٍ؛ فَهِيَ تَظَلُّ تَبْحَثُ عَنْهُ (اللسان: راذ)، أَتَمَّتِ التَّاقَةُ، وَهِيَ مُتِمَّةٌ: ذَنَا تَنَاجُهَا (اللسان: تَمَم).

(٥) الْخُشَارُمُ: الْأَصْوَاتُ، وَخَشَرَمَتِ الصَّيْحُ: صَوَّتَتْ فِي أَكْلِهَا (اللسان: خَشَرَمَ)، اشمَعَلَّتْ: ارْتَسَعَتْ فَأَجْفَلَتْ مُسْرِعَةً (اللسان: شَمَعَل)، وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ صُورَةٌ لِتَاقَةِ أَنْتَتْ حَمْلُهَا وَدَنَا تَنَاجُهَا، تَرعى وَطِفْلُهَا فَرَاغَهَا صَوْتُ ضَجِّ أَجْفَلَتْ مِنْهُ، ثُمَّ عَادَتْ تَبْحَثُ عَنْ طِفْلِهَا فَوَجَدَتْ أَشْلَاءَهُ مُتَنَائِرَةً.

(٦) مُفْجَأَةً: عَظِيمَةً الْبَطْنِ بِسَبَبِ تَمَامِ حَمْلِهَا؛ أَيِ ثَقِيلَةً الْحَرَكَةِ (اللسان: فجأ)، وَالْفَرَثُ: حَشَوُ الْمِعْدَةِ (اللسان: فرث)، وَالسَّرْحَانَةُ: أُنْثَى السَّرْحَانِ؛ الدَّبَّةُ (اللسان: سرح).

- ٣٢ تَهْزُّ مِنَ الْوَجْدِ الْحَصِيلَ ، وراعيها صَوِيَتْ حَنِيٌّ خَلْفَهَا فَاقْشَعَرَّتْ^(١)
- ٣٣ فَمَا وَجَدَتْ مِنْ طِفْلٍ غَيْرَ شِلْوِهِ شَمَاطِيطَ لَمْ تَقْنَعْ بِهَا حَيْثُ شَمَّتْ^(٢)
- ٣٤ فَظَلَّتْ تُرَاعِي شِلْوَهَا مُسَاحِنَةً إِذَا سَلَيْتِ رَجَعَ الْحَنِينِ اسْتَهَلَّتْ^(٣)
- ٣٥ وَلَا أَمْ أَحْوَى شَادِنٍ عَطَفَتْ لَهُ قُبَيْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ، أَوْ حِينَ ذَرَّتْ^(٤)
- ٣٦ فَلَمَّا سَقَمَهُ الدَّرُّ أَحْجَمَ قَائِمًا إِلَيْهَا قَلِيلًا ، ثُمَّ وَلَّى وَوَلَّتْ^(٥)
- ٣٧ إِلَى مَرَرٍ قَدْ عَوَّدَتْهُ وَمَهْمَلٍ سَلِيلٍ ، فَظَلَّتْ يَوْمَهَا حِينَ ظَلَّتْ^(٦)
- ٣٨ فَلَمَّا دَنَا الْإِظْلَامُ أَذْرَكَ سَمْعَهَا صَوْبًا خَبِيًّا رَاعِيَهَا فَاحْزَلَّتْ^(٧)

- ٣٩ تَمَارَتْ عَلَى جَرْسٍ ، فَصَنَّتْ بِجِيدِهَا وَكَانَتْ عَلَى طُولِ الْحَلَاءِ أَذَلَّتْ^(١)
- ٤٠ وَدَارَتْ بِأَذْنَى عَهْدِهِ ، ثُمَّ رَاجَعَتْ أَمَاقِي تَكَلَّى ، مَا تَجِدُ مَا أَضَلَّتْ^(٢)
- ٤١ وَلَا وَجَدُ أَغْرَابِيَّةٍ قَدَفَتْ بِهَا صُرُوفُ النَّوَى مِنْ حَيْثُ لَمْ تَكُ ظَلَّتْ^(٣)
- ٤٢ يَشْدُ عَلَيْهَا الْبَابَ أَحْمَرُ لَازِمٍ عَلَيْهَا رُقَاقِي قَرِيَّةٍ قَدْ أَبْنَتْ^(٤)
- ٤٣ كَمَنْتُ أَحَالِيْبَ اللَّقَاحِ وَضَيْعَةً بِنَجْدٍ ، فَلَمْ يَقْدِرْ لَهَا مَا تَمَنَّتْ^(٥)

(١) تَمَارَتْ: شَكَتْ وَتَوَحَّشَتْ خِيفَةً، وَهُوَ مِنَ الْبُيُوتِ (اللسان: مَرَا)، الْحَرْسُ: الصَّوْتُ الْخَفِيُّ (اللسان: جَرْس)، نَصَّتْ بِجِيدِهَا (أَوْ جِيدِهَا): رَفَعَتْ عُنُقَهَا فِي اسْتِقَامَةٍ (اللسان: نَصَص)، وَهَذَا فِعْلٌ أَلْفَنَا رُؤْيَا الْخَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ تَفَعَّلَهُ حِينَ تُؤْنِسُ مَا يُرْعِيهَا صَوْتًا أَوْ حَرَكَةً؛ وَذَلِكَ أَذْعَى لَهَا لِكَيْ تَرَى مَا حَوْلَهَا، وَتَسْمَعُ مَا يَصْدُرُ مِنْ أَصَوَاتٍ بَعِيدًا عَنِ الْأَرْضِ الَّتِي قَدْ تَقَلَّ أَصَوَاتُ أَقْدَامِ الْخَيَوَانَاتِ الْبَعِيدَةِ الْمَرَاكِضَةِ. الْحَلَاءُ وَالْحَلَاءَةُ: الْأَرْضُ الَّتِي تَقْشَرُ سَطْحُهَا، عَلَى التَّشْبِيهِ بِالْحَلَا وَالْحَلَى مَقْصُورًا وَمَهْمُوزًا، وَهُوَ الْقَشْرَةُ عَلَى جِلْدِ الْكَوْعَيْنِ أَوْ الرُّكْبَيْنِ (اللسان: حَلَا)، وَأَذَلَّتْ: عَهَدَتْ ذَلِكَ الْمَكَانَ فَاصْبَحَتْ لَا تَخَافُ الرَّعْيَ فِيهِ، وَهُوَ مِنَ الْإِذْلَالِ (اللسان: دَلَل).

(٢) الْأَمَاقِي: جَمَعَ لِاحْدَى الْأَلْفَافِ الدَّالَّةِ عَلَى مُؤَخَّرِ الْعَيْنِ أَوْ مُقَدِّمِهَا، وَهِيَ: "مُؤَقٌّ وَمَأَقٌّ وَمُوقٌّ"، وَجَمَعَ "الْمُؤَقِّي وَالْمَأَقِي" مَأَقٍ عَلَى الْقِيَاسِ، وَبَعْضُهُمْ يَزَكُّ هَمْزَهَا، وَيَجْمَعُهَا عَلَى أَمْوَاقٍ إِلَّا فِي لُغَةٍ مِنْ قَلْبٍ فَقَالَ: أَمَاقٍ (اللسان: مَاق)، وَيَدُلُّ فِي الْبَيْتِ عَلَى أَنَّهَا ضَلَّتْ عَنْ شَادِنِهَا بِسَبَبِ الصَّوْتِ الَّذِي رَاعِيَهَا، ثُمَّ أَخَذَتْ تَدُورُ فِي الْمَرْعَى فَلَمْ تَجِدْهُ، فَعَاوَدَهَا الْبُكَاءُ.

(٣) لَعَلَّ فِي هَذَا الْبَيْتِ وَمَا يَلِيهِ (٤١-٤٤) مَا يَذْكُرُ بِأَثْبَاتٍ مَبْسُورٍ بَنَتْ يَحْذِلُ حِينَ قَالَتْ:

لَبَيْتُ تَخْفِقُ الْأَرْوَاحُ فِيهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرِ مُنِيفٍ
وَلَيْسَ عِبَادَةٍ وَتَقَرَّرَ عِنِّي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لَيْسَ الشُّقُوفِ

(٤) الْأَحْمَرُ مِنَ الرِّجَالِ: الْبَحِيلُ الَّذِي لَا يُعْطِي إِلَّا بَعْدَ الْحَاجِ، وَهُوَ غَيْرُ ذِي السَّلَاحِ (اللسان: حَمَر)، وَالرُّقَاقِ: الطَّرِيقُ الضَّيِّقُ النَّافِذُ وَغَيْرُ النَّافِذِ، وَهُوَ دُونَ السَّكَّةِ - يُذَكَّرُ وَيُؤْنَسُ (اللسان: رَقَق)، وَأَبْنَى فَلَانٌ بِالْمَكَانِ إِذَا لَزِمَهُ وَأَقَامَ فِيهِ (اللسان: بَنَى)، وَفِي هَذَا الْبَيْتِ يَصِفُ حَالِ الْأَغْرَابِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تَحِلُّ حَرَّتِهَا فِي الْإِنْطِلَاقِ بِلَا قَبْرٍ؛ ثُمَّ أَصْبَحَتْ رَهْنَةً جُدْرَانِ بَيْتٍ يَشْدُ بِأَنَّهُ عَلَيْهَا بَحِيلٌ مَقِيَّتٌ مُلَازِمٌ لِلْبَابِ لَا يَفَارِقُ؛ وَيَسُدُّ عَلَيْهَا أَرْقَةَ الْقَرِيَّةِ الَّتِي بِهَا يَقِيمُ فَلَا يَأْذُنُ لَهَا بِالْخُرُوجِ.

(٥) أَحَالِيْبَ اللَّقَاحِ: مَا تَبَرَّهَ النَّاقَةُ الَّتِي تُنْتِجُ فِي أَوَّلِ الرَّبِيعِ، فَلَا تَزَالُ لِقَاحًا حَتَّى يُدِيرَ الصَّيْفُ عَنْهَا، وَاللَّقْحَةُ: النَّاقَةُ مِنْ حِينَ يَسْتَمِنُ سَنَامٌ وَلَدِيهَا، لَا يَزَالُ ذَلِكَ اسْتِمَاحًا حَتَّى يَمْضِيَ لَهَا سَبْعَةُ أَشْهُرٍ وَيُفْضَلُ وَلَدُهَا، وَذَلِكَ عِنْدَ طُلُوعِ سُهَيْلٍ، وَهِيَ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ أَغْرَزَ وَأَطْيَبَ مَا تَكُونُ لَبْنًا (اللسان: لَقَح)، وَلِهَذَا شَبَّهُوا الْحَدِيثَ الْحَسَنَ بِوَإِذْ يُشَابُ بِمَاءٍ بَارِدٍ مِنْ شُقُوقِ الصَّخْرِ وَعَسَلٍ، قَالَ شَاعِرُهُم:

وَإِنْ حَدِيثًا مِنْكَ لَوْ تَبَدَّلْتَنِي جَنَى التَّحْلِ فِي أَلْبَانِ غُوْدٍ مَطَافِلٍ
مَطَافِلٍ أَنْبَارٍ حَدِيثٍ تَنَاجِيَا يُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلَ مَاءِ الْمَقَاصِلِ

أَمَّا الضَّيْعَةُ، فَكُلُّ أَرْضٍ مُحَصَّيَةٍ لَهَا مَنْ يَقُومُ عَلَيْهَا فَيَعْرِفُهَا وَيَرْزُقُهَا (اللسان: ضَيْع).

(١) الْخَصِيلُ: اللَّتَبُ غَرِيرُ الشَّعْرِ (اللسان: خَصَل).

(٢) الشَّلْوُ: كُلُّ مَسْلُوخَةٍ أَكَلٍ مِنْهَا شَيْءٌ فَبَقِيَ شِلْوُ (اللسان: شَلَا)، وَالشَّمَاطِيطُ: الْقِطْعُ الْمُنْتَائِرَةُ، وَاحِدُهَا شِمَاطِيطٌ وَشَمَطُوطٌ وَشِمَطَاطٌ (اللسان: شَمَط).

(٣) ظَلَّتْ تُرَاعِي شِلْوَهَا: أَيِ ظَلَّتْ قَائِمَةً عَلَيْهِ تَشْمُهُ وَتَلَاظِمُهُ بَيْنَ حَنِينٍ وَبُكَاءٍ.

(٤) الْحَوَّةُ: السَّوَادُ فِي الشَّقَتَيْنِ، وَالْأَحْوَى وَمَوْتُهُ حَوَاءُ (اللسان: حَوَا)، وَهَذِهِ الصَّفَةُ إِنَّمَا جَاءَتْ مِنْ سُمَرَةِ الطَّبَنِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ الْبَشَرُ، وَهِيَ الْحَوَّةُ الَّتِي مِنْهَا حَوَاءُ، وَالْأُدْمَةُ الَّتِي مِنْهَا آدَمُ (ع). أَمَّا الشَادِنُ فَوَلَدُ الظَّبْيَةِ (اللسان: شَدَن)، وَأَمَّا ذَرَّتْ الشَّمْسُ فَظَلَّتْ (اللسان: ذَر).

(٥) الدَّرُّ: الْحَلِيبُ، وَأَحْجَمَتِ الْمَرْأَةُ الْمَوْلُودَ: أَرْضَعَتْهُ أَوَّلَ إِرْضَاعَةٍ، وَحَجَمَهَا هُوَ وَأَحْجَمَهَا: مَصَّ نَدِيَهَا (اللسان: حَجَم).

(٦) الْمَرْتَعُ: الْمَكَانُ الْمُحْصَبُ الَّذِي تَرْتَعُ فِي الْأَنْعَامِ (اللسان: رَتَعَ)، وَالْمَهْمَلُ: الَّذِي تَرْتَاذُهُ الْهَوَامِلُ مِنَ الْإِبِلِ؛ وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يَرَعَاهَا، فَهِيَ ضَالَّةٌ لَا رَعَاءَ لَهَا، وَلَا مَنْ يُصَلِّحُهَا وَيَعْنِي بِهَا، وَفِي الْمَثَلِ: "اِخْتَلَطَ الْمَرْغِيُّ بِالْمَهْلِ" (اللسان: هَمَل)، وَالسَّلِيلُ: الْوَادِي الْوَاسِعُ (اللسان: سَلَل).

(٧) احْزَلَّتْ: انْضَمَّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ مِنَ الْخَوْفِ (اللسان: حَزَل)، وَنَحْنُ نَرَى مِثْلَ هَذَا فِي الْخَيَوَانَاتِ وَالْبَشَرِ جَمِيعًا؛ وَلَعَلَّهِ أَنَّ الْخَوْفَ يَسَبِّبُ صَدَمَةً عَصَبِيَّةً تَتَقَلَّصُ عُضَلَاتُ الْجِسْمِ بِسَبَبِهَا؛ وَيَنْجُمُ عَنْ هَذَا التَّقَلُّصِ اجْتِمَاعُ الْأَطْرَافِ إِلَى الْجِسْمِ، فَضَلًا عَنْ انْقِبَاضِ الْأَحْشَاءِ وَالْمَعْدَةِ وَتَقَوُّسِ الظَّهْرِ، فَكَانَ الْمَحْزِلُ يَتَكَوَّرُ كَالْكُرَّةِ فِي اجْتِمَاعِ جَسَدِهِ.

- ٤٤ إذا ذَكَرْتُ ماءَ الْعَظَاةِ وَطَبِيئَهُ وَبَرَدَ الْحَصَا مِنْ أَرْضِ بَجْدٍ أَرْتَبُ^(١)
- ٤٥ بِأَكْبَرٍ مِنْ وَجْدٍ بَطِيًا وَحِدْتُهُ غَدَاةَ ارْتَحَلْنَا غُدُوَّةً وَاطْمَأَنَّتِ^(٢)
- ٤٦ لَهَا فَحِذَا بُحْثِيَّةٌ بَحْثَرِيَّةٌ وَسَاقٌ إِذَا قَامَتْ عَلَيْهَا ائْتَمَّهَتْ^(٣)
- ٤٧ وَخَصْرَانِ دَقًّا فِي اعْتِدَالٍ، وَمِنَّةٌ كَمِنَّةٍ مَصْقُولٍ مِنَ الْهِنْدِ سُلَّتِ^(٤)
- ٤٨ وَعَيْنَا أَحَمَّ الْمُدْرَيْنِ وَمَضْحَكٌ إِذَا مَا جَرَتْ فِيهِ الْمَسَاوِيكُ رَلَّتِ^(٥)

(١) ماء العظاة: ماء لبني كعب بن أبي بكر، وهو في الأصل (العظاة) (البلدان: العظاة) لم يذكره الجاسر، قلت: لعلها معروفة عن (العضاض)، والمأنور أنهم كانوا يلقبون الضاد ظاء أحياناً، والعكس ثابت عنهم، ولعل هذه أوفق للمعنى؛ حيث يريد أن يصور شوق الأعرابية إلى ديارها بكل ما فيها، وتمنيها ذلك كله على شدة ما فيهِ وقسوته؛ لأنه يظل أطيب عندها من حياة المَدَنِيَّة بما فيها من ألوان العيش الرغيد، والعضاض كل شجر ذي شوك (اللسان: عضة)، وأرئت: أَعَوَّلْتُ في بُكَايَها وصَوَّيْتُ (اللسان: رنن).

(٢) اطمأنت: استوطنت وأقامت في المكان الذي ارتحلت إليه، أو رحل هو عن الديار وظلت هي في ديارها مقيمة (اللسان: طمن).

(٣) البُحْثِيَّةُ من الإبل: تلك التي أصلها من خراسان، والإبل الخراسانية تنتج من بين عَرَبِيَّةٍ وفاليج، وهي معروفة بطول أعناقها، وضخامة خلقها، وامتلأ أفخاذها (اللسان: بخت)، والبُحْثَرِيَّةُ منها: ما كان يمشي البُحْثَرِيَّةُ، (اللسان: بَحْثَر)، وهذا أدعى لامتلاء نحضرها والنفاف فيجذبها. أما قوله: (ائتمهت)، فهو من الاعتدال في القامة (اللسان: مهل).

(٤) الخصران: مثنى الخصر، وهو الخاصرة أيضاً، ما بين الحرقفة والفُصْرِي (اللسان: خصر)، والمثنان: لَحْمَتَانِ مَعصُوبَتَانِ يَتَهَمَا صُلْبَ الظَّهْرِ (اللسان: متن)، وهما نسيجان عضليان طويلان يمتدان على جانبي العمود الفقري من أسفل الظهر حتى الرقبة، والشاعر يقصد هنا اعتدال القوام؛ فهاتان العضلتان تكونان سبباً في بقاء الظهر معتديلاً، وقد يصيبهما شد أو ارتخاء فيسببان فيه التقوس والالتجاء، وهذا ما نلاحظه أحياناً عند بعض المستن؛ والمنة المعتدلة تدل على الشباب.

(٥) أَحَمَّ الْمُدْرَيْنِ: أسود القرنين من الغزلان والظباء، والمدرى: القرن يدرى به الظبي أو الغزال ضربات غيره من الحيوانات من مثله، أو المُفْتَرَسَةُ (اللسان: خم، درى)، والمَضْحَكُ: يقصد به هنا إلى وصف أسنانها بآية ذكره المساويك بعده، وإذا زلت المساويك عن الأسنان كان ذلك دليلاً على نفاقيها ونصاعيتها وملاستها وبعيرها واستوائها، والمساويك جمع مسواك، هو عود يؤخذ من شجر الأراك، ثم تُلَحَّى قشره مُقَدَّمٌ فيصبح كالفرشاة، تَنُطَّقُ به الأسنان.

- ٤٩ وَدَاجٍ عَلَى اللَّبَاتِ وَخَفَ كَأَنَّهُ عَنَاقِيدُ جُؤُنٍ مِنْ كُرُومٍ نَدَلَتْ^(١)
- ٥٠ فَإِنْ يَكُ هَذَا عَهْدَ طَبِيَا وَأَهْلِيهَا فَهَذَا الَّذِي كُنَّا ظَنَّنَا وَظَنَنْتِ^(٢)
- ٥١ وَكَانَتْ رِيَّاحٌ تُحْسِرُ الْحَاجَ بَيْنَنَا فَقَدْ عَمِيَتْ أَرْوَاحُ طَبِيَا وَصَمَّتِ^(٣)
- ٥٢ خَلِيلِي، فِي طَبِيَا أَعِينَا أَخَاكُمَا فَقَدْ بَخَلَتْ طَبِيَا عَلَيْنَا وَضَنْتِ^(٤)
- ٥٣ قَطَعْتَ طَبِيَا الْهَمَّ وَالْفَقْرَ وَالْعَنَى وَطَبِيَا مَنَى نَفْسِي إِذَا مَا كَمَنْتِ^(٥)
- ٥٤ وَطَبِيَا أَرْوَجَ الْجَبِيْبِ، مَهْضُومَةُ الْحَشَا كَمْزَنَةِ صَيْفٍ هَجَرَتْ فَاسْتَهَلَّتِ^(٦)

(١) الداجي: الشجر الأسود (اللسان: دجى)، اللَّبَاتُ: جمع لبة، وهي مخمعة الصدر والتهدئين مما يلي العنق (اللسان: لب)، ولاستواء اللبة وملاستها أطلقت على ما يحيط فوهة البركان من صهير أثلست صلباً في الإنجليزية، وعلى الجمع بعامَّة (Lava). أما الوخف فالشعر الكفيف الحسن المرحل، وشبهه بعد بعناقيد الكرمية السود (اللسان: وخف).

(٢) هكذا في الروايات، ولعلها (فما ذا الذي كنا ظنننا وظننت).

(٣) الحاج: جمع حاج، والحاجة في كلام العرب أصلها الحاجة حذفوا منها الباء؛ فلما جمعوها أعادوا إليها ما حذفوا منها، فقالوا: حاجة وحواج (اللسان: حوج)، والأرواح: جمع ربح، وأصلها بالواو (اللسان: روح)، وقد تقدم بيت ميسون بنت بحدل. وهاتان لطيفة تقتضي الذكر؛ وهي أن الألفاظ التي تُطْلَقُ على الإنسان مثل: (الروح، والنفس، والتسمة)، مأخوذة في أصلها من ثلاث كلمات ثابته، وهي: (الريح/الروح، والنفس، والتسمة)، وكلها متعلقة بالهواء؛ ولا ريب في أن الهواء أهم ما يقيم حياة الإنسان، ولهذا جعل الله ملكيته عامة لا خاصة، ثم الماء وملكته عامة وخاصة، ثم الطعام وملكته خاصة؛ ذلك بأن الإنسان لا يصير على انقطاع الهواء عنه دقائق، ويصير أياماً على العطش، ويصير أسابيع على انقطاع الطعام.

(٤) عَجَزُ هذا البيت تكرراً؛ فقد كان عَجَزُ البيت العشرين من القصيدة، ويكاد صدره يكون كذلك.

(٥) في ديوانه بالعرب (والعنى)، والبيت بهذا لا يستقيم معناه؛ إذ يُدَاخِلُهُ التناقض. وقطع بها الهم والفقير والعنى؛ أي لم يشعر بهذه الثلاثة حين كان حبل الوصال قائماً بينهما، والعنى والعناء سببان.

(٦) أروج الجيب: طيبة الرائحة، وقد يقصد بها على المجاز طيب الذكر (اللسان: أروج)، ومهضومة الحشا: أي دقيقة الخصرين، لا عظيمة البطن (اللسان: هضم)، مَزَنَةُ الصَّيْفِ: السحابة الرقيقة البيضاء الخفيفة، وهجرت: أي ظهرت وقت المهاجرة، وهي نصف النهار، وسارت في السماء (اللسان: هجر)، واستهلت: سال قطرها.

- ٥٥ إذا جَلَسْتُ بَيْنَ الْعَوَانِي عَشِيَّةً عَلَى أَيِّ حَالٍ : عَاطِلًا أَوْ تَحَلَّتْ^(١)
- ٥٦ سَمَتْ تَحْوَهَا الْأَبْصَارُ أَوَّلَ وَهْلَةٍ بَدِيًّا ، وَعَادَتْ تَحْوَهَا ، قَسَمْتُ^(٢)
- ٥٧ خَلِيلِي هَذَا زَفْرَةُ الْيَوْمِ قَدْ مَضَتْ فَمَنْ لَعْدٍ مِنْ زَفْرَةٍ قَدْ أَطْلَتْ
- ٥٨ وَمِنْ زَفَرَاتٍ لَوْ قَصَدَنْ قَلْبِي تَقْضُ إِلَيَّ بَقِيَّ الْيَوْمِ قَدْ تَوَلَّتْ

قافية الجيم

(٨)

{ الخفيف }

- ١ إِنَّ أَفَارِقَهُمْ فَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا فِي سُرُورٍ مِنْ قُرْبِهِمْ وَأَيْتَاجٍ
- ٢ فَرَمْنَا الْأَيَّامَ أَغْفَلَ مَا كُنْذُ نَا عَلَى غَفْلَةٍ بَيْنَ مُفَاجِي^(١)
- ٣ فَانْصَدَعْنَا صَدْعَ الزُّجَاجَةِ بَاتَتْ كَيْفَ لِي بِانْصِدَاعِ صَدْعِ الزُّجَاجِ^(٢)

تخريج الأبيات :

أما اليزيدي / ١٥٠، رواها عن عمه فضل عن عيينة بن النيهال، والمراثي / ٣١٠، وليست في العرب ولا في ديوانه

تخريج الأبيات :

قال الهجري: "زيادة للصمة بن عبد الله، أولها: ألا"، ثم روى البيهقي الأول والثاني. قال: "أنشدني الشَّهْرَانِيُّ لمضاء بن مضر جِيَّ بن التَّوَيْبِ بن الصِّمَّةِ ...". تعليقات الهجري-الحمادي (مقطوعة ١٧٥). وفي حماسة الخالد بن: "أنشدني عداء بن مضاء من ولد التَّوَيْبِ ابن الصِّمَّةِ بن طُفَيْلِ بن زَيْدِ بن ثَوْرِ بن سَوَادَةَ بن قُرَّةَ بن سَلَمَةَ الخير بن قُشَيْرِ (مقطوعة ١١٥)، الأغاني ٤٣٥/٥، تجريد الأغاني ج ١ ص ٧١٧/٢، سمط اللآلي ٧٣٦/٢، التذكرة الحمدونية ٦/ ٧١-٧٢، المرزوقي ٣/ ١١١٠، التبريزي ٧٤/٣، المحتسب ٦٤، ٨٣، أمالي الرَّجَّاحِي / ١٥، ٢٤، وقد أكد نسبتها إليه أيضًا العَوْنِيُّ الصُّحَارِيُّ؛ إذ أوردَ منها أبياتًا ثلاثًا في مواطن ثلاثٍ من كتابه (الإبانة ١/ ٢٥٩، ٢/ ٩٥، ٢/ ١٥٢)، وصرَّحَ بالاسم فيها جميعًا. محاضرة الأبرار ٢/ ٢٤٨، تزيين الأسواق ١/ ٢٣١. الحماسة الشجرية ٢/ ٥٥٩-٥٦٠، ونسب بعضها لعلِّي بن عُمَيْرَةَ الجَرْمِيِّ، ومنها في معجم البلدان خمسة أبياتٍ (الحِمَى)، وثلاثة منها تُسَبِّتُ لامرأةٍ فيه (رَبَّانٍ)، ورويت ثمانية لأعرابيٍّ في مصارع العشاق / ١٦٧، العرب / ١٥٥-١٦٠، ديوانه المطبوع / ٣٨.

(١) العَوَانِي: جمع غانية، وهي الحسنة التي غيّت بحسنيها ودلها عن الحلي (اللسان: غنى)، والعاطل من النساء: التي لم يكن عليها حلّي، وأما الحالي، ومنه تحلّت، فهي التي عليها حلّي (اللسان: حلى، عطل).

(٢) الوَهْلَةُ: أول الرؤية، والمرء من الوَهْل، وهي من وَهَلَ يَوْهَلُ وَهْلًا (اللسان: وهل). والبَدْءُ والبَدْيُ الأول، ومنه قولهم: "أفعلته بادئ بدء، على فعل، وبإدب بدئ، على فعل، أي أول شيء، والباء من بادئ ساكنة في موضع التصبّر؛ هكذا يتكلمون به (اللسان: بدأ).

(١) أصلها (مُفَاجِي)، وقد سهّلت الهمزة فيها.

(٢) وردت في الأصل هكذا، ولعلها (كيف لي بالانصاع صَدْعَ الزُّجَاجِ)، فهو إنما يتمنى أن يعود شمله برّيا مُحْتَمِعًا، وانصداغ صَدْعَ الزُّجَاجِ (كسره) يزيد افتراقه عن حبيبته !

قافية الحاء

(٩)

{ الطويل }

١ كدأ الشجاء بين الوريدين، كلما
ذكرتك، لم تقدر عليه التحايج^(١)

تخريج البيت :

تعليقات المهجري - الحمادي (مقطوعة ١٧٧)، تعليقات المهجري - الجاسر

ق ٦٨١/٢، العرب / ١٦٠، ديوانه / ٥٣

(١) في التعليقات (الشحابين) وهما تصحيف وتخريف سيئان. وقد ذهب الحمادي إلى أن الأصح هو ما أثبتته، ثم ذهب يفسره بالشحاج والشحيج ! ومال إلى جعله مما يفعله البخيل إذا سئل شيئاً، وليس صحيحاً. والأصح ما أثبتناه (كدأ الشجاء بين الوريدين)؛ أي في الحلق، والشجاء شبيه الغصاة حين لا تفارق الحلق، وبدلاً به الشاعر على ما يكتم في صدره من ألم مُحْتَقِن.

قافية الدال

(١٠)

{ الطويل }

١ خليلي، إن قابلتما الهضب، أو بدا
لكم سند الودكاء، أن تبكيا جهدا^(١)
٢ سلا عبد الأعلى حيث أوفى عشية
خزاري، ومد الطرف، هل أسر النجدا^(٢)
٣ فما من قلى للنجد أصبحت ها هنا
إلى جبل الأوشال مستحييا بردا^(٣)

(١) يقصد الشاعر بالهضب الهضب الواقع في عالية نجد بقرب المردمة؛ وهو في جنوب النحر الغربي يميل واحد، وما يزال معروفاً (العرب: ١٥١). وهو عند ياقوت علم على أماكن كثيرة، فيها هضب القلب، قال: "علم فيه شعاب كثيرة، قال الأصمعي: هضب القلب يتحلل، والهضب جبال صغار والهضب في وسط هذا الموضع. قال العامري: هضب القلب نصف ما بيننا وبين بني سليم؛ حاجز في ما بيننا وبينهم" (البلدان: الهضب).

أما سند الودكاء؛ فالسند عند ياقوت ما قابلك من الجبل وعلا من السفح، والسند ماء معروف لبني سعد، وقرية من قرى هراة، والمقصود ماء بني سعد (البلدان: السند)، وقال في الودكاء: "من الودك؛ وهو الدفن والدسم: رملة أو موضع بعينه" (البلدان: الودكاء). وقد عرّف الجاسر بها فقال: "الودكاء ذكرها الشاعر مضيئاً إليها سندا؛ أي جانباً من الرمل، وذكر معها الهضب، والودكاء هذه مادة (لعلها ماءة!) في أعلى وادي خثثل المعروف الآن، وهو قريب من جبال الهضب" (العرب: ١٥١).

(٢) ديوانه (عبد الأعلى)، ولا يستقيم بها وزن، ولعل عبد الأعلى يكون أحد أصلقائه، أما خزاري، فقد عرّف بها الجاسر بقوله: "ويسمى خزاز بدون ألف، وهو جبل لا يزال معروفاً بشاهد من بلدة دحثة الواقعة في عالية نجد رأي العين" (العرب: ١٤٥)، وقال ياقوت: "خزاز وخزاري هما لغتان؛ كلاهما يفتح أوله ... اختلفت العبارات في موضعه؛ فقال بعضهم: هو جبل بين منيع وعاقيل بإزاء جسمى ضربة ... وقال أبو زياد: هما خزازان؛ وهما هضبتان طويلتان بين أباتين: جبلي بني أسد وبين مهب الجنوب، على مسيرة يومين يواد يقال له منيع، وهما ببلاد بني عامر وبني أسد" (البلدان: خزاري).

(٣) في التعليقات (من قلى)، (أصبحت)، وجبل الأوشال تقدم ذكره والتعريف به في مطلع تائيته.

- ٤ وَلَكِنْ حَاجَاتِ الْفَتَى قُدْفَ بِهِ إِذَا لَمْ يَجِدْ مَنْ أَنْ يُطَالِبَهَا بُدَاً^(١)
- ٥ دَعُونِي مِنْ بَجْدٍ فَإِنَّ سِيْنِيْنَهُ لَعِبْنٌ بِنَا شِيْبَا ، وَشَيِيْنِنَا مُرْدَا
- ٦ لَحَا اللَّهُ بُجْدًا كَيْفَ يَبْرُكُ ذَا النَّدَى بَخِيْلًا ، وَحَرَّ الْقَوْمِ تَحْسَبُهُ عَبْدَا^(٢)
- ٧ عَلَى أَنْ بَجْدًا قَدْ كَسَانِي حُلَّةً إِذَا مَا رَأَيْتُ جَاهِلَ ظَنَنْتِي عَبْدَا
- ٨ سَوَادًا ، وَأَخْلَاقًا مِنَ الصُّوفِ بَعْدَمَا أُرَانِي بِنَجْدٍ نَاعِمًا لِإِسَّا بُرْدَا
- ٩ أَلَا أَيُّهَا الْبَرُّ الَّذِي بَاتَ يَرْهَقِي وَيَجْلُو دُجَى الظُّلَمَاءِ أَذْكَرْتَنِي بَجْدَا
- ١٠ وَهَيَّجَنِي مِنْ أَذْرِعَاتٍ وَمَا أَرَى بِنَجْدٍ عَلَى ذِي حَاجَةٍ طَرِبَ بُعْدَا^(٣)
- ١١ سَقَى اللَّهُ بُجْدًا مِنْ رَبِيعٍ وَصَيْفٍ وَمَاذَا تُرْجِي مِنْ رَبِيعٍ سَقَى بَجْدَا^(٤)
- ١٢ وَبَجْدًا إِذَا جَادَتْ بِهِ رَهْمُ الْحَيَا رَأَيْتَ بِهِ الْمَكْنَانَ وَالنَّقْلَ الْجُعْدَا^(٥)

(١) في التعليقات (حاجات الفتى). وقُدْفَ: أي أن حاجات الإنسان تتقاذفه بين حلِّ وارْتحال .

(٢) في التعليقات (نجد ألف)، (وحر القوم)، وديوانه (تحسبه)، ونجد يذكر ويؤث، وقد ورد البيت على روايتين (كيف تترك)، (كيف يترك) .

(٣) قال ياقوت في أذرعات: "كأنه جمع أذرعة؛ جمع ذراع جمع قلة، وهو بلد في أطراف الشام يجاور أرض البلقاء وعمان، يُنسب إليه الخمر" (البلدان: أذرعات). ويبدو أن الشاعر مرَّ بأذرعات في طريقه إلى الشام، أو أنه مرَّ بها في إحدى تنقلاته، والبيت والذي تقدّمه لم يُثبتهما الجاسر والفصيل له .

(٤) في التعليقات (ترجي)، وفي حزانة البغدادي (وَجَوْدٌ وَتَسْكَابُ سَقَى مُرْتَهُ نَجْدَا). الربيع والصيف المطر وقت الربيع والصيف، وإذا كان المكان يسقيه الحيا شتاء في الوضع العادي، وجاده الغيث في الربيع والصيف، كان حينئذٍ دائم الحُضرة والماء، وهو أدعى ليخصبه واستقرار أهله في جِماهم .

(٥) في التعليقات (به المكنا والنقل)، والرَّهْمُ جمع رَهْمَةٍ: المطر الخفيف الدائم الصغير القطر (اللسان: رهم)، أما الْمَكْنَانُ فَضَرْبٌ مِنَ التَّبَاتِ زَهْرَتُهُ صَفْرَاءُ صَغِيرَةٌ (اللسان: مكن)، وأما النَّقْلُ، فَضَرْبٌ مِنَ التَّبَاتِ ذَقِيقُ (اللسان: نقل) .

- ١٣ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّيْلَ يَقْصُرُ طَوْلُهُ بِنَجْدٍ ، وَيَزْدَادُ التَّنْطَافُ بِهِ بُرْدَا^(١)
- ١٤ بَلَى ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ لِلْعَيْشِ قُرَّةً وَلِلْبَيْضِ وَالْفَيْسَانِ مَنْزِلَةً حَمْدَا^(٢)
- ١٥ خَلِيلِي، قُومًا أَشْرَفَا الْقَصْرِ فَانْظُرَا بِأَعْيَانِكُمْ، هَلْ تُؤْنِسَانِ لَنَا نَجْدَا^(٣)
- ١٦ وَإِنِّي لِأَخْشَى إِنْ عَلَوْنَا غُلُوهُ فَتَشْرِفَ ، أَنْ يَزْدَادَ -وَيْحَكَمَا- بُعْدَا^(٤)
- ١٧ ظَنَرْتُ وَأَصْحَابِي بِذُرُوءِ نَظَرَةٍ فَلَوْلَمْ يَقْضِ عَيْنَايَ أَبْصَرَتَا بَجْدَا^(٥)

(١) التَّنْطَافُ: قَطْرُ الْمَاءِ، تقول: القِرْبَةُ تنطف؛ أي تنطفُر لأنها لَمْ يُحْكَمْ خَرْزُهَا (اللسان: نطف). والمقصود به هنا ماء المطر الذي تَلَفَحَهُ الصَّبَا والجنوب بِنَجْدٍ وهما باردتان غليتان، وهذا أدعى لأن يكون ماء المطر فيه أثرٌ منه في غيره .

(٢) في التعليقات (للعيش مرة)، والبييض: النساء الحسنات، وبيض أدم المرأة من الصفات الجمالية عندهم، والمترلة الحمد؛ أي المحمود .

(٣) في ديوانه (تونس) بتسهيل الهمزة، والقصر: البناء العالي المُطِلُّ، وهناك قصور كثيرة انتشرت في نجد، لكن الشاعر يذكّر قصرًا بعينه بعيدًا عن دياره، والتطلع نحو ديار الأحيّة من بعيد ليس غريبًا على العاشقين، ولا الذين يجنون إلى ديارهم، فدأب الناس أن يتطلعوا نحو ديارهم ولو لَمَحَّ العَيْنُ .

(٤) في العرب (علونا غلوة)، ولا يستقيم .

(٥) ذُرُوءٌ، قال فيها الجاسر: "لا نجد فيما (٩) بين أيدينا من التصوص ما نستطيع به معرفة مكان هذا الاسم لنستطيع أن نرجح أن الشاعر أراد؛ فهناك ماء في بلاد غطفان هذا الاسم، ونستبعد أن يكون الشاعر قصّده، ولعل هذه المقطوعة مما نسب إلى الشاعر وليست له" (العرب: ١٤٥) .

وواقع الأمر أن الحَمَوِي ذكر مواقع ثلاثة من هذا الأصل، وهي:

- ذُرُوءٌ، وقال فيها: "مكانٌ حجازي في ديار غطفان، وقيل ماء لبني مرة بن عوف. وعن الأزهري: ذُرُوءٌ بكسر أوله اسم أرض بالبادية، وعن بعضهم: ذُرُوءٌ اسم جبل ... وذُرُوءٌ: بلدٌ بالبحرين من أرض الصبيد" (البلدان: ذرورة) .

- ذُرُوءٌ، وقال فيها: "وقيل: وادٍ يُغْرِغُ في تَحْلٍ ويُخْرِجُ من حَرَّةِ التار" (البلدان: ذورة) .

- ذُرُوءٌ، وقال فيه: "قال ابن الفقيه: ذات ذُرُوء - من غير هاء - من أودية العلاة باليمامة"، ثم قال: "وقال الصّمتة القشيري ..."، وذكر الأبيات (١٥-١٨) (البلدان: ذرو) .

وأرجح أن تكون ذرورة المقصودة هنا هي الوادي باليمامة؛ ذلك أن الشاعر ذكر الركب المُصْعِدِينَ بِالْحِجَافِ نَجْدٍ، ونجد أعلى من اليمامة، والتصعيد إليها يكون مما هو أخفض منها .

١٨ إذا مَرَّ رُكْبٌ مُصْعِدِينَ فَلَيْتَنِي

مَعَ الرَّاحِئِينَ الْمُصْعِدِينَ لَهُمْ عَبْدًا

١٩ أيا رُقَّةً مِنْ آلِ بُصْرَى تَحْمَلُوا

رِسَالَتَنَا لَقِيتَ مِنْ رُقَّةٍ رُشْدًا^(١)

٢٠ إذا ما وَصَلْتُمْ سَالِمِينَ فَبَلَّغُوا

نَحِيَّةً مَنْ قَدْ ظَنَّ أَنْ لَا يَرَى سَجْدًا

٢١ وَقُولُوا لَهُمْ: لَيْسَ الضَّلَالُ أَجَارَنَا

وَلَكِنَّا جُزْنَا لَنَلْقَاكُمْ عَمْدًا

٢٢ وَإِنَّا تَرَكْنَا الْحَارِثِيَّ مُكْبَلًا

يَكْبِلُ الْهُوَى مِنْ ذِكْرِكُمْ مُضْمِرًا وَجَدًا^(٢)

تخريج الأبيات :

تعليقات الهجري- الحمادي (مقطوعة ٢٧٤)، الأغاني ٨٠/٢، الحماسة الشجرية ٥٨٥/٢، اللسان (نجد) عَنْ ثعلب، معجم البلدان (نجد، أذرعات)، تهذيب ابن عساكر ٦٥/٦، المنازل والديار ٩١/١، شرح الشواهد للعيني ١٧١/١، المقاصد النحوية ١٧٠/١، جامع الشواهد/ ١١٢، شرح التصريح ٨٤/١، الضرائر/ ١٦٦، رسالة الملائكة/ ٢٥٧، شرح ابن عقيل ٥٨/١، شرح ألفية ابن مالك لابن النازم/ ١٦، العرب/ ١٦٠-١٦١، ديوانه/ ٥٩، ٦٤

(١) بُصْرَى: قَالَ فِي الْعَرَبِ: "مَعْرُوفٌ أَنَّ بُصْرَى مِنْ بِلَادِ الشَّامِ الَّتِي ارْتَحَلَ إِلَيْهَا الشَّاعِرُ" (١٤٤). وَقَالَ ياقوت: "الشَّامُ مِنْ أَعْمَالِ دِمَشْقَ، وَهِيَ قَصْبَةُ كُورَةِ حُورَانَ؛ مَشْهُورَةٌ عِنْدَ الْعَرَبِ"، وَذَكَرَ الْأَبْيَاتَ (١٩-٢٢) مِنْ الْقَصِيدَةِ مَنْسُوبَةً لِأَعْرَابِيٍّ، كَمَا أَثْبَتَ لِلصَّمْعَةِ بَيْتَيْنِ سِوَى هَذِهِ يَرِدَانِ فِي قَافِيَةِ اللَّامِ. (البلدان: بَصْرَى). وَالصَّمْعَةُ فِي هَذِهِ الْأَبْيَاتِ يُخَاطَبُ رُكْبًا مِنَ الْمَسَافِرِينَ بِاتِّجَافٍ نَحْدٍ يُبَلِّغُوا سَلَامَهُ إِلَى نَحْدِ وَأَهْلِهِ، وَالْأَبْيَاتُ (١٩-٢٢) لَمْ تُثَبِّتْهَا الْعَرَبُ وَلَا دِيَوَانَهُ لِلشَّاعِرِ.

(٢) الْكَبْلُ: الْقَيْدُ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْحَدِيثِ عَنْ رَبِّمَا مَعْشُوقَةِ الصَّمْعَةِ شَيْءٌ مِنَ الْحَدِيثِ الْمُفَصَّلِ فِي وَصْفِهَا بِالْحَارِثِيَّةِ (فَلْيُنْظَرْ)، وَهِيَ هُنَا يَصِفُ نَفْسَهُ بِالْحَارِثِيَّةِ، وَفِي الْمَقْطُوعَةِ الذَّالِيَّةِ (أَلَا أَيُّهَا الصَّمْعُ) سَمَرٌ وَصَفَهُ لَهَا بِالْحَارِثِيَّةِ.

{ الطويل }

١ أَلَا أَيُّهَا الصَّمْعُ الَّذِي كُنْتَ مَرَّةً

تَحُلُّكَ ، أُسْقِيتَ الْعَوَادِي مِنْ صَمْدٍ^(١)

٢ وَمِنْ وَطَنِ لَمْ تَسْكُنِ النَّفْسُ بَعْدَهُ

إِلَى وَطَنِ فِي قُرْبِ دَارٍ وَلَا بُعْدٍ^(٢)

٣ وَمَنْزِلَتِي ظُمِيَاءَ مِنْ بَطْنِ عَاقِلٍ

وَذَاتِ السَّلِيلِ، كَيْفَ حَالِكُمَا بَعْدِي^(٣)

(١) فِي دِيَوَانِهِ (كُنْتُ مَرَّةً يَحُلُّكَ)، وَفِي شِعْرَاءِ قَشِيرٍ مِثْلَهَا، وَفِي بِلْدَانِ ياقوت (كَانَ مَرَّةً تَحُلُّ سُقَيْتَ الْأَهَاضِيَّةَ)، وَفِي الْعَرَبِ (الصَّمْعُ الَّتِي كُنْتُ مَرَّةً تَحُلُّكَ) وَلَا يَسْتَقِيمُ.

وَالصَّمْعُ، قَالَ الْجَاسِرُ: "وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ فِي مَقْطُوعَةٍ فِي التَّغَزُّلِ بِظُمِيَاءَ، وَرَدَ فِيهَا اسْمُ السَّلِيلِ وَعَاقِلٍ، وَوُصِفَتْ ظُمِيَاءُ هَذِهِ بِالْحَارِثِيَّةِ، وَتَرَى أَنَّ الْمَقْطُوعَةَ لَيْسَتْ لِلصَّمْعِ؛ إِذْ عَاقِلُ وَالسَّلِيلُ فِي شِمَالِ نَحْدٍ بَعِيدَانِ عَنْ بِلَادِ قَشِيرٍ؛ ثُمَّ إِنَّمَا لَمْ تَرِ الصَّمْعَةُ يَذْكُرُ ظُمِيَاءَ الْحَارِثِيَّةِ، وَالَّتِي تَرَى أَنَّهَا مِنْ حَارِثَةِ بَنِي أَسَدٍ، بِقَرِينَةِ ذِكْرِ عَاقِلٍ وَالسَّلِيلِ، وَالصَّمْعُ لَيْسَ بَعِيدًا عَنْ مَنَازِلِ أَسَدٍ، وَكَذَا السَّلِيلُ" (العرب: ١٤٦-١٤٧).

وَقَالَ ياقوت: "الصَّمْعُ: الصُّبْبُ مِنَ الْأَرْضِ الْغَلِيظَةِ، وَكَذَلِكَ الصَّمْعُ بِالضَّمِّ" (البلدان: الصَّمْع). وَالشَّاعِرُ يَقْصُدُ صَمْدًا بَعِيْنَهُ، وَالصَّمْعُ كَثِيرَةٌ كَالْأَجَارِعِ، وَلِهَذَا وَصَفَهُ بِقَوْلِهِ: "الَّذِي كُنْتُ مَرَّةً".

(٢) هَذَا الْبَيْتُ أَثْبَتَهُ ياقوت وَحْدَهُ، وَالْأَبْيَاتُ عِنْدَ الْخَالِدِيِّينَ ثَلَاثَةٌ حَسْبُ، وَلَمْ يَثْبُتِ الْجَاسِرُ وَلَا الْفَيْصَلُ.

(٣) فِي بِلْدَانِ ياقوت (وَمَنْزِلَتِي دَلَّاءَ مِنْ بَطْنِ وَاسِطٍ وَمِنْ ذِي سَلِيلٍ ...)، وَهَذِهِ الرِّوَايَةُ تُلْغِي شُكُوكَ الْجَاسِرِ فِي نِسْبَةِ الْأَبْيَاتِ لِلصَّمْعِ؛ لِأَنَّهُ اعْتَمَدَ فِيهِ عَلَى ذِكْرِ الصَّمْعَةِ لِبَطْنِ عَاقِلٍ وَذَاتِ السَّلِيلِ، وَدَلَّاهُ عِنْدَ ياقوت هِيَ تَصْخِيفٌ (دَلَّاهُ)، وَكَانَ الْجَاسِرُ قَدْ رَأَى أَنَّ (ظُمِيَاءَ) إِنَّمَا هُوَ تَحْرِيفٌ (طَيًّا)، وَهُوَ تَحْلِيلٌ لَا يَسْتَقِيمُ، وَعَلَى آيَةٍ حَالِ فِكْلٍ مِنْ (ظُمِيَاءَ)، وَ (دَلَّاهُ) إِنَّمَا هُوَ صِفَةٌ لَا عِلْمَ. أَمَّا وَاسِطٌ فَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْهَا (انظر فهرس الأماكن)، وَأَمَّا عَاقِلٌ، فَقَدْ قَالَ الْجَاسِرُ: "عَاقِلٌ هَذَا وَإِذَا يُعْرَفُ الْآدَمُ بِاسْمِ الْعَاقِلِيِّ، فِيهِ مَزَارِعٌ لِأَهْلِ مَدِينَةِ الرَّبِّ، وَكَانَ مِنْ مَنَازِلِ بَنِي أَسَدٍ، ...، وَالْوَادِي طَوِيلٌ يَشْتَرِكُ فِيهِ فِي الْقَدِيمِ مَعَ بَنِي أَسَدٍ غَنِيٍّ وَثَمِيمٍ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قُلْنَا بَعِيدٌ عَنْ مَنَازِلِ بَنِي قَشِيرٍ" (العرب: ١٤٧).

قَالَ ياقوت: "عَاقِلٌ وَإِذَا لَبِنِي أَبَانَ بْنِ دَارِمٍ مِنْ دُونَ بَطْنِ الرُّمَّةِ، وَهُوَ يُنَاقِشُ مَتَّعًا مِنْ قُدَامِيهِ وَعَنْ بَيْتِيهِ، وَيُقَالُ: عَاقِلٌ وَإِذَا يَنْجُدُ، ...، وَعَاقِلٌ: وَادٍ فِي أَعَالِيهِ إِمْرَةٌ وَفِي أَسَافِلِهِ الرُّمَّةُ، وَهُوَ مَسْلُوءٌ طَلْحًا، وَبَطْنُ عَاقِلٍ: مَوْضِعٌ عَلَى طَرِيقِ حَاجِّ الْبَصْرَةِ بَيْنَ رَامْثَيْنِ وَإِمْرَةٍ"، وَذَكَرَ أَمْكِنَةَ أُخْرَى عُرِفَتْ بِعَاقِلٍ أَكْثَرُهَا فِي نَحْدٍ، إِنَّمَا رَمَالٌ أَوْ جِبَالٌ أَوْ مِيَاهُ (البلدان: عَاقِل).

وَكَمَا وَهَمَ الْجَاسِرُ فِي هَذَا الْاسْمِ، فَقَدْ وَهَمَ فِي السَّلِيلِ أَيْضًا، قَالَ فِيهِ: "لَا أَعْرِفُ مَوْضِعًا بِهَذَا الْاسْمِ إِلَّا الَّذِي فِي بِلَادِ بَنِي أَسَدٍ غَرْبَ الْقَصِيمِ، وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ بِلَادِ الشَّاعِرِ، وَلَا يُسْتَبَعَدُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ اسْمٌ مَوْضِعٌ آخَرُ غَيْرِهِ أَرَادَهُ الشَّاعِرُ إِنْ صَحَّ نِسْبَةُ هَذَا الشَّعْرِ إِلَيْهِ (العرب: ١٤٥).

وَمَا فِي بِلْدَانِ ياقوت يُوَكِّدُ أَنَّ السَّلِيلَ فِي دِيَارِ الشَّاعِرِ، قَالَ: "قَالَ اللَّيْثُ: السَّلِيلُ وَالسَّلَانُ: الْأَوْدِيَّةُ... وَقِيلَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ قَيْسِ الرُّقَيَّاتِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ الْوَادِيَّ اسْمَ جَنْسٍ؛ فَقَالَ: (فَالسَّلِيلُ الَّذِي يَمْدُقُّ قَرْنَ فَذُ تَغْتُفُ إِلَّا ثَلَاثًا جُتُومًا) (البلدان: السَّلِيل). وَقَرَأَ هَذِهِ فِي دِيَارِ قَشِيرٍ، قَالَ ياقوت: "قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ اللَّهِ السُّكُونِيُّ: قَرْنَ قَرْنَةً بَيْنَ فُلْجٍ وَبَيْنَ مَهَبِّ الْجَنُوبِ مِنْ أَرْضِ الْيَمَامَةِ فِيهَا تَحُلُّ وَأَطْوَاءُ، وَلَيْسَ وَرَاءَهَا مِنْ قَرَى الْيَمَامَةِ وَلَا مِيَاهِهَا شَيْءٌ، وَهِيَ لَبِنِي قَشِيرٍ، وَلَيْسَتْ مِنَ الْعَارِضِ" (البلدان: قَرْنَ).

(١٢)

{ الطَّوِيل }

- ١ أَجِنُ إِلَى تَجْدٍ وَلِيَّيْ لِيَأْسُ طُولَ اللَّيَالِي مِنْ رُجُوعٍ إِلَى تَجْدٍ
٢ فَإِنَّكَ لَا لَيْلَى وَلَا تَجْدَ فَاعْرِفْ يَهْجُرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَالْوَعْدِ^(١)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

الأشباه والتظائر ١١١/٢، معجم البلدان (واسط)، العرب/١٦١-١٦٢، شعراء
قشير ١٣٧/٢، ديوانه/ ٦٥

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

أما لي القالي ١٩٤/١، الزهرة/ ٣٤٩، وقد نسبهما لمجنون بني عامر، وهما في
ديوانه/ ٧١، وقد أخل بها مجموع شعره وديوانه المطبوع

(١) لَمْ يُعْرِفْ عَنِ الْمَجْنُونِ أَنَّهُ فَارَقَ تَجْدًا وَغَابَ عَنْهُ غِيَابًا يَدْعُو إِلَى مِثْلِ هَذَا الْقَوْلِ، وَإِذَا كُنَّا قَدَمْنَا أَنَّ أَشْعَارَ
غَزَلِي الْبَادِيَّةِ قَدْ اِخْتَلَطَتْ عِنْدَ الرُّوَادَةِ، وَخَلَطَ بَيْنَهَا الْمُصَنِّفُونَ، وَتَدَاخَلَتْ حِكَايَاتُهُمْ وَأَخْبَارُهُمْ حِينَ أَصْبَحُوا
أَحَادِيثَ الْمَحَالِسِ وَالْقَصَاصِ؛ فَإِنِّي أَرَى أَنَّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ لِلصَّمَّةِ لَا لِمَجْنُونٍ، وَأَرَى أَنَّ (لَيْلَى) هُنَا إِنَّمَا هُوَ
تَحْرِيفُ (رَبَا)، أَوْ هُوَ نَتِيجَةُ اسْتِبْدَالِ (لَيْلَى) بِ (رَبَا) عِنْدَ أَحَدِ الرُّوَادَةِ. وَمِمَّا يُوَكِّدُ هَذَا أَنَّ الصَّمَّةَ هَجَرَ تَجْدًا
بَعْدَ زَوَاجِ رَبَا، وَلَمْ يَعُدْ إِلَيْهِ طِيلَةَ أَيَّامِهِ حَتَّى وَافَقَهُ مَنِيَّتُهُ .
وَالْبَيْتُ هُنَا عَلَى تَقْدِيرٍ مَحْذُوفٍ مِنَ الْكَلَامِ، وَيَكُونُ مَخْرَجُ الْبَيْتِ : (فَإِنَّكَ لَا لَيْلَى تَرَاهَا وَلَا تَجْدَ تَعْرِشُ فِي
رُبُوعِهِ) .

(١) ديوانه (تتابع)، وهي تصيح، وكذلك الأخرى الْمُتَّبَعَةُ الَّتِي هِيَ بِحَذْفِ تَاءِ الْمَضَارَعَةِ خَشِيَّةٌ تَوَالِي ثَلَاثَ -
وَالْأَتَاءُ جَمْعُ تَوَاءٍ، وَهُوَ التَّحْمُ الَّذِي يَطْلُوِيهِ يَكُونُ نُزُولُ الْعَيْثِ (اللسان: تَوَاء). وَفِي بِلْدَانٍ يَاقُوتُ (أَمَّا لَكُمَا
بِالْمَالِكِيَّةِ مِنْ عَهْدٍ)، وَهَذَا يُحَقِّقُ مِنْ مِثْلِ الْحَاسِرِ إِلَى عَدِّ الْقَصِيدَةِ بِمَا لَيْسَ لِلصَّمَّةِ؛ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْحَارِثِيَّةَ، وَتَابِعَ
اعْتِقَادَهُ فِي مَا بَنَاهُ عَلَى ذِكْرِ عَاقِلٍ وَذَاتِ السَّلِيلِ، وَهُمَا لَيْتِي حَارِثَةُ مِنْ أَسَدٍ، أَنَّ الْأَبْيَاتَ لَيْسَتْ لَهُ، وَفِي شُعْرَاءِ
قَشِيرِ (مِنْ عَهْدِي)، وَلَا يَسْتَقِيمُ أَيْضًا؛ فَالْمَعْنَى فِي هَذَا التَّرْكِيبِ أَنَّ يَكُونُ مَا بَعْدَ (مِنْ) نَكِيرَةً لَا مَعْرَفَةً .

{ الوافر }

١ وقاء ما معة من أبيه

لَمَنْ أَوْفَى بَعْدَهُ أَوْ بَعْدَهُ^(١)

تخريج البيت :

المقتضب ٢/٢٨٤، ديوانه ٦٦/٦٦

{ الطويل }

- ١ لا تعدلينا في الزبارة، إنا
وإياك كالظنآن والماء بارد^(١)
- ٢ يراه قريباً دائماً غير أنه
تحول المنايا دونه والرواصد^(٢)

تخريج الأبيات :

أما القالي ١/١٩٥، وقد أحلّ بهما مجموع شعره وديوانه المطبوع. وفي أول البيتين حرم يحذف متحرك فعولن الأول.

(١) العذل واللوم بمعنى، وعذل من باب ضرب؛ أي أن عين مضارعه تكسر وتضم كما في ضرب (اللسان: عذل).

(٢) هذه الصورة تكاد تكون شائعة عند غزلي البادية، ولعلها شائعة في شعر الغزل عند العرب قديماً، ولا سيما ما نراه من تشبيههم حديث الحبيبة بالماء القراح الذي شيب به حليب الأكار العوذ المطافيل، وتذكر هذه الصورة هنا بقول شاعرهم:

إني وإياك كالصادي رأى نهلاً ودونه هوة يخشى بها التلغا

يرى بها منهلاً قد عزّ موزده وليس يملك دون الماء منصرفاً

والمنايا جمع مئبة، وهي الموت، والرواصد جمع اسم الفاعل منها، والرواصد هنا بمعنى الرقباء، والرواصد على الماء هم الصيادون الذين يرتقبون ورود الحيوانات على الماء، ويكونون قد نصبوا شراكهم، وأعدوا كلابهم. وبشيء في شعر غزلي البادية الحديث عن الوشاة الذين يسعون في إفساد الود بين العاشقين، والكاشحين الحساد، والرقباء الذين يرصدون حركات المحبين وأقوالهم، والعواذل الذين يلومون المحب على خيئه.

(١) أظن هذا البيت ليس للصمة، إنما هو لعبد الله بن الصمة؛ أخي دريد بن الصمة، وهو جاهلي لا إسلامي، ويبدو أن الأمر اختلط على بعضهم أحياناً فخلطوا بين عبد الله أبي الصمة القشيري، وعبد الله بن الصمة أخي دريد؛ حتى إن البيهقي روى في مرثيته وأماليه عن ابن الكسكري بعض شعر الصمة بن عبد الله وجعله ابن الكسكري عبد الله بن الصمة، وقد أشرنا إلى هذا التخليط في رواية شعر الصمة في مقدمة الديوان؛ فليُنظر في مكانه.

الوقاء: ما بقي الشيء به، معة: اسم علم مذكر تصغير معاوية.

{ الطويل }

- ١ أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْسَنَ لَيْلَةً سَعْدٌ وَلَمَّا تَحُلْ مِنْ أَهْلِهَا سَعْدٌ^(١)
 ٢ وَهَلْ أَقْبَلَنَ التَّجَدُّدَ أَغْنَاكَ أَثَقُ وَقَدْ سَالَ مَسِيًّا ثُمَّ صَبَّحَهَا التَّجَدُّدُ^(٢)
 ٣ وَهَلْ أَخِيطَنَّ الْقَوْمَ وَالرِّيحُ طَلَّةً فُرُوعَ الْأَءِ حَافَّةً عَقْدٌ جَعْدٌ^(٣)
 ٤ وَكُنْتُ أَرَى جَعْدًا وَرَبًّا مِنَ الْهَوَى فَمَا مِنْ هَوَايَ الْيَوْمَ رَبًّا وَلَا جَعْدًا^(٤)

(١) قال الجاسر: "سعد: قرية من قرى قرقر، وقرقرى متصلة بديار قُشَيْر من التاحية الشرقية الشمالية، وتعرف الآن باسم الحمادة، وهي السهل الممتد في سفح جبل طويق؛ عارض اليمامة من الغرب، وفيها قرى كثيرة من أشهرها ضَرَمًا، وهذه القرية ليست معروفة الآن" (العرب: ١٤٥). وقال ياقوت: "السعد: ماء وقرية تحل غربي اليمامة. وقال أبو زياد: سعد: ماء وقرية وتحل من جانب اليمامة الغربي بقرقرى، وقد ذكره الشعراء؛ فقال الصَّمَّة بن عبد الله القشيري وقد فارق أهله وأقرض في الجعد ... " وذكر الأبيات (١-٥) (البلدان: سعد).
 (٢) ديوانه (سار مسيا، صبحها)، وكذلك في شعراء قشير. ومخرج الكلام: وهل استقبلن في التجدد أغناك لسوق سالت بها الأباطع مساء ثم وصلت تجدا في الصباح، والبيت يذكر بقول الحارث بن خالد، وبعضهم يرويه لكثير ولغيره:

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَغْنَاكِ الْمَطْيِ الْأَبَاطِخُ

(٣) الخبط في أصله يكون ضرب أغصان الأشجار الشوكية (كالسدر) بالعصي كي تساقط أوراقها فتأكلها الأنعام (اللسان: خبط)، والخط هنا يعني به ولوجه ديارهم فجأة أو مضادة دون تحديد طريق سيره، وحلوه بينهم دون أن يعلموا، وكأنه كان يسير على غير هدى دون أن يعرف مكانهم (خط عشواء). الطل: المطر الصغير القطر، وقيل الندى، وقيل فوق الندى ودون المطر (اللسان: طلل). أما فروع الألاء: فهو يشبه ربنا وقومته بفروع الألاء، والألاء شجر دائم الخضرة (اللسان: الأ). حفة: أحاط به. عقد: رمل مبتل يساعده على التبوغة الدائمة (اللسان: عقد)، وهذا أدعى ليوثته وحملته. جعد: فيه ارتفاع وانخفاض.

(٤) ديوانه (من هوائي)، وكذلك شعراء قشير. ويظهر البيت شدة الألم التي كان الشاعر يكابدها، وإن كان ظاهره يوحي بنسيانه ربًا وسلوه عنها.

- ٥ فَدَعْنِي مِنْ رَبِّا وَجَدٍ كَلِيْمَا وَلَكِنِّي غَادٍ إِذَا مَا غَدَا الْجُندُ^(١)
 ٦ أَقُولُ لَعِيَّاشٍ صَحْبِنَا وَجَارٍ وَقَدْ حَالَ دُونِي هَضْبُ عَارِمَةَ الْفَرْدُ^(٢)
 ٧ قِفَا فَانْظُرَا نَحْوَ الْحِمَى الْيَوْمَ نَظْرَةً فَإِنَّ غَدَاةَ الْيَوْمِ مِنْ عَهْدِهِ الْعَهْدُ^(٣)
 ٨ فَلَمَّا رَأَيْنَا قَلَّةَ الثَّيْرِ أَغْرَضَتْ لَنَا، وَجِبَالَ الْحَزَنِ غَيْبَهَا الْبُعْدُ^(٤)

(١) يذكر البيت بقول مالك بن الربيع:

أَلَمْ تَرَنِي بَعَثَ الضَّلَالَةَ بِالْهَدَى وَأَصْبَحْتُ فِي جَنَاحِ ابْنِ عَفَانَ غَارِيَا

وهذا القول غير دال البتة على التسيان كما أشرنا آنفاً، ولكنه يدل على محاولة الشاعر أن يتسلى ويتصبر؛ ولعل نفسه وشوقه بما وجد من سبيل للعيش بنهج مختلف يشارك فيه في أشياء أخرى، ويقضي بعض الوقت الذي كان يقضيه كثيراً محزوناً في الغزو. ولعل مثل هذا يكون دأب المجتنب حين تسرب الأخطام من بين أيديهم؛ فأما الذين لا يجدون لهم منصرفاً عن الكآبة والهم فمضرب بعضهم حكمة عنهم أخبار كثيرة.

(٢) خاطب الشاعر في تائيته (عثمان بن وهب)، وهنا يخاطب صاحبيه (عياض وجابر)، وليس من سبيل إلى التثبت من أسماء هؤلاء، ولا سيما إذا كانوا بعض الجعد، فهم أكثر من أن تحصرهم المصادر التاريخية، ولم أجد لهم ذكراً في شروح شعراء ولا في أفراد قبيلته قشير.

أما هضب عارمة: فقد تقدم معنى الهضب، وعارمة كما قال الجاسر: "يطلق هذا الاسم على موضع في بلاد بني قشير، وعلى جبل بني عامر، وتراه المقصود هنا؛ إذ الشاعر ذكر أنه هضب، وقرنه بالثبر وسواج" (العرب: ١٤٧). قال ياقوت: "قال ابن المعتز الأزدي: عارمة من منازل بني قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وقال الصَّمَّة بن عبد الله القشيري ..."، وذكر الأبيات (٦-١٠، ١٠) (البلدان: عارمة).

(٣) هذا البيت شبيه ببيت آخر (قفا ودعا تجداً ومن حل بالجمي)، ولعل القصيدة تثنى تحكيان موقفاً واجداً في هذا الباب، ومخرج قوله في عجز البيت: (فإن غداة اليوم العهد من عهدي)، وغداة اليوم هنا وإن هي دلت على الزمان الذي يدل عليه الظرف، فإنها ليس القصيدة بها إلى الظرفية، بل تصبح كقولك: (إن اليوم أجسر أيام عهدي بك)، ومعنى قوله ذاك أن غداة اليوم آخر عهدنا بالجمي.

(٤) المرزباني (قلة الثبر)، (وطوال الرمل)، ديوانه (قلة الثبر) وهو تحريف (الثبر). قلة الثبر تقدمت في تائيته، وجبال الحزن: الحزون في بلاد العرب ثلاثة؛ حزن جعدة بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وهؤلاء بنو عموم القشيريين، وحزن بني يربوع، وحزن غاضيرة، وأقربها إلى ديار بني قشير حزن جعدة بن كعب، ولعله هو المقصود (البلدان: حزن بني جعدة).

- ٩ وَأَعْرَضَ رُكْنٌ مِنْ سُوَاكِ كَأَنَّهُ
لَعْنَتِكَ فِي آلِ الضُّحَى فَرَسٌ وَرُدُّ^(١)
- ١٠ أَصَابَ جَهْلُ الْقَوْمِ تَتِيمٌ مَا بِهِ
فَحْنٌ، وَلَمْ يَمْلِكْهُ، ذُو الْقُوَّةِ الْجَلْدُ^(٢)

تَخْرِيجُ الْآيَاتِ :

لَعْلَهُ قَالَهَا وَهُوَ رَاحِلٌ إِلَى الشَّامِ؛ بَآيَةٍ مَا ذَكَرَ نَيْتَهُ لِلْعُدُوِّ مَعَ الْجُنْدِ، وَقَدْ ظَنَّ
الْجَاسِرُ أَنَّ الشَّاعِرَ قَالَهَا وَهُوَ قَادِمٌ إِلَى دِيَارِ قَوْمِهِ، وَأَنَّ هَضْبَ عَارِمَةَ قَدْ حَجَرَ بَصَرَهُ
عَنْهَا، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ قَالَهَا وَهُوَ رَاحِلٌ، وَقَدْ نَظَرَ هُوَ وَصَاحِبَاهُ خَلْفَهُمْ فَرَأَوْا بَعْضَ الْمَعَالِمِ
الْحَاطِطَةِ بِمَرَابِعِهِمْ.

معجم الشعراء/ ١٤٤-١٤٥، والآيات ١-٥ في معجم البلدان (سُغْد، البشُر)،
وبقيتها فيه (عَارِمَةَ)، كما نسب آخر ثلاثة منها لعبد الله بن الصَّمَّة في (البشُر)، وهي
كذلك في المؤلف والمختلف بتحقيق فراج/ ٢١٤، رواها (الشَّر)، وهُمَا تَصْغِيفَانِ لِ
(النَّير) كما أكد الشيخ حمد الجاسر في العرب/ ١٦٢-١٦٣. الْمُحْتَسَى/ ٦٤، مسالك
الأبصار ١٦٤/٩، التبريزي ١٦٠/٢، شعراء نجد والحجاز والعراق/ ٧٥٤، ديوانه ٥٦

(١) يَذُلُّ هَذَا الْبَيْتُ عَلَى لَوْنِ سُوَاكِ الْمَائِلِ إِلَى الْخُمْرَةِ، وَآلِ الضُّحَى: السَّرَابُ وَقَتَ الضُّحَى، وَمِمَّا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ
أَنَّ الْعَرَبَ بَعْدَ الْإِسْلَامِ تَأَثَّرُوا بِالِاسْتِخْدَامِ الْقَرَّانِيِّ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: [مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ
يَحْسِبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً]. أَمَّا سُوَاكِ؛ فَقَدْ قَالَ الْجَاسِرُ فِيهِ: "يَقْصِدُ الشَّاعِرُ الْجَبَلَ الْوَاقِعَ جَنُوبَ النَّيْرِ، وَهُوَ لَا يَسْرَأُ
مَعْرُوفًا بِاسْمِهِ، وَلَا يَقْصِدُ الْجَبَلَ الْآخَرَ الَّذِي تَقْدَّمَ ذِكْرُهُ" (العرب: ١٤٦)، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ بِسُوَاكِ الْمُرْدَمَةِ،
وَلَيْسَ سُوَاكِ الْجَمَى، أَوْ سُوَاكِ الْحَبْلِ الْمَعْرُوفِ الْآنَ فِي شَرْقِ جَمَى ضَرْبَةٍ (العرب: ١٤٤). قَالَ يَاقُوتُ: "قُلْتُ
ابْنَ الْأَعْرَابِيِّ: ... هُوَ جَبَلٌ تَأْوِي فِيهِ الْجِنَّ، قَالَ بَعْضُهُمْ:

أَقْبَلْتُ مِنْ نَيْرٍ وَمِنْ سُوَاكِ
بِالْقَوْمِ قَدْ قَلَّوْا مِنَ الْإِدْلَاجِ

وَقَالَ السُّكْرِيُّ: سُوَاكِ جَبَلٌ بِالْعَالِيَةِ؛ أَيْ عَالِيَةِ نَجْدٍ، وَسُوَاكِ الْمُرْدَمَةِ لَيْسَ سُوَاكِ طَخْفَةِ (البلدان: سُوَاكِ).

(٢) الْمَرْزُبَانِي: (أَصَابَ سَقِيمُ الْقَوْمِ تَتِيمٌ مَا بِهِ فَحْنٌ وَلَمْ يَمْلِكْ آخَرُ الْقَوْمِ الْجَلْدُ)، وَفِيهِ أخطاء كثيرة ظاهرة،
مِنْهَا أَنَّ الْعَجْرَ مَحْتَلَّ الْوِزْنِ فِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ، وَقَالَ الْمَرْزُبَانِيُّ بَعْدَ رِوَايَتِهَا: "فِي آيَاتٍ" مُشِيرًا إِلَى أَنَّ مَا رَوَاهُ آيَاتُ
اخْتَارَهَا. أَمَّا الْأَمْدِيُّ فَفِيهِ (أَخُو الْقُوَّةِ)، وَهُوَ الصُّوَابُ، غَيْرَ أَنَّهُ أَبْقَى عَلَى رِوَايَةِ الْبَيْتِ الْأَوَّلِ كَمَا هِيَ. وَفِي
دِيَوَانِهِ (جَهْلُ الْقَوْمِ تَتِيمٌ). وَالتَّتِيمُ ذَهَابُ الْعَقْلِ مِنَ الْهَوَى (اللسان: تَتِيمٌ)، أَمَّا الْهَاءُ فِي (يَمْلِكُهُ) هِيَ لِلدَّمْعِ،
وَيَكُونُ مَخْرَجُ الْبَيْتِ: (فَحْنٌ ذُو الْقُوَّةِ الْجَلْدُ وَلَمْ يَمْلِكْ دَمْعَهُ).

{ الطويل }

- ١ أَعَاذِلُ، بَعْضَ اللَّوْمِ، إِنَّ مَنِّي
لَقَدَّرَ لِيَالٍ مَا لَهْنٌ مَزِيدُ^(١)
- ٢ وَلَئِنْ ارْتَحَلْتَنِي لَا يَدِي مَنِّي
وَلَا مَانِعِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ قُعُودُ
- ٣ وَقَدْ يُرْجِعُ اللَّهُ الْفَتَى بَعْدَ غَيْبَةٍ
وَيَلْقَى الْمَنَايَا آخِرُونَ شُهُودُ^(٢)

تَخْرِيجُ الْآيَاتِ :

التذكرة السَّعْدِيَّة في الأشعار العربيَّة / ٣١٤، وَلَمْ تَرِدْ فِي الْعَرَبِ، وَلَا دِيَوَانِهِ

المطبوع

- (١) عَاذِلُ: مُنَادَى مُرَحَّمٍ، وَهِيَ تَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ غَيْرَ مُرَحَّمٍ إِنْ كَانَ الْعَاذِلُ مُذَكَّرًا، فَتَكُونُ بِالضَّمِّ لَا غَيْرَ، أَمَّا إِنْ
كَانَ مُؤَنَّثًا فَتَحْتَمِلُ الْفَتْحَ وَالضَّمَّ كِلَيْهِمَا. وَقَوْلُهُ: بَعْضَ اللَّوْمِ، نُصِبَ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ بَيَانَةً عَنِ الْمَفْعُولِ الْمَطْلُوقِ.
وَقَوْلُهُ: لَقَدَّرَ لِيَالٍ؛ تَوَقَّعَ مِنْهُ يَدُنْهُ أَجَلُهُ، وَمَا هُوَ بِالْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا يُحَاوِلُ بِهِ أَنْ يَسْتَدِيرَ عَطْفَ مَنْ يَلُومُهُ لَا أَكْثَرَ.
- (٢) فِي التَّذَكُّرَةِ (غَيْبَةٍ)، وَالْأَدَقُّ مَا أَتَيْنَاهُ. وَلَمْ يَكُنِ اللَّوْمُ الَّذِي وَجَّهَهُ الشَّاعِرُ مِمَّنْ عَذَلَهُ عَلَى الرَّحِيلِ وَحْدَهُ، بَلِ
الظَّاهِرُ أَنَّهُ لَوَّمَ عَلَى رَحِيلِهِ وَنَيْتِهِ الْإِنْضِمَامَ إِلَى الْجِيُوشِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي فُتُوحِهَا، وَيَدُو أَنَّ مَنْ عَذَلَ الشَّاعِرَ كَانَ
قَرِيبًا مِنْهُ إِلَى دَرَجَةِ رَهْبَةٍ أَنْ يَمُوتَ فِي إِحْدَى الْمَعَارِكِ، وَلَعَلَّ الْعَاذِلَ رَجَا.

{ الطويل }

- ١ أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ مُسَخِّفٍ جَلِيدُهَا وَسَلَمَى مُيِّنٌ بُحْلُهَا وَصُدُودُهَا^(١)
 ٢ أَحَقًّا عِبَادَ اللَّهِ أَنْ لَسْتُ نَاطِرًا إِلَى الْهَضْبِ إِلَّا عَاوَدَ النَّفْسَ عِيدُهَا^(٢)
 ٣ وَإِلَّا اسْتَهَلَّتْ عِبْرَةٌ بَعْدَ زَفَرَةٍ يُصَدِّعُ قَلْبِي أَنْ يَلَمَّ صُعودُهَا^(٣)
 ٤ وَإِنْ كُنْتُ قَدْ عُلِقْتُ مِنْ سَاكِنِ الْحِمَى مُكَدِّبَةً وَعُغْدِي، صَدُوقًا وَعِيدُهَا^(٤)
 ٥ وَلَوْ طَلَبْتُ مِنِّي عَلَى ذَاكَ فِي الْهُوَى زِيَادَةَ حُبٍّ، لَمْ أَحِذْ مَا أَزِيدُهَا
 ٦ أَلَا قَاتِلَ اللَّهِ الْهُوَى بَعْدَ نَظَرَةٍ أَفَادَكُمَا يَوْمَ الْإِقَاءِ مُفِيدُهَا
 ٧ فَأَخْفَيْتُ مِنْ أَصْحَابِي الشَّوْقَ بَعْدَمَا جَرَى مِنْ جُفُونِ الْمُتَلَبِّينِ فَرِيدُهَا^(٥)

(١) الْمُسْتَحْفِ وَالْمُسْتَحْفِي سَيَانِ (اللسان: خفي)، وَحَلِيدُهَا: تَحَلَّدُهَا (اللسان: جلد)، وَالْمُبِينُ الظَّاهِرُ (اللسان: بان). وَالْبَيْتُ فِيهِ مُقَابَلَةٌ بَيْنَ حَالِهِ هُوَ إِذْ يَتَحَلَّدُ حَتَّى لَا يَرَى الشَّامِتُونَ ضَعْفَهُ، وَحَالُ حَبِيبَتِهِ الَّتِي سَمَّاها هُنَا (سَلَمَى) الَّتِي تُظْهِرُ صَدَّهَ وَتُبْخَلُ عَلَيْهِ بِالْوِصَالِ، وَهَذِهِ عَادَةُ غَزَلِي الْبَادِيَةِ فِي أَشْعَارِهِمْ.
 (٢) الْهَضْبُ: تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْ هَضْبِ عَارِمَةَ، وَالشَّاعِرُ هُنَا ذَكَرَ الْهَضْبَ غَيْرَ مُضَافٍ، وَلَعَلَّهُ الْهَضْبُ الْمُحَاوَرُ لِلنَّيْرِ (البلدان: الهضب). أَمَّا (عِيدُهَا)؛ فَعَادَتُهَا الَّتِي دَرَجَتْ عَلَيْهَا، وَهِيَ الْبُكَاءُ.
 (٣) اسْتَهَلَّتْ الْعَيْنُ وَأَنْهَلَتْ: سَالَتْ دُمُوعُهَا (اللسان: هلل)، وَالزَّفَرَةُ: آهَةُ الْكَبِيبِ تَطُولُ فِي صُعودِهَا مِنْ صَدْرِهِ؛ يُحَاوِلُ بِهَا أَنْ يُخَفِّفَ أَلَمَ كَيْدِهِ الْخَرَى (اللسان: زفر).
 (٤) لَعَلَّهَا (سَاكِنِي الْحِمَى)، لَكُنْهَا بِإِفْرَادِهَا دَالَّةٌ جَنَسِيٍّ مَنْ يَسْكُنُ الْحِمَى مِنَ النَّاسِ (اللسان: سكن)، وَقَوْلُهُ: (عُلِقْتُ)، أَيِ تَعَلَّقْتُهَا فَوَادَهُ. وَالْحِمَى الْمُقْصُودُ هُنَا هُوَ حِمَى النَّيْرِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ (البلدان: الحمى).
 (٥) الدَّمْعُ الْفَرِيدُ: أَسْلَةُ تَنْشِيبِ الدَّمْعِ فِي تَتَابُعِ قَطَرَاتِهِ بِالذَّرِّ، وَالْفَرَادَةُ صِفَةٌ لِلذَّرِّ إِذَا نُظِمَ وَفُصِّلَ بَيْنَ حَبَاتِهِ بِغَيْرِهِ (اللسان: فرد)، وَتَنْشِيبُ الدَّمْعِ بِالذَّرِّ الَّذِي انْفَرَطَ سَيْلُكُهُ مِمَّا هُوَ مَشْهُورٌ مُتَدَاوِلٌ بَيْنَ الشُّعْرَاءِ.

- ٨ وَكَانَ بُكَاءُ الْعَيْنِ مِنْ قَبْلِ مَا يَرَى عَلَى أُمِّ عَمْرٍو، عَادَةً تُسَعِّدُهَا^(١)
 ٩ لِيَالِي يَدْعُونِي الْهُوَى فَأَجِيبُهُ وَدَّتِيَايَ لَمْ يَخْلُقْ عَلَيَّ جَدِيدُهَا^(٢)
 ١٠ فَأَصْبَحْتُ قَدْ حَلَلْتُ عَنْ مَنَهْلِ الصَّبَا صَوَادِي مِنْ قَلْبِي ظَمَاءٌ أَدُودُهَا^(٣)

تخریجُ الأبيات :

الأشياء والتظائر ٢/١٤٠، العرب/١٦٣-١٦٤، ديوانه/ ٦٧

(١) (ما) فِي هَذَا الْبَيْتِ طَرِيقَةٌ مُصَدَّرَةٌ، وَيَكُونُ مَخْرَجُ الْكَلَامِ بِهَا: (مِنْ قَبْلِ رُؤْيِي عَلَى أُمِّ عَمْرٍو)، وَأُمُّ عَمْرٍو هُنَا كُنْيَةُ حَبِيبَتِهِ رَبَّيَا.

(٢) يَخْلُقُ: يَبْلُغُ (اللسان: خلق)، وَقَوْلُهُ: (لَمْ يَخْلُقْ عَلَيَّ جَدِيدُهَا) تَعْبِيرٌ عَنْ مُوَاتَاةِ الْحَيَاةِ لَهُ وَإِقْبَالِهَا عَلَيْهِ، وَاسْتِعْمَالُ هَذَا التَّعْبِيرِ مِمَّا تَوَارَدَ عَلَيْهِ الشُّعْرَاءُ، وَمِنْهُ قَوْلُ جَرِيرٍ:

بَانَ الشَّبَابُ فَوَدَّعَاهُ حَمِيدَا هَلْ مَا تَرَى خَلْقًا يَعُودُ جَدِيدَا

(٣) حَلًّا الْأَنْعَامِ عَنْ وَرْدِ الْمَاءِ: لِحَاكُمَا بِالْعَصَا وَالتَّهَرُّهَا، فَمَتَّعَهَا مِنَ الشَّرْبِ (اللسان: حلا)، وَالصَّوَادِي وَالظَّمَاءُ يَمَعْنِي؛ وَهِيَ الْعِطَاشُ الَّتِي اشْتَدَّ بِهَا الظَّمَا (اللسان: صدا، ظمى)، وَذَاذَهَا يَمَعْنِي أَبْعَدُهَا وَمَعْنَاهَا (اللسان: ذاد). وَقَدْ تَكَرَّرَتْ مُفْرَدَاتُ هَذِهِ الصُّورَةِ وَعَنَاصِرُهَا فِي قَصِيدَتِهِ التَّائِيَةِ.

قافية الرّاء

(١٨)

{ الوافر }

- ١ عَرَفْتُ الْيَوْمَ بِالْأَسْنَادِ دَارَا
- ٢ مَنَازِلَ حَيْرَةٍ شَحَطْتُ نَوَاهِمُ
- ٣ رَمَيْتُ بِالسَّلِيلِ غَدَاةً بَاتُوا
- ٤ بِأَذْهَمٍ فَاجِحٍ وَبِذِي غُرُوبٍ
- فَدَمَعُ الْعَيْنِ يَنْهَمِرُ أَتَهَامَارَا ^(١)
- وَأُعْقِبَتِ السَّوَافِي وَالْقِطَارَا ^(٢)
- عَلَى حَدَرٍ، وَمَا رَمَتْ اغْتِرَارَا ^(٣)
- كَأَنَّ عَلَى أَشْجَانِيهِ عَقَارَا ^(٤)

(١) الأسناد: جمْعُ سَنَدٍ، وهو ما ارتفع من الأرض في قُبَلِ الوادي أو الجَبَلِ (اللسان: سند) وقد تقدّم حديث عن سَنَدِ الْوَدَّكَاءِ فَلْيَنْظُرْ .

(٢) شَحَطْتُ نَوَاهِمُ: بَعُدَ مَرَارُهُمْ، وَأَصْبَحَتْ دِيَارُهُمْ بَعِيدَةً (اللسان: شحط)، والسَّوَافِي مِنَ الرِّيَاحِ: تِلْكَ الَّتِي تُسْفِي التُّرَابَ وَالرَّمْلَ فَتَصْعُبُ الْحَرَكَةَ فِي وَقْتِ هُبُوبِهَا، وَهِيَ أَدْعَى لِتَغْيِيرِ مَعَالِمِ الدِّيَارِ بَعْدَ أَنْ يَرْتَجِلَ عَنْهَا أَهْلُهَا (اللسان: سفا)، وَقَدْ سَمِيَ الْآنَ بِـ (الطُّونِ). أَمَّا الْقِطَارُ فَجَمْعُ الْقَطْرِ، وَهُوَ الْمَطَرُ الْكَبِيرُ الْحَبُّ الْمُتَتَابِعَةُ (اللسان: قطر) .

(٣) ظَنَّ الْفَيْصَلُ أَنَّ السَّلِيلَ هُنَا مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي أَسَدٍ، وَهُوَ إِنَّمَا يَنْقُلُ عَنِ الْجَاسِرِ حِينَ حَدَدَ السَّلِيلَ مَقْرُونًا يَعَاقِلُ فِي دِيَارِ بَنِي أَسَدٍ، وَقَدْ أَتَيْنَا قَبْلَ أَنَّ السَّلِيلَ إِنَّمَا هُوَ مِنْ دِيَارِ قُشَيْرٍ عَلَى أَطْرَافِهَا .

(٤) الْأَذْهَمُ: يَقْصِدُ بِهِ الشَّعْرُ الْأَسْوَدُ (اللسان: ذه)، وَأَكَّدَ صِفَةَ الدَّهْمَةِ بِقَوْلِهِ: (فاجح)، وَهُوَ الْأَسْوَدُ الْحَسَنُ (اللسان: فحج). أَمَّا قَوْلُهُ: (ذِي غُرُوبٍ)، فَهُوَ يَصِفُ فَاحَا وَجَمَالَهَا بِمَا تُضَيَّفُ إِلَيْهِ الْأَسْنَانُ الْمُفْلَحَةُ الْبَيْضَاءُ جَمَالًا آخَرًا، وَالْغُرُوبُ: الْإِمَاعُ الْأَسْنَانِ النَّاصِعَةِ بِمَاءِ الرِّيْقِ (اللسان: غرب)، وَكُلُّمَا كَانَتْ كَذَلِكَ كَانَ أَطْيَبَ لِرَائِحَةِ الْقَمْرِ، وَلَا تَكُونُ كَذَلِكَ إِلَّا إِذَا كَانَتْ مُؤَشِّرَةً رَقِيقَةً مُنْتَظِمَةً، وَهَذَا هُوَ الشُّبُّبُ فِي أَصْلِهِ (اللسان: شنب). أَمَّا الْعَقَارُ -بِضَمِّ الْقَافِ- فَالْخَمْرُ (اللسان: عقر) .

- ٥ صُهَيْبَاءُ الشَّرَابِ خَيَّ حَوْلٍ
- ٦ فَلَمَّا طَابَ مَشْرِئُهَا تَدَاعَى
- ٧ يَرْجُمُ الظَّنَّ، غَيْرَ يَقِينٍ عَلِيمٍ
- ٨ بِأَعْيُنٍ مُحْسِدِينَ أَمَّا إِلَيْهِ
- وَحَوْلًا أَوْقَرَتْ مَدَرًا وَقَارَا ^(١)
- لَهَا الْغَاوُونَ وَابْتَدَرُوا الْجَارَا ^(٢)
- كَمَا شِيمَ الْحَيَا حِينَ اسْتَطَارَا ^(٣)
- كَمَا أَلْقَى إِلَى طَاسِيَا ثَوَارَا ^(٤)

تخريج الأبيات :

تعليقات المحرري (مقطوعة ١٤٨)، العرب / ١٦٤، شعراء قشير ١٦٥/٢، ديوانه / ٧٤

(١) صُهَيْبَاءُ: تَصْغِيرُ صُهْبَاءَ، وَهِيَ الْخَمْرُ الضَّارِبَةُ إِلَى الْحُمْرَةِ (اللسان: صهب). خَيَّ حَوْلٍ: أَيِ غَصِرَتْ وَخُبَّتْ فِي الرِّقَاقِ حَوْلًا. وَقَدْ جَاءَتِ الْكَلِمَةُ (جَوْلًا) فِي التَّعْلِيقَاتِ، وَهِيَ كَذَلِكَ فِي الْعَرَبِ وَدِيَوَانِهِ، وَأُظْهِرْنَا (وَحَوْلًا) كَمَا أَتَيْتُهَا، إِذْ لَمْ أَجِدْ لَهَا ذِكْرًا فِي الْمَعَاجِمِ، وَبِهَذِهِ يَسْتَقِيمُ تَقْطُّمُ الْبَيْتِ وَمَعْنَاهُ .

(٢) دِيَوَانُهُ وَشُعْرَاءُ قَشِيرٍ (الغادون)، وَمَا أَتَيْنَاهُ مِنْ تَعْلِيقَاتِ الْمَحْرِيِّ، وَابْتَدَرُوا: بَادَرُوا، وَالتَّجَارُ: الشِّرَاءُ وَالْبَيْعُ (مِنَ التَّجَارَةِ)، أَيِ بَادَرُوا إِلَى بَائِعِي الْخَمْرِ فِي الْحَوَانِيتِ؛ وَهُمْ فِي الْعَادَةِ مِنَ الْيَهُودِ وَالتَّصَارِي .

(٣) رَجُمَ الظَّنَّ: التَّوَقُّعُ وَالتَّخْمِينُ اللَّذَيْنِ لَا يَسْتَنِدَانِ إِلَى مَا يُرْجَحُهُمَا، فَهَوْلَاءُ الْغَاوُونَ ابْتَدَرُوا التَّجَارَ لِشِرَاءِ الْخَمْرِ دُونَ أَنْ يَتَأَكَّدُوا مِنْ أَنَّهَا أَصْبَحَتْ جَاهِزَةً لِلشُّرْبِ، لَكِنَّهُمْ تَوَقَّعُوا ذَلِكَ، وَشَامُوهُ كَمَا يُشَامُ الْمَطَرُ بِالسَّحَابِ وَالْبَرَقِ، وَشَامَ الْبَرَقِ وَالسَّحَابِ: نَظَرَ إِلَيْهِ فَتَوَقَّعَ مَكَانَ إِمْطَارِهِ (اللسان: شيم) .

(٤) دِيَوَانُهُ وَشُعْرَاءُ قَشِيرٍ (لَقُومًا)، وَتَصَوُّبِهِ مِنْ تَعْلِيقَاتِ الْمَحْرِيِّ. الْمُحْسِدُ: الْحَافِي الْمُتَشَوِّقُ الرَّقِيقُ الْقَلْبُ (اللسان: حذب) .

{ الوافر }

- ١ أقول لصاحبي والعيس هوي بنا بين المنيقة والضمار^(١)
 ٢ سمع من شميم عرار بجدي فما بعد العشيّة من عرار^(٢)
 ٣ وبين قفارها فقف المطايا فإن العيس تحبس بالقفار^(٣)

(١) في أمالي القالي وشرح الحماصة (فالضمار)، وفي الأمالي (تخدي)، وفي غيرها (الغمار)، وهي غمرة وما والاها إلى طريق البصرة، ووجه من الغمار، وهي جبال غمرة، وذات عرق من الغمار، ومنها غمرة كندة. والأولى (الضمار)، لا كما قال الجاسر: "والغمار وردت في المؤلفات: الضمار - بالضاد، ولا شك أنه تصحيف قديم". ودليلنا أن الغمار والضمار موقعان مختلفان كما في مصادر البلدانيات (انظر ياقوت: الغمار، الضمار). العيس: الإبل التي يضرب لوئها إلى الصغرة، وقيل هي الإبل البيض مع شقرة يسيرة (اللسان: عيس)، وهوت الإبل في مسيرها: اشتد سبورها فكانها ترقل إرقلًا، ولا يكون ذلك إلا إذا كانت تسير على منحدر من الأرض. أما المنيقة والضمار فقد ساقهما الجاسر معًا في التعريف بهما، قال: "يحده ياقوت بأنه بين نجد واليمامة، وهذا تحديد غريب (!) ويُفهم من البيت الوارد فيه أنه يقرب المنيقة، وهي على ما ذكر ياقوت بئر لبي تميم في فلج، وقلج يعرف الآن بالباطن؛ واد عظيم يخترق أسفل نجد من الغرب إلى الشرق من الدغناء حتى قرب البحر، ويقع بطريق المنيقة إلى العراق؛ فهل اتخذ الشاعر طريقه إلى الشام الطريق المار بالعراق؟ هذا ما لا نستطيع الجزم به، لعدم الأدلة" (العرب: ١٤٧).

والواقع أن قلجًا هذه ليست التي تكلم الجاسر عليها؛ فهناك أفلاج كثيرة. قال ياقوت وقد ساق الأبيات ونسبها إلى أغرابي: "الضمار موضع بين نجد واليمامة" (البلدان: الضمار)، وقال في المنيقة: "ماء لبي تميم على فلج كان فيه يوم من أيامهم، وهو بين نجد واليمامة"، ثم ذكر البيتين الأول والثاني بدون عزو (البلدان: المنيقة). لكنه قال في تعريف فلج: "وفلج مدينة بأرض اليمامة لبي جعدة وقشير بن كعب بن ربيعة بن عابر بن صعصعة ... والأفلاج لبي جعدة وفيها لبي قشير" (البلدان: فلج)، وعلى ذلك فلا غرابة، ولا مجال للظن في نسبة الأبيات للصمة، أو تردّد في أنه اتخذ طريقه إلى الشام من جلال العراق !

(٢) العرار: نبات طيب الرائحة، وهو الترجس البري (اللسان: عرار)، والشميم: الشم.

(٣) انفرد بهذا البيت الحربي في كتاب (المناسك وأماكن طرق الحج)، وقد أورد البيت مرّتين، أولاهما (وبين

رباضها قفيف)، والأخرى (وبين قفارها قفيف)، انظر كتاب المناسك، ص ٣١٨، ص ٦٠٣.

- ٤ ألا يا حبدًا فحات نجد ورّيا روصه بعد القطار^(١)
 ٥ وأهلك، إذ يحل الحي نجدًا وأنت على زمانك غير زار^(٢)
 ٦ شهور ينقضين وما علمنا بأنصاف لهن ولا سرار^(٣)
 ٧ تقاصر ليلهن، فخير ليل وأطيب ما يكون من النهار^(٤)
 ٨ أسست من الحياة، وطال حزني فقلبي موجع، والدمع جار^(٥)

(١) في المرزوقي (غب القطار)، التفحات: نسائم الريح العليلّة المضخخة بروائح ذكيّة، والرّيا: الرّيح الطّيبة (اللسان: روى)، والقطار: المطر، جمّع قطر (اللسان: قطر).

(٢) الزاري: الذي يعتب ويعيب، ورّى عليه: ذكره يسوء وتقصه (اللسان: زرى).

(٣) المرزوقي (وما شعرتنا)، السّرار: آخر ليالي الشهر، حين يستسّر القمر (اللسان: سرر)، والشاعر هنا يشير قضية الإحساس بالزمن، فالزمن بالنسبة للإنسان مسألة نسبية؛ فهناك من يرى اليوم شهرًا، وهناك من يرى الشهر يومًا، والحقيقة أن الزمن ثابت لا يتغير؛ لكن الفرح والسعادة عادة ما يوتيان خلصة، وتدوم بالإنسان هوموم وتذكّه صروف الدهر والخدائن. ولهذا ظهرت قضية الزمن في الشعر العربي بارزة، ومنها قول شاعرهم:

يطول اليوم لا ألقاك فيه وحول تلقي فيه قصير

(٤) في معاهد التنصيص (فأما ليلهن فخير ليل وأقصر ما ...) من المعروف أن الليل والنهار يستويان تقريبًا في المناطق القريبة من خط الاستواء، ويطول الليل كثيرًا في المناطق القطبية حتى يبلغ أحيانًا نصف العام تقريبًا، أما المناطق المدارية وشبه المدارية، فليلة أطول من نهارها بنسبة بسيطة، وتفضيل الشاعر قصر النهار هنا دليل على أنهم كانوا يجدون الليل عليه لما فيه من برودة؛ فالتّهار شديد الحرارة في البوادي، وكلما قصر النهار كان أفضل عندهم.

(٥) انفرد به الحربي، انظر كتاب المناسك وأماكن طرق الحج، ص ٦٠٣.

المرزوقي ١٢٤٠/٣-١٢٤١، والتبريزي ١٠١/٢-١٠٢ للصِّمَّة القشيري، وهي كذلك في اللسان (عرر) له عن ابنِ بَرِّي، والتَّاج (عرر)، وفي (ضَمَر) قَالَ الصَّاعِي: "هكذا أنشده له المرزوقي، والصَّحِيح أَنَّهُ لِحِجْدَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَزْنِ الْعُقَيْلِيِّ". المناسك وأماكن طرق الحج/ ٣١٨، ٦٠٣، محاضرة الأبرار ٧٩/٢، الحنين إلى الأوطان/ ٢٤، رغبة الآمل ١٥/٧، وفي معاهد التنصيص ٢٥٠/٣ نسب الأبيات إلى الصِّمَّة القشيري، وقالَ بعدَ أن ساقها: "وقيل: الأبياتُ لِحِجْدَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ بْنِ حَزْنِ الْعُقَيْلِيِّ"، تاج العروس (الغمار)، أمالي القاضي ٣٣/١، سبط اللآلي ١٤٠/١، ٧٦٣/٢، المدهش/ ١٨٥، معجم البلدان (الضَّمار، المنيفة)، وزهر الآداب ١٠٣/٣، والوساطة/ ٣٤ بدون عَزْوٍ، الحماسة البصرية ١٠٩/٢ منسوبة لمُعَقَّلِ بْنِ جَنَابٍ أَوْ لِحِجْدَةَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، الزُّهْرَةَ/ ٦٠، المثل السائر ١٧٤/١، وانظر العرب/ ١٦٦-١٦٧، المرشد إلى فهم أشعار العرب ٣٥٨/١، شعراء قُشَيْرٍ ١٧٩/٢، ديوانه/ ٧٨.

وقد وهم البكري في السَّمَطِ، فقالَ بعدَ أن ذَكَرَ البيتَ الأوَّلَ منها: "أنشده أبو تَمَّامٍ للصِّمَّةَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْقُشَيْرِيَّ وَالِدَ دُرَيْدٍ" (سبط اللآلي، ١ ص ١٤٠).

{ الطَّوِيل }

- ١ وَهَلْ تَجْزِيَّتِي الْعَامِرِيَّةُ مُوقِفِي عَلَى نَسْوَةِ بَيْنِ الْحِمَى وَغَضَا الْجَمْرِ^(١)
- ٢ مَرَزْنَ بِأَسْبَابِ الصَّبَا، فَذَكَرْتُهَا فَأَوَمَّاتُ، إِذْ مَا مِنْ جَوَابٍ وَلَا تُكْر^(٢)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

الأغاني ٢٩٢/٥، مهذب الأغاني ١٨٦/٤، العرب / ١٦٥، شعراء قشير ١٨٣/٢، ديوانه/ ٨٤

(١) الأغاني وديوانه وشعراء قشير (هَلْ تَجْزِيَّتِي) عَلَى حَذَفِ المتحرِّكِ الأوَّلِ من فَعُولن، وكذا ديوانه. العامرية هُنَا هِيَ رَيَّا، وهذا هُوَ اسْمُهَا فِي الرَّوَايَةِ الَّتِي سَاقَهَا أَبُو الْفَرَجِ فِي أَغَانِيهِ، وَتَمَامُ اسْمِهَا: الْعَامِرِيَّةُ بَنَتْ غَطُفًا بَنَ حَبِيبِ بْنِ قُرَّةَ بْنِ هُبَيْرَةَ، فَهِيَ إِذَا ابْنَةُ عَمِّهِ الْعَبِيدِ. وَالشَّاعِرُ هُنَا يَذْكُرُهَا بِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِه إِذِ اسْتَمَعَ إِلَى نَسْوَةِ يَذْكُرُهَا فِي حُضُورِهِ؛ فَمَا كَانَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ ظَلَّ وَاجِمًا دُونَ أَنْ يُوَكِّدَ مَا حَكَّيْتُهُ عَنْ عَلاقَتِهِ بِهَا، وَدُونَ أَنْ يَنْفِي ذَلِكَ.

الْحِمَى: لَعَلَّهُ يُرِيدُ حِمَى النَّبَرِ وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، وَلَا شَكَّ فِي أَنَّ الْحِمَى يُطْلَقُ مُجَرَّدًا عَلَى أَيِّ جُزْءٍ مِنْ جَمْعِ الْقَبِيلَةِ، أَمَّا الْعَضَا، فَنَبَاتٌ مِنْ نَبَاتِ الرَّمْلِ لَهُ هُدْبٌ كَهُدْبِ الْأَرطَى، وَيَدُومُ جَمْرُهُ حِينَ يُشْتَعَلُ طَوِيلًا (اللسان: غضا).

(٢) أسباب الصَّبَا: ذِكْرِيَاتُ الصَّبَا وَحَوَادِثُهُ (اللسان: سبب)، وَالْإِيْمَاءُ أَنْ يَصْنُدَ عَنِ الْإِنْسَانِ الْمُؤَمِّسِ فِعْلًا لَا كَلَامًا؛ يَشِي بِمَا يُرِيدُ إِيْجَابًا أَوْ رَفْضًا وَإِنْكَارًا، وَبَعْضُ الْإِيْمَاءَاتِ تَحْتِمِلُ الْأَمْرَيْنِ مَعًا مِثْلَ حَرَكَةِ الْعُنُقِ بِالرَّأْسِ إِلَى اسْتَفْلٍ وَأَعْلَى؛ فَذَلِكَ تَعْتَمِدُ عَلَى مُلَاحَظَةِ الْبَدْءِ بِاتِّجَاهِ حَرَكَةِ الرَّأْسِ لِأَيِّ جِهَةٍ كَانَتْ أَوَّلًا. وَقَدْ كَانَ مِنْ عَادَةِ بَعْضِ الشُّعْرَاءِ تَكْرَارُ أَسْمَاءِ صَوْنِيَجِيَّاتِهِمْ، وَهَذَا هُوَ الْمَشْهُورُ مِنْ أَمْرِ الْعَبَّاسِ بْنِ الْأَحْنَفِ وَصَاحِبِيَّتِهِ (فوز).

{ الطويل }

- ١ نَعَزَّ بَصِيرَ ، لا وَجَدَكَ لا تَرى سَنَامُ الْحِمَى أُخْرَى اللَّيَالِي الْعَوَايِرُ ^(١)
٢ كَانَ فَوَادِي مِنْ تَذَكُّرِهِ الْحِمَى وَأَهْلُ الْحِمَى ، يَهْفُو بِهِ رِيشُ طَائِرٍ ^(٢)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

الأغاني ٥/ ٢٩٣، تجريد الأغاني ق ١ ج ٢/ ٧١٦، تزيين الأسواق ١/ ٢٣١، وفيها أَنَّ هذا آخرُ ما قاله الصَّمَّةُ قبلَ أَنْ تَفِيضَ رُوحُهُ. معاهد التنصيص ٣/ ٢٥٦، التذكرة الحمدونية ٦/ ١٥٣، معجم البلدان/ سَنَام، الوافي بالوفيات ١٦/ ١٩٣، الزهرة ١٧٧/ (لبعض الأعراب)، ديوان ابن الدمينه ٢٤/ ١٦٥، شعراء قشير ٢/ ١٨٢، ديوانه ٨٢. وقد رُوِيَ الأبياتُ لِلْمَجْنُونِ فِي دِيَوَانِهِ ٩٩

(١) فِي الْحَمْدُونِيَّةِ (بَشَامُ الْحِمَى إِحْدَى)، وَفِي الْوَافِي (لَا وَرَبَّكَ)، وَدِيَوَانِهِ وَشُعْرَاءُ قَشِيرِ (بَشَام). وَالتَّعَزَّى بِالصَّبْرِ وَالتَّحَمُّلِ بِهِ، وَالتَّحَلُّدُ، وَالتَّصَبُّرُ؛ كُلُّهَا يَمَعْنِي فِي غَايَةِ الْأَمْرِ. وَسَنَامُ الْحِمَى أَعْلَى مَا فِيهِ مِنْ هِضَابٍ عَلَى التَّشْبِيهِ بِسَنَامِ الْبَعِيرِ (اللَّسَان: سَنَم). قَالَ الْجَاسِزُ: "وَقَدْ يَقْصِدُ الشَّاعِرُ أَعْيَالِي الْحِمَى، وَهَنَاكَ مِنْهُلٌ يَقْرُبُ مَاوَانَ فِي حِمَى الرَّبْدَةِ، وَهُوَ بَعِيدٌ عَنْ يَلَادِ الشَّاعِرِ" (العرب/ ١٤٦)..

وَقَالَ يَاقُوتُ: "قَالَ نَصْرُ: سَنَامُ اسْمُ جَبَلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْبَصْرَةِ يَرَاهُ أَهْلُهَا مِنْ سَطُوحِهِمْ، وَفِي بَعْضِ الْآثَارِ أَنَّهُ يَسِيرُ مَعَ الدَّجَالِ. وَسَنَامُ أَيْضًا جَبَلٌ بَيْنَ مَاوَانَ وَالرَّبْدَةِ. وَسَنَامُ أَيْضًا جَبَلٌ لِسَيِّ دَارِمَ بَيْنَ الْبَصْرَةِ وَالْهَيْمَامَةِ؛ قَالَ بَعْضُهُمْ... وَحَدَّثَ مُحَمَّدُ بْنُ خَلْفٍ [عَنْ] وَكَيْعٍ، وَرَفَعَهُ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ طَبْرِسْتَانَ كَبِيرِ السَّنِّ؛ قَالَ: "بَيْنَمَا..."

وَيَذْكُرُ قِصَّةَ مَوْتِ الصَّمَّةِ، وَيُورِدُ الْبَيْتَيْنِ لَهُ (البلدان: سَنَام).

أَمَّا الْبَشَامُ؛ فَهُوَ شَجَرٌ طَيِّبُ الرَّيْحِ وَالطَّعْمِ يُسَنَّاكُ بِهِ، وَاحِدَتُهُ بَشَامَةٌ (اللَّسَان: بَشَم). وَأَمَّا الْحِمَى فَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ. وَاللَّيَالِي الْعَوَايِرُ: اللَّيَالِي الْبَاقِيَّةُ - الْمُتَبَقِّةُ (اللَّسَان: غَيْرُ)، وَهُوَ يَقْصِدُ أَنَّهُ لَنْ يَرَاهَا أَبَدَ الدَّهْرِ فِي مَا تَبَقَّى لَهُ مِنْ أَيَّامٍ.

(٢) فِي الْوَافِي (وَأَهْلُ الْحِمَى). هَذَا الطَّائِرُ بِخَاصِّيهِ: أَيِ حَقَقَ بِهِمَا وَطَارَ (اللَّسَان: هُنَا)، وَهُوَ هُنَا يُصَوِّرُ بِالتَّشْبِيهِ مَا يُصِيبُ قَلْبَهُ مِنْ تَسَارُعٍ فِي التَّنَبُّصِ حِينَ يَتَذَكَّرُ الْحِمَى وَسَاكِينِهِ؛ أَيِ رَمَا.

{ البسيط }

- ١ إِذَا نَأَتْ لَمْ تَفَارِقْنِي عَلاَقَتَهَا وَإِنْ دَنَتْ فَصُدُّودُ الْعَاثِبِ الزَّارِي ^(١)
٢ فَحَالُ عَيْنِي مِنْ يَوْمِكَ وَاحِدَةٌ تُبْكِي لِفَرْطِ صُدُودٍ ، أَوْ تَوَى دَارٍ ^(٢)

تَخْرِيجُ الْبَيْتَيْنِ :

الأغاني ٥/ ٢٩٤، مهذب الأغاني ٤/ ١٨٧، والثاني في التذكرة الحمدونية ٦/ ١٨٧، العرب/ ١٦٥، شعراء قشير ٢/ ١٧٨، الغزل عند العرب/ ٤٥، ديوانه ٧٧

(١) نَأَتْ: بَعُدَتْ وَرَحَلَتْ، أَوْ رَحَلَتْ عَنْ دِيَارِهَا بَعْدَ صَدِّهَا، وَالْأَوَّلَى بَعُدَتْ وَرَحَلَتْ لِمَا يُقَالُ لَهَا فِي عَجْرِ الْبَيْتِ (وَإِنْ دَنَتْ)، أَمَّا (صُدُودٌ) فَتَحْتَمِلُ الضَّمَّ وَالْفَتْحَ بِحَسَبِ تَقْدِيرِ مَا قَبْلَهَا؛ فَعَلِيَ الْفَتْحُ يَكُونُ التَّقْدِيرُ: (فَالَهَا تُصَدُّ صُدُودُ الْعَاثِبِ)؛ أَيِ عَلَى الْمَفْعُولِيَّةِ، وَعَلَى الضَّمِّ يَكُونُ التَّقْدِيرُ: (فَالَهَا دُنُوها صُدُودُ الْعَاثِبِ). وَالْعَاثِبُ وَالْمُعَاثِبُ بِمَعْنَى، أَمَّا الزَّارِي؛ فَاللَّائِمُ الشَّدِيدُ اللَّوْمِ، الَّذِي فِي لَوْمِهِ تَخْرِيجُ (اللَّسَان: زَرَى).

(٢) فِي التَّذَكُّرَةِ الْحَمْدُونِيَّةِ: (تَحْتَالُ عَيْنِي فِي يَوْمِكَ وَاحِدَةً)، وَفِيهِ تَصْغِيفٌ وَتَحْرِيفٌ ظَاهِرَانِ، وَفِي دِيَوَانِهِ (فَحَالُ عَيْنِي)، وَقَدْ أَتَرْنَا الرِّوَايَةَ الْأُخْرَى لِأَنَّ قَوْلَهُ (تُبْكِي) فِي عَجْرِ الْبَيْتِ يُوَكِّدُ هَذِهِ الرِّوَايَةَ، إِذْ لَوْ كَانَتْ كَمَا فِي دِيَوَانِهِ لَاقْتَضَى التَّنْظِيمُ (تُبْكِيانِ)، وَقَدْ جَاءَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ فِي الْأَغَانِي (٦/ ٦) ! وَفَرَطُ الصُّدُودِ: شِدَّتُهُ وَالْإِفْرَاطُ فِيهِ إِثْمَانًا فِي الْإِيلَامِ (اللَّسَان: فَرَطُ)، أَمَّا التَّوَى فَهُوَ الْبُعْدُ وَالْإِرْتِحَالُ (اللَّسَان: تَوَى).

{ الطويل }

- ١ خَلِيلِي، هَلْ يُسْتَحْبَرُ الْأَثْلُ وَالْعَصَا
وَبِتُّ الرُّبَا مِنْ بَطْنٍ وَدَّانٍ، وَالسِّدْرُ^(١)
٢ وَهَلْ يَلْتَقِي - لَا بَعْدَ مَا قَدْ تَصَافَا -
خَلِيلَانِ بَانَا لَيْسَ بَيْنَهُمَا وَرْ^(٢)
٣ نَأَتْ هَهُمَا دَارُ الْهَوَى وَتَرَاقِيَا
دُرَى الصُّغْنِ حَتَّى لَجَّ بَيْنَهُمَا الشَّرُّ^(٣)
٤ إِذَا بِنْتُ، إِلَّا مَا عَدَا الثَّنَائِي بَيْنَنَا
وَبَيْنَكَ، لَمْ يَلْزَمْكَ مَا فَعَلَ الدَّهْرُ^(٤)

تَخْرِيجُ الْآيَاتِ :

الأشباه والنظائر ٢/ ٢٥٤، العرب/ ١٦٦، شعراء قشير ٢/ ١٥٠، ديوانه/ ٧٠

(١) الْأَثْلُ وَالْعَصَا نباتان من نباتات الرَّمْل، وَبِتُّ الرُّبَا عادة ما يكون مُسْتَدِيقُ الْأَغْصَانِ سِوَى السِّدْرِ الذي يكون شَوْكِيًّا. أَمَّا وَدَّانٍ فَقَالَ فِي أَمْرِهِ الْحَاسِرُ: "وَدَّانٍ كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ يَقَعُ بِقُرْبِ سَاحِلِ الْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، بَيْنَ رَابِعٍ وَبَتَّعٍ، وَهُوَ إِلَى الْأَوَّلَى أَقْرَبُ، وَهُوَ بَلَدُ الشَّاعِرِ نَصِيبٌ، وَمَنْ الْمُسْتَبْعَدُ أَنْ يَذْكُرَهُ الصُّمَّةُ لِعَدَمِ صِلَتِهِ بِهِ، وَتَرَى أَنَّ الْمَقْطُوعَةَ لَيْسَتْ لِلصُّمَّةِ" (العرب/ ١٥٠).

قَالَ يَاقُوتُ بَعْدَ أَنْ يَذْكُرَ بَلَدَ نَصِيبٍ: "... وَوَدَّانٍ أَيْضًا: جَبَلٌ طَوِيلٌ بَيْنَ قَيْدٍ وَالْحَبْلَيْنِ" (البلدان: وَدَّانٍ)، وَقَيْدٌ كَمَا يَذْكُرُ يَاقُوتُ: "أَكْرَمُ نَحْلٍ؛ قَرِيبٌ مِنْ أَجَا وَسَلْمَى جَبَلِي طَيِّ" (البلدان: قَيْدٍ)، وَهُوَ عَلَى هَذَا عَلَى حُدُودِ دِيَارِ قَشِيرٍ، وَمِمَّا يُوَكِّدُ ذَلِكَ مَا وَرَدَ فِي الْمَقْطُوعَةِ التَّالِيَةِ مِنْ ذِكْرِ شَيْخَةِ الرَّمْلِ، وَأَتَتْهَا مَاءٌ شَرْقِيٌّ قَيْدٍ (انظر هامش ١ في المقطوعة التالية).

(٢) فِي مُخْتَلَفِ التَّصَوُّصِ (يَقْتَنِي)، وَأُظُنُّ رَوَايَتَهَا بِاللَّامِ أَدَقُّ لِمَا يَقْتَضِيهِ مَعْنَى عَجَزِ الْبَيْتِ وَالْآيَاتِ الَّتِي تَلِيهِ. وَالْوَرْدُ: الصُّغْنُ وَالنَّازُ.

(٣) تَرَاقِيَا دُرَى الصُّغْنِ: صَعَدَا حَتَّى بَلَغَا قِمَّةَ الْكُرَاهِيَةِ، وَلَجَا فِي الْخُصُومَةِ وَالتَّضَاعُنِ حَتَّى اسْتَحْكَمَ الشَّرُّ بَيْنَهُمَا، وَمَنْ الْمَعْرُوفُ أَنَّ الْحَبِيبَيْنِ إِذَا افْتَرَقَا عَلَى خُصُومَةٍ، وَتَنَاءَتْ بِهِمَا الدِّيَارُ، وَلَمْ تُجِدِ الْإِيَّامُ بِلِقَائِهِمَا لِيَتَصَافِيَا، إِزْدَادَتْ تَوَازُغُ الدَّائِيَةِ فِي نَفْسَيْهِمَا، وَاسْتَحْكَمَتْ مَشَاعِرُ اللَّدَادَةِ.

(٤) فِعْلُ الدَّهْرِ: تَفْرِيقُ الْأَحْيَةِ وَالْحَوَرِ عَلَيْهِمْ، وَالشَّاعِرُ يُرِيدُ عَنْ حَبِيبَيْهِ وَرَزَّ هَذَا الْفِرَاقِ، وَيُنَسِّبُهُ لِلدَّهْرِ وَصُرُوفِ الْإِيَّامِ.

{ الطويل }

- ١ وَلَمَّا تَرَلْنَا شَيْخَةَ الرَّمْلِ أَغْرَضَتْ
وَلَا حَتَّ لَنَا حُزْوِي وَأَعْلَامُهَا الْغُبْرُ^(١)
٢ شَرَبْنَا مَاءَ الشُّوقِ حَتَّى كَأَمَّا
سَرَتْ فَاسْتَقَرَّتْ فِي مَفَاصِلِنَا الْحُمْرُ^(٢)
٣ وَظَلَّ بَعِيْنُكَ اللَّجُوجَيْنِ وَكَفَّ
مِنْ الدَّمْعِ أَنْ لَا يَنْطِقَ الطَّلَلُ الْفَقْرُ^(٣)
٤ عَلَامُ نَقُولُ: الْهَجْرُ يَشْفِي مِنَ الْجَوَى
أَلَا لَا، وَلَكِنْ أَوَّلُ الْكَمَدِ الْهَجْرُ^(٤)

تَخْرِيجُ الْآيَاتِ :

الحماسة الشجرية ١/ ٥٤١-٥٤٢، وليست في العرب، شعراء قشير ٢/ ١٥٧،

ديوانه/ ٧٣

(١) لَمْ يَذْكُرِ الْجَاسِرُ شَيْخَةَ الرَّمْلِ، وَقَالَ يَاقُوتُ: "... قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ السُّكُونِيُّ: الشَّخَّةُ شَرْقِيٌّ قَيْدٍ، بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، مَاءٌ مَعْرُوفَةٌ تُنَاوِحُ الْقَيْصُومَةَ، وَهِيَ أَوَّلُ الرَّمْلِ ... وَقِيلَ: الشَّيْخَةُ يَطْنُ الرُّمَّةُ" (البلدان: الشَّيْخَةُ)، وَهَذَا يُوَكِّدُ نِسْبَةَ الْقَصِيدَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ لِلصُّمَّةِ، وَلَعَلَّهُ يَرَجِّحُ أَنْ تُكَوِّنَ الْمَقْطُوعَتَانِ مِنْ قَصِيدَةٍ وَاحِدَةٍ، فَهُمَا تَمَثَّلَانِ فِي الْخِصَالِصِ الَّتِي تُوحَّدُ بَيْنَهُمَا فِي الْوَزْنِ وَالْقَافِيَةِ وَالرَّوْيِ وَالْمَوْضُوعِ.

أَمَّا حُزْوِي، فَلَمْ يَذْكُرْهَا الْجَاسِرُ أَيْضًا، وَقَالَ يَاقُوتُ: "مَوْضِعٌ يَنْجُو فِي دِيَارِ تَمِيمٍ" (البلدان: حُزْوِي)، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ دِيَارَ تَمِيمٍ مُحَارَرَةٌ لِدِيَارِ قَشِيرٍ.

أَعْلَامُهَا الْغُبْرُ: جِبَالُهَا الْغُبْرَاءُ، وَالْغُبْرَةُ كُدْرَةٌ فِي اللَّوْنِ بَيْنَ الرَّمَادِيِّ وَالْأَحْمَرِ.

(٢) قَوْلُهُ (يَمَاءُ الشُّوقِ) فِيهِ الْبَاءُ زَائِدَةٌ، وَمَخْرَجُهُ: شَرَبْنَا مَاءَ الشُّوقِ، وَمَاءُ الشُّوقِ الدَّمُوعُ الَّتِي تُتَهَلُّ بِهَا الْعَيْنَانِ لِحَظَاتِ الْإِشْتِيَاقِ.

(٣) الْعَيْنُ الْحُجُوجُ: تِلْكَ الَّتِي لَا تُتَفَكُّ طَوِيلَ النَّظَرِ إِلَى الْمَكَانِ رَغْبَةً فِي الْإِسْتِزَادَةِ مِنْهُ لِمَا يَحْمِلُهُ مِنْ ذِكْرِيَاتٍ عَزِيزَةٍ، وَهِيَ الْعَيْنُ الَّتِي لَا تَبْرَحُ تَبْكِي، وَالْوَاكِفُ: الدَّمْعُ الْمُنْتَهِرُ، وَهَذَا مِنْ صِفَاتِ السُّحْبِ (دَيْمَةٌ هَطْلَاءُ فِيهَا وَكَفَّ). أَمَّا قَوْلُهُ (أَنْ لَا يَنْطِقَ الطَّلَلُ الْفَقْرُ) فَهِيَ عَلَى تَقْدِيرِ التَّغْلِيلِ؛ لِأَنَّ لَا يَنْطِقُ؛ أَيْ لِعَدَمِ نَطْقِ الطَّلَلِ الْفَقْرِ.

(٤) هَذَا حِطَابٌ مِنَ الشَّاعِرِ لِنَفْسِهِ، فَادَّعَا أَنْ الْهَجْرَ يَشْفِي مِنَ الْحَوَى إِنَّمَا تُعْلَلُ بِهِ النَّفْسُ لِيَهْدَأَ أَوَارِهَا، وَلَا يَنْفُطْنَ الْعَاشِقُ لِمَثَلِ هَذَا إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَذُوقَ لَوَاعِيحَ الْفَرْقَةِ وَالْبُعْدِ، فَيَكُونُ الْهَجْرُ أَلَمَ وَأَقْسَى.

{ الطويل }

- ١ أَكْرَرُ طَرْفِي نَحْوَ جَدِّ وَلَيْسِي إِلَيْهِ ، وَإِنْ لَمْ يَذْرُكِ الطَّرْفُ، أَنْظُرُ^(١)
 ٢ حَنِينًا إِلَى أَرْضٍ كَانَ تَرَابُهَا إِذَا مَطَرَتْ غُودٌ وَمَسْكٌ وَعَنْبَرٌ
 ٣ بِلَادٍ كَانَ الْأَقْصَانُ بِرَوْضَةٍ وَتَوَارَ الْأَقْلَاحِي وَشَيْ بُرْدٍ مُحَبَّرُ^(٢)
 ٤ أَجْنُ إِلَى أَرْضِ الْجِازِ وَحَاجَتِي خِيَامٍ يَنْجِدُ دُونَهَا الطَّرْفُ يَقْصُرُ
 ٥ وَمَا تَنْظِرِي مِنْ نَحْوِ جَدِّ يَنْفَعِي أَجَلٌ لَا ، وَلَكِنِّي إِلَى ذَاكَ أَنْظُرُ
 ٦ أَفِي كُلِّ يَوْمٍ نَظْرَةً ثُمَّ عَبْرَةً لَعْنِكَ مَجْرَى مَائِهَا يَبْـحَدَّرُ
 ٧ مَسَى يَسْرِحُ الْقَلْبُ؟ إِمَّا مُجَاوِرٌ يَحْرِبُ ، وَإِمَّا نَازِحٌ يَذْكُرُ^(٣)

تخريج الأبيات :

معجم البلدان (تجد)

(١) واضح أن الشاعر قال هذه الأبيات وهو بعيد عن دياره، وهو يوضح في نهاية الأبيات أنها قيلت بعد أن التحق بالجنود المقاتلين، وقوله: (وإن لم يذرك الطرف) دال على أنه ينظر ناحية تجد من مكان بعيد، وأن مدى بصره لا يبلغ أن يذرك تجد، لكنه يديم النظر وإن لم يذرك، فهو إنما جهد المشتاق .

(٢) هكذا ورد البيت (بروضة)، ولعلها (بروضو)، وتكون الهاء هنا عائدة على الأقحوان نفسه، والوشى: الرينة التي تصنع في القماش بأن تدخل خيوط الألوان أخرى عدا لون الخلفية ذي النسبة الكبرى، وتحاك بأشكال جميلة (اللسان: وشي). والبرد القماش أو الثوب، أما التحير فإن تكون الألوان المدخلة على اللون الأصلي على هيئة خطوط عريضة (اللسان: حبر)، وقد كانت اليمن تشتهر بمثل هذه البرود .

(٣) المجاور بالحرب: المقاتل الذي فرض في الجند فلا يبارح فرقه حتى تنتهي المهمة التي توجه الجيش إليها، والتاريخ: المعترب عن دياره فهراً، وهو الذي بعدت عليه الشقة عن وطنه وأهله، وتقادفه الدروب .

{ البسيط }

- ١ إِنَّ الْكَرِيمَ وَإِنْ أَرَبْتَ خَلِيقَهُ مَا لَمْ يَجِدْهُ بِأَذْنِي وَلَيْلِ الْيُسْرِ^(١)
 ٢ يَرْتَوِطُ طَرْفٌ كَلِيلُ اللَّحْظِ خَاشِعِهِ كَأَنَّهُ مُذْنِبٌ قَدْ فَاتَهُ عُدْرُ^(٢)
 ٣ إِذَا ذُووُ الْمَالِ عَسَوْا فِي مُنَاقَلَةٍ أَلْفَيْهِ وَائِيًا فِي بَاعِهِ قُصْرُ^(٣)

تخريج الأبيات :

أما اليزيدي / ١٥٠ عن عمه الفضل، وكذلك في المراثي له / ٣١٢، وليست في العرب ولا ديوانه. ويبدو أن الصمة قال هذه الأبيات على أثر ما حصل بين أبيه وعمه في مهر ربا من ملاحاة ومحاك .

(١) أربت: زادت وفصلت على غيرها (اللسان: ربا)، والخلائق: الخصال والطباع (اللسان: خلق)، ومنها قول زهير: (وأنهما تكن عند امرئ من خليقة وإن خالها تخفى على الناس تعلم). وجاده اليسر: وصله بالنعمة وزاده لين معاش، والويل في أصله للغيث، وينبغي ملاحظة ارتباط الخير واليسار والكرم والجود عند العرب بالماء والمطر والحيا والقوت .

(٢) كليل اللحظ: الذي لم يدم نظره طويلاً، ولم ينظر بآنعام وكأنه في بصره علة ما تمتعه من ذلك (اللسان: كلل)، وخاشع البصر: الذي تظهر في نظره الذلة والمسكنة؛ وكأنه يحس نقصان قدره عن حوله (اللسان: خشم)، كالمذنب المغير بدائه حين لا يملك ما يعتذر به عن زلته .

(٣) ذوو المال: أصحابه من التوسيرين، وهو يقصد هنا أباه وعمه. عتوا: لجأوا في اليحاك وصعبوا الأمر (اللسان: عنى)، والمنقلة: نقل المال من أحدهم إلى الآخر (اللسان: نقل). والواني: الواجيم العاجز (اللسان: وني) .

{ الطويل }

١ فَإِنْ تُنْكِحُوهَا عَامِرًا لِإِطْلَاعِكُمْ إِلَيْهِ ، يُدْهَدِ هُكُمُ بِرَجُلَيْهِ عَامِرٌ^(١)

تَخْرِيجُ الْبَيْتِ :

قاله يهجو عامر بن يشير بن أبي براء بن مالك بن ملاءب الأسنة بن جعفر بن كلاب الذي خطب رياء ثم تزوجها، وكان قصيرا قبيحا، ويحذر قومه (عمه) من معبة هذا الزواج؛ لأن عمه كان يتطلع إلى مقام عامر في قومه، ويطمع في ماله. الأغاني ٥/ ٢٩٢، مختار الأغاني ٥٦/٦، العرب ١٦٦، شعراء قشير ٢/ ديوانه ٧٢

قافية السين

(٢٨)

{ الطويل }

١ كُلِّي التَّمَرِ حَتَّى يُصَرَّمَ التَّخْلُ وَاضْفُرِي خِطَامَكَ، مَا تُدْرِينِ مَا الْيَوْمُ مِنْ أُمْسٍ^(١)

تَخْرِيجُ الْبَيْتِ :

قاله في زوجه جبرة بنت وحشي بن قرّة. الأغاني ٥/ ٢٩٢، مختار الأغاني ١٥٧/٦، العرب ١٦٧، شعراء قشير ٢/ ٢١٥، ديوانه ٨٥

(١) في ديوانه وشعراء قشير (كُلِّي التَّمَرِ حَتَّى تُهَرِّمَ). يُصَرِّمُ التَّخْلُ: يُقَطِّعُ وَيُجَتِّثُ (اللسان: صرم)، والضمُّ: الْفَتْلُ؛ وهو يكون في الحبال بأن تُجْعَلَ كالضفائر من شعر المرأة، تُجَدَّلُ الخصائل منه وتُدَاخَلُ بِلِسِي إِخْدَاهَا عَلَى الْأُخْرَى، ثُمَّ تُدْخَلُ الثَّالِثَةُ وتُلَوَّى، وهكذا، ثُمَّ يُرَبِّطُ طَرَفُ الثَّلَاثِ الخصائل معًا، وهذا أَمْتَنُ لِلْحَبْلِ. أمَّا الْخِطَامُ، فَكُلُّ حَبْلٍ يُعْلَقُ فِي حَلْقِ الْبَعِيرِ ثُمَّ يُعْقَدُ عَلَى أَنْفِهِ لِيَسَاقَ بِهِ (اللسان: خَظَمَ)، وكأنه يشبهها بالناقة ليحولها واهتمامها حسب الطعام والشراب، ولهذا وصفها بأنها لا تحسُّ بالزمن وما يجري من حولها، وفي هذا تلميح بأنها لا تكثرت لما يحسُّ هو من حبه امرأة سيواها.

(١) اَطَّلَعَ إِلَيْهِ، وَتَطَّلَعَ إِلَيْهِ: تَقَرَّبَ مِنْهُ لِحَاجَةٍ فِي نَفْسِهِ وَهُوَ يُحْسُ فِي نَفْسِهِ نَقْصًا عَنْ مَنَزَلَتِهِ وَقَدْرِهِ (اللسان: طلع)، أمَّا قَوْلُهُ: (يُدْهَدِ هُكُمُ)، فَمَعْنَاهُ يُدْخِرُ حَكْمَ بَقَايَا كَالْكُرَةِ؛ أَيِ أَنَّ نَتِيجَةَ هَذَا الزَّوَاجِ سَتَكُونُ شَائِنَةً لَكُمْ جَمِيعًا (اللسان: دَهَدَه).

قافية العين

(٢٩)

{ الطويل }

- ١ خَلِيلِي، غُوجَا مِنْكُمْ الْيَوْمَ أَوْدَعَا نَحْيِي رُسُومًا بِالْقَبِيْبَةِ بَلَقَا (١)
٢ أَرَبْتُ بِهَا الْأَرْوَاحَ حَتَّى تَسْتَفَتْ مَعَارِفُهَا، إِلَّا الصَّفِيْحَ الْمَوْضَعَا (٢)
٣ وَغَيْرَ ثَلَاثٍ فِي السِّدْيَارِ كَأَثَا ثَلَاثَ حَمَامَاتٍ تَقَابُلْنَ وَقَعَا (٣)

(١) غوجا: من عاج: إذا مرَّ في طريقه بالسكان فأقام عنده قليلاً (اللسان: عاج)، رُسُومُ الدَّارِ: ما كان من آثارها لاصقاً بالأرض (اللسان: رسم)، وَالْمَكَانُ الْبَلَقُ: الْخَالِي الْمَهْجُورُ (اللسان: بلقع).

أَمَّا الْقَبِيْبَةُ: فَوَاحِدَةُ الْقَبِيْبَاتِ، قَالَ الْجَاسِرُ: "ورَدَ هذا الاسمُ في أوَّل القصيدة العينية من كتاب المنازل والديار، لأسامة بن منقذ، وهو بيت يدلُّ ضَعْفُهُ على أنه مصنوع ليس من شعر الشاعر، وأنَّ أحدَهم رأى القصيدة ناقصة من أولها، فأَوْجَدَ لها هذا البيتَ الرِّكْبَكَ اللفظي، الضَّعِيفَ المعنى، ليكونَ مَطْلَعًا لَهَا" (العرب: ١٤٩).

وقد وهم الجاسر حين مالَ إلى هذا الرأي، وذهب في هامش الصفحة (١٦٧) إلى تأكيد هذا بقوله: "وأنا أرى أنَّ هذا ليس من شعر الصَّمَّة، وإلَّا وضعه (٩) أخذ الثَّقلَ، ويدلُّ على هذا ذِكْرُ (القَبِيْبَةِ)؛ فليس من المواضع التي يذكرُها الصَّمَّة في شعره، وع ضعف في تركيب البيت"، وهذا مقياس لا شكَّ ضعيف، فهناك أماكن كثيرة أخرى يذكرُها الشاعر مرَّةً وحيدةً في شعره أيضًا غير القَبِيْبَةِ.

ولم أجدْ للقَبِيْبَةِ ذِكْرًا في مصادر البلدان، وإلَّا وقفتُ على القَبِيْبَاتِ عندَ ياقوتٍ حيثُ قال: "والقَبِيْبَاتُ مَحَلَّةٌ ببغداد، وماءٌ في منازل بني تميم، وموضعٌ بالبحار" (البلدان: القبيبات)، وغيرُ حَقِّي ما بينهما من احتمال ليس في النَّسخ، لا سيَّما إذا كُتِبَتْ هكذا (القَبِيْبَاتُ)، والشاعرُ يذكرُ مياهاً أخرى ليست في ديار قُشَيْر، وبعضُها يَفُحُّ في ديار تميم.

(٢) أَرَبْتُ: دَامَتْ (اللسان: رب)، الْأَرْوَاحُ: جَمْعُ رِيحٍ عَلَى أَصْلِهِ بِالْوَاو (اللسان: راح)، تَسْتَفَتْ: انْتَصَفَتْ الرِّيحُ الشَّيْءَ كَأَنَّهَا سَلَبَتْهُ مَعَالِمَهُ (اللسان: نسب)، المَعَارِفُ: الْمَعَالِمُ (اللسان: عرف)، الصَّفِيْحُ الْمَوْضَعُ: الْحِجَارَةُ الرَعيْضَةُ الْمَكْسُورَةُ الْمُتَنَابِرَةُ هُنَا وَهُنَا (اللسان: صفح).

(٣) يقصدُ الأثافي: وهي الحِجَارَةُ الثَّلَاثُ التي تُوضَعُ حَوْلَ مَوْقِدِ النَّارِ لِيُوضَعَ الْقِدْرُ عَلَيْهَا وَتُقَوَّدَ النَّارُ؛ وَعَادَةً مَا تُكُونُ سَفْعًا مِنْ سَخَامِ النَّارِ، فَكَأَنَّهَا حَمَائِمُ سَرْدٍ تَقَابُلْنَ، أَمَّا وَقَعَا، فَتَحْتَمِلُ الْمَوَاقِفَةَ أَيْ الْمَوَاقِفَةَ وَالْمِثَالَةَ، وَتَحْتَمِلُ وَقُوعَهَا فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ مَعًا، وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: (إِنَّ الطَّيْورَ عَلَى أَشْكَالِهَا تَفُحُّ).

- ٤ أَمِنْ أَجْلِ دَارِ الرِّقَاشَيْنِ أُغْصَفَتْ عَلَيْهَا رِيَّاحُ الصَّيْفِ بَدْمًا وَرُجْعَا (١)
٥ بَكَتْ عَيْنُكَ الْيُسْرَى، فَلَمَّا رَجَرَتْهَا عَنْ الْجَهْلِ بَعْدَ الْجَلَمِ، أَسْبَلْنَا مَعَا (٢)
٦ وَلَمْ أَرِ مِثْلَ الْعَامِرِيَّةِ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا يَوْمَ ارْتَحَلْنَا مَوْدَعَا (٣)
٧ تَرِيكَ غَدَاةِ الْبَيْنِ مُقَلَّةً شَادِنِ وَجِيدَ غَزَالٍ فِي الْقَلَائِدِ أُنْلَعَا (٤)
٨ وَمَا أُمُّ أَحْوَى الْجُدَّتَيْنِ خَلَا لَهَا أَرَاكَ مِنَ الْأَعْرَافِ أَجْنَى وَأَيْنَعَا (٥)
٩ غَدَتْ مِنْ عَلَيْهِ تَنْفُضُ الطَّلَّ بَعْدَمَا رَأَتْ حَاجِبَ الشَّمْسِ اسْوَى وَتَرَفَعَا
١٠ بِأَحْسَنَ مِنْ أُمِّ الْمُحَيَّا فُجَاءَةً إِذَا حِيدَهَا مِنْ كَهْفَةِ السِّرِّ أُنْلَعَا (٦)
١١ وَلَمَّا تَنَاهَبْنَا سِقَاطَ حَدِيثِهَا غِشَاشًا، وَلَانَ الطَّرْفُ مِنْهَا فَأَطْمَعَا (٧)

(١) الرِّقَاشَانِ: عَمُودَانِ طَوِيلَانِ مِنَ الْهَضْبِ (البلدان: الرقاشان)، أُغْصَفَتْ: غُصِفَتْ فِي لُغَةِ بَنِي أَسَدٍ (اللسان: عصف)، بَدْمًا وَرُجْعَا: كَأَنَّهَا دَامَتْ عَلَى الْعَصْفِ بِهَا زَمَنٌ طَوِيلًا، وَهُوَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ (أَرَبْتُ) قَبْلُ.

(٢) اخْتَلَفَتْ الرِّوَايَاتُ كَثِيرًا فِي هَذَا الْبَيْتِ بَيْنَ (الْيُسْرَى)، وَ (الْيُمْنَى)، وَقَدْ تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْ مِثْلِ هَذَا الْاِخْتِلَافِ فِي الْكَلَامِ عَلَى مَسْأَلَةِ كَوْنِ الشَّاعِرِ أَعْرَ أَمْ لَا، فَلْيَنْظُرْ. أَسْبَلْنَا: انْهَلْنَا بِالدَّمْعِ الْمُتَوَاصِلِ (اللسان: سبل).

(٣) الْعَامِرِيَّةُ هِيَ بَنْتُ غُطَيْفٍ الَّتِي تَقَدَّمَ ذِكْرُهَا، وَهِيَ ذَاتُهَا رَيَّا.

(٤) الْبَيْنُ: الْفَرَاقُ، وَالشَّادِنُ: الصَّغِيرُ مِنَ الطَّبَاءِ (اللسان: شدن)، وَالْجِيدُ: الْعُنُقُ (اللسان: جيد)، وَالْأُنْلَعُ: الطَّوِيلُ الْعُنُقُ (اللسان: تلع).

(٥) أَحْوَى الْجُدَّتَيْنِ: جِمَارُ الْوَحْشِ الَّذِي لَهُ خُطَّتَانِ سَوْدَاوَانِ فِي مَتْنِهِ (اللسان: جدد)، وَالْأَرَاكُ: شَجَرُ السَّوَاكِ (اللسان: أرك)، وَالْأَعْرَافُ: قَالَ الْجَاسِرُ: "هذه الأعرافُ تُعْرَفُ بِأَعْرَافِ بُيْنَى، وَتَفُحُّ فِي هَضْبٍ يُعْرَفُ قَدِيمًا بِهَضْبِ بُيْنَى، وَتُعْرَفُ الْآنَ بِاسْمِ الْهَضْبِ غَيْرِ مُضَافٍ، وَقَدْ يُقَالُ فِيهِ هَضْبُ آلِ زَايِدٍ؛ لَوْقُوعِهِ بِطَرْفِ بِلَادِ آلِ زَايِدِ الدَّوَّاسِرِ مِنَ التَّاحِيَةِ الشَّامَالِيَّةِ الْغُرَيْيَّةِ" (العرب: ١٤٣)، وَفِي بِلَادِ الْعَرَبِ أَعْرَافٌ كَثِيرَةٌ، وَهِيَ خُصْعُ غُرْفَةٍ أَيْ مَا ارْتَفَعَ مِنَ الرَّمْلِ (البلدان: الأعراف، أعراف بُيْنَى).

(٦) أُمُّ الْمُحَيَّا: كِنْيَةُ عَنْ رَيَّا الْعَامِرِيَّةِ، وَالْفُجَاءَةُ: الْفَجْأَةُ، وَالسِّرُّ: الْغِيَاءُ، وَتُقَالُ لِلْهُودُجِ إِنْ كَانَ فِيهِ طَعْنَةُ (اللسان: ستر)، وَالْكَفَّةُ: حَاشِيَةُ الثَّوْبِ مِنْ قِمَاحٍ إِمَّا مُنْحَدِرَةٌ عَلَى أَصُولِ النَّحْرِ، وَإِمَّا تُحِيطُ بِالْهُودُجِ بَحِثْ لَا تُظْهِرُ الطَّعْنَةَ فِيهِ عَلَى الْآخَرِينَ، وَمَا كَانَ مِنْهَا لِلْهُودُجِ يُسَمَّى الْوُصُوصُ؛ جَمْعُهُ وَصَاوِصٌ.

(٧) سِقَاطُ الْحَدِيثِ: مَا كَانَ سَرِيعًا لَمْ تُكْمَرْ الْفُرْصَةُ مِنْهُ لِيَكُونَ عَادِيًا (اللسان: سقط)، وَالْغِشَاشُ: الْعَجَلَةُ.

- ١٢ فَرَشْتَ يَقُولُ كَادَ يَشْفِي مِنَ الْجَوَى تِلْمٌ بِهِ أَكْبَادًا أَنْ تَصَدَّعَا^(١)
 ١٣ كَمَا رَشَفَ الصَّادِي وَقَانِعَ مُزْنَةٍ رَشَاشٌ تَوَلَّى صَوْبَهَا حِينَ أَقْلَعَا^(٢)
 ١٤ شَكُوتُ إِلَيْهَا صَبَبَةُ الْحُبِّ بَيْنَنَا وَخَشْيَةُ شَعْبِ الْحَيِّ أَنْ يَتَوَزَّعَا^(٣)
 ١٥ فَمَا كَلَّمَنِي غَيْرَ رَجْعٍ، وَإِنَّمَا تَرَفَّقْتَ الْعَيْنَانِ مِنْهَا لِدَمْعَا^(٤)
 ١٦ كَأَنَّكَ بَدَعٌ لَمْ تَرَ الْبَيْنَ قَبْلَهَا وَلَمْ تَكُ بِالْأَلْفِ قَبْلُ مُفْجَعَا^(٥)
 ١٧ فَلَيْتَ حِمَالِ الْحَيِّ يَوْمَ تَرَحَّلُوا بِذِي سَلَمٍ أُمْسَتْ مَزَاحِفَ ظَلَعَا^(٦)

(١) رَشَتْ: بَلَّتْ وَتَضَخَّتْ (اللسان: رشش)، الجوى: الخرقفة وشبذة الوجع بسبب العيشق (اللسان: جوى)، وقوله في الشطر الثاني يعني: أنها بقولها بقي أكبادنا أن تصدع.

(٢) يُنَامِبُ قَوْلُهُ (رَشَتْ)؛ فَهُوَ يُصَوِّرُ وَقَعَ حَدِيثُهَا بِتَشْبِيهِهِ أَثَرُهُ بِمَا يَفْعَلُ الْمَاءُ لِلصَّادِي الَّذِي تَصُوبُهُ مُزْنَةٌ تَرشُّ عَلَيْهِ قَطْرَهَا، وَقَوْلُهُ (تَوَلَّى صَوْبَهَا)؛ أَي تَوَالَى وَعَادَ لِلْإِهْمَارِ ثَانِيَةً، وَالصَّوْبُ: تَزُولُ الْمَطَرُ (اللسان: صوب).

(٣) صَبَبَةُ الْحُبِّ: سَيْطَرَةُ الْهَوَى عَلَى الْقَلْبِ، فَكَأَنَّهُ يُسَيِّدُ بِهِ بِقَبْضَةِ يَدَيْهِ جَمِيعًا (اللسان: صبب)، وشعبُ الْحَيِّ: الْقَبِيلَةُ الْمُجْتَمِعَةُ فِي جَمْعٍ وَاحِدٍ (اللسان: شعب).

(٤) رَجَعَ الْحَدِيثُ: مَا كَانَ مِنْهُ تَرْجِعًا؛ أَي مُخْتَلِطًا بِالْكَأَمِ، وَفِي حَالِ كَهْذِهِ يَتَكَلَّمُ الْمَرْءُ أحيانًا بِاسْتِخْدَامِ هَوَايَ الشَّهْوِيِّ لَا الرَّقِيعِ - كَمَا هِيَ الْعَادَةُ فِي الْكَلَامِ الْعَادِيِّ؛ لِأَنَّهُ يَسْتَحْدِمُ هَوَايَ الرَّقِيعِ لِلتَّخْفِيفِ تَمَّا يَكْبَاهُذُهُ، وَهَذَا سُمِّيَتْ الرَّقَائِطُ.

(٥) الْبَدْعُ: الشَّيْءُ الَّذِي يَكُونُ أَوَّلَ مَرَّةٍ (اللسان: بدع)، وَالْأَلْفُ: جَمْعُ الْفَوِّ وَهُوَ الْعَاشِقُ وَالْمَعشُوقُ (اللسان: ألف)، وَالْمُفْجَعُ مُبَالَعَةٌ فِي الْفَجِيعَةِ؛ الَّذِي تَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ الْفَجِيعَةُ بِفِرَاقِ أَحَبَّتِهِ (اللسان: فجع).

(٦) الْمَزَاحِفُ: جَمْعُ مِرْخَافٍ، وَزَحَفَ الْبَعِيرُ إِذَا أَغْيَاهَ وَكَلَّ وَوَقَفَ، وَجَعَلَ يُزَحَفُ زَحْفًا عَلَى ثِقَاتِيهِ، وَالظَّلْعُ: الْغُرْجُ الَّذِي تَهْلُلُ مِنْتَهَاهَا لِيَطُولَ بَعْضُ قَوَائِمِهَا عَنِ الْأَخْرِيَاتِ (اللسان: ظلع).

أَمَّا ذُو سَلَمٍ؛ فَقَالَ الْحَاسِرِيُّ فِيهِ: "يُطْلَقُ هَذَا الْاسْمُ عَلَى مَوَاضِعَ عَدِيدَةٍ، وَلَعَلَّ الشَّاعِرَ ارَادَهُ مَوْضِعًا يَكْثُرُ فِيهِ السَّلَمُ، وَلَمْ يَقْصِدْ مَوْضِعًا بَعِيْدَهُ؛ إِذِ الْمَوَاضِعُ الْمَعْرُوفَةُ بَعِيدَةٌ عَنِ مَوْطِنِ الشَّاعِرِ" (العرب: ١٤٦).

قَالَ يَاقُوتُ: "ذُو سَلَمٍ، وَوَادِي سَلَمٍ: بِالْحِجَازِ ...، وَذُو سَلَمٍ: وَادٍ يَنْحَلِي بِتَحَابِيرٍ عَلَى الدَّنَائِبِ، ...، وَسَلَمٌ الرِّيَّانُ بِالْإِمَامَةِ قَرِيبٌ مِنَ الْهَجْرَةِ، وَالسَّلَمُ فِي الْأَصْلِ شَجَرٌ وَرَقُهُ الْقَرْطُ الَّذِي يَذْنَعُ بِهِ، وَهُوَ سُحَيٌّ هَذَا الْمَوْضِعُ" (البلدان: سلم)، وَبِهَذَا فَلَا مَسَوعَ لِإِنْكَارِ الْحَاسِرِيِّ؛ فَالشَّاعِرُ يَذْكُرُ أَتَمَّهُمْ تَرَحَّلُوا وَحَلُّوا ذَا سَلَمٍ، وَلَمْ يُرِدْ أَنْ ذَا سَلَمٍ مِنْ دِيَارِ قُشَيْرٍ!

- ١٨ فَيُصَيِّحُنْ لَا يُحْسِنُ مَشْيًا بِرَاكِبٍ وَلَا السَّيْرَ فِي بَجْدٍ وَإِنْ كَانَ مَهْيَعَا^(١)
 ١٩ أَكْبَجُزْنِ وَالْحَيَّانِ لَمْ يَتَفَرَّقَا فَكَيْفَ إِذَا دَاعِيَ التَّفَرُّقُ أَسْمَعَا^(٢)
 ٢٠ فَرَحْتُ وَلَوْ أَسْمَعْتُ مَا بِي مِنَ الْجَوَى رَذِيَّ قَطَارٍ حَنَّ شَوْقًا وَرَجَعَا^(٣)
 ٢١ أَلَا يَا غُرَابِي بَيْنَهَا لَا تَرْفَعَا وَطِيرًا جَمِيعًا بِالْهَوَى وَقَعَا مَعَا^(٤)
 ٢٢ أَتُبْكِي عَلَى رِيَا وَنَفْسِكَ بَاعَدْتُ مَزَارِكَ مِنْ رِيَا وَشَعْبَاكُمَا مَعَا^(٥)
 ٢٣ فَمَا حَسَنَ أَنْ تَأْتِي الْأَمْرَ طَائِعَا وَتَجَزَّعَ أَنْ دَاعِيَ الصَّبَابَةِ أَسْمَعَا
 ٢٤ كَأَنَّكَ لَمْ تَشْهَدْ وَدَاعَ مُفَارِقٍ وَلَمْ تَرَ شَعْبِي صَاحِبِينَ تَقْطَعَا
 ٢٥ تَحْمَلُ أَهْلِي مِنْ قُنِي وَغَادَرُوا بِهِ أَهْلَ رِيَا حِينَ جِيدَ وَأَمْرَعَا^(٦)
 ٢٦ أَلَا يَا خَلِيلِي الَّذِينَ تَوَاصِيَا بِلَوْمِي إِلَّا أَنْ أَطْصِيعَ وَأَضْرَعَا
 ٢٧ قِفَا، إِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ رَجْعِ نَظْرَةٍ مُصْعَدَةٍ شَيْءٍ بِهَا الْقَوْمُ، أَوْ مَعَا^(٧)

(١) الْمَهْيَعُ: الطَّرِيقُ الْوَاسِعُ الْمُنْبَسِطُ الَّذِي لَا يُرْهِقُ السَّفَرَ (اللسان: هيع).

(٢) فِي دِيَوَانِهِ وَشِعْرَاءِ قُشَيْرٍ (وَالْحَيَّانِ)، وَدَاعِيَ التَّفَرُّقِ: الْمُنَادِي يُنَادِي بِالْقَوْمِ أَنْ يَتَرَحَّلُوا (اللسان: دعا).

(٣) الرَّذِيَّ مِنَ الْإِبِلِ: الْمَهْزُولُ الضَّعِيفُ الْمَالِكُ (اللسان: رذى)، الْقَطَارُ: الْإِبِلُ يُفْطَرُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ عَلَى نَسَبٍ وَاحِدٍ (اللسان: قَطَر).

(٤) غُرَابُ الْبَيْنِ: هُوَ الْأَخْمَرُ الْمُنْقَارُ وَالرَّجُلَيْنِ، وَيَتَشَاءُ مِنْهُ لِسَوَادِهِ وَنَعْيِهِ (اللسان: بين).

(٥) الْمَزَارُ: تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ اسْمَ مَكَانٍ وَمَصْدَرًا مِنَ الزَّيَارَةِ مِثْلًا، وَالثَّانِيَةُ أَوَّلَى، وَالشَّعْبُ: الْقَبِيلَةُ كَمَا تَقَدَّمَ، وَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ يَلْمُ الشَّاعِرُ نَفْسَهُ عَلَى اتِّزَاجِهِ عَنْ دِيَارِهِ، وَيُصَبِّرُ نَفْسَهُ بِتَذْكِيرِهَا بِأَنْ مَا حَدَثَ مِنْ فِرَاقٍ كَانَ مِنْ فِعْلِهِ لَا مِنْ فِعْلِهَا.

(٦) تَحْمَلُ الْقَوْمَ مِنَ الْمَكَانِ: ارْتَحَلُوا عَنْهُ (اللسان: حمل)، وَفَتِي: قَالَ الْحَاسِرِيُّ: "وَرَدَ هَذَا الْاسْمُ مُصَحَّفًا فِي الْأَغَانِي وَغَيْرِهَا مِنْ كُتُبِ الْأَدَبِ إِلَى قُنَيْنٍ، وَفَتِيٌّ مِنْ بِلَادِ الشَّاعِرِ، وَلَا يُزَالُ مَعْرُوفًا" (العرب: ١٤٨-١٤٩). قَالَ يَاقُوتُ: "فَتِيٌّ مِنْ قُرَى الصَّامَةِ بِنَاحِيَةِ الرَّيْبِ" (البلدان: فتى). وَقَوْلُهُ: جِيدَ وَأَمْرَعَا؛ فَيَعْنِي أَنَّ الْجُرْدَ سَقَاهُ، وَالْجُرْدُ هُوَ الْمَطَرُ الْغَزِيرُ (اللسان: جود)، وَأَمْرَعَا: أَخْصَبَ وَأَكَلًا (اللسان: مرع).

(٧) صَعَدَ نَظْرُهُ أَوْ بَصَرُهُ: إِذَا أَطَالَ فِيهِ وَتَفَحَّصَ مَا يَنْظُرُ إِلَيْهِ جَيِّدًا (اللسان: صعد).

٢٨ فَإِنِّي وَجَدْتُ اللَّوْمَ لَا يَذْهَبُ الْهَوَى
٢٩ لِمُعْتَصِبٍ قَدْ عَزَّهُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ
٣٠ تَهَيَّجُ لَهُ الْأَحْزَانُ وَالذِّكْرُ كُلُّهَا
٣١ قِفَا وَدَّعَا بَجْدًا وَمَنْ حَلَّ بِالْحِمَى
٣٢ بِنَفْسِي تِلْكَ الْأَرْضُ، مَا أَطْلَبَ الرُّبَا
٣٣ وَأَذْكَرُ أَيَّامَ الْحِمَى، ثُمَّ أَتَنَسَّى
٣٤ فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ الْحِمَى بِرَوَاجِعِ
٣٥ مَعِيَ كُلُّ غِرٍّ قَدْ عَصَى عَادِلَاتِهِ
٣٦ إِذَا رَاحَ يَمْشِي فِي الرِّدَائِنِ أَسْرَعَتْ
٣٧ وَسِرْبٍ بَدَتْ لِي فِيهِ بِيضٌ تَوَاهِدُ

(١) الْمُعْتَصِبُ: المقهورُ على الشيء، وفسره بقوله: (عَزَّهُ الْقَوْمُ أَمْرَهُ)؛ أي أجبروه على أمرٍ لا يُريدُهُ (اللسان: عزز).

(٢) الْمَيْفَعُ: المكانُ المُشْرِفُ العَالِي (اللسان: يفع)، أَوْفَى: أَشْرَفَ وَوَصَلَ وَصَعَدَ (اللسان: وفي).

(٣) الْمُصْطَافُ وَالْمُتَرَبِّعُ: الْمَكَانُ يُصْطَافُ فِيهِ وَيُتَرَبِّعُ؛ أي يَحُلُّ النَّاسُ صِيفًا وَرَبِيعًا (اللسان: صاف، ربع)؛ وَقُلَّ أَنْ يَجِدَ الْإِنْسَانُ أَمَاكِينَ كَهَذِهِ، فَمَا يَصْلُحُ مَصِيفًا لَا يَحْسُنُ مُتَرَبِّعًا فِي أَكْثَرِ الْأَحْيَانِ.

(٤) الْإِثْنَاءُ عَلَى الْكِبَرِ: انْطِوَاءُ الْبَطْنِ قَلِيلًا مَعَ انْقِصَاءِ فِي الظَّهْرِ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا لَطُولِ السَّهَرِ وَقِلَّةِ اشْتِيَاءِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، وَلَمَّا يُعْرَفُ مِنْ أَنَّ الْمَعْدَةَ أَشَدَّ أَعْضَاءِ الْإِنْسَانِ تَأَثُّرًا بِالْأَحْوَالِ النَّفْسِيَّةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي تُصِيبُهَا، فَهِيَ تَكُونُ مَنكِشَةً فِي الْغَالِبِ، وَيَتَكَوَّرُ حَدِيثُ الْعَاشِقِينَ عَنِ الْكِبَرِ الْخَرَى وَالْمَصْدَعَةِ.

(٥) الْغُرُّ مِنَ الرِّجَالِ: الْحَدِيثُ الْعَهْدُ بِالذَّنْبِ، وَالْمَعْرُورُ أَيْضًا (اللسان: غرر).

(٦) السَّرْبُ مِنَ الْفُلْبَانِ: الْقَطِيعُ مِنْهَا تَسِيرُ مَعًا (اللسان: سرب)، وَإِذَا أُطْلِقَتْ عَلَى النِّسَاءِ؛ فَهِيَ عَلَى تَشْبِيهِ الْمَرَأَةِ الْحَسَنَاءِ بِالْفُلْبَانِيَّةِ فِي حَمَالِهَا وَرَشَاقَتِهَا وَجَفَّةِ حَرَكَتِهَا وَرَوَعَةِ انْفِجَافِهَا، وَفَتْنَةِ عَيْنَيْهَا، وَطُولِ عُنُقِهَا، وَالبَيْضُ التَّوَاهِدُ: الْحُسْنُ اللَّوَاتِي تَهْدَتْ أُنْدَاؤُهُنَّ؛ أَيْ تَكَوَّرَتْ وَارْتَفَعَتْ عَنْ صُدُورِهِنَّ (اللسان: نهدي)، وَالسُّومُ: غَرْضُ السَّلْعَةِ، وَسَامَهُنَّ الْوَصْلُ؛ أَيْ عَرَضَهُ عَلَيْهِنَّ (اللسان: سوم).

٣٨ مَشَيْنَ اطِّرَادَ السَّيْلِ هَوًّا كَأَمَّا
٣٩ فَقُلْتُ: سَقَى اللَّهُ الْحِمَى دِيمَ الْحَيَا
٤٠ وَقُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلَامُ، فَلَا أَرَى
٤١ فَقُلْنِ: أَرَاكَ اللَّهُ إِنْ كُنْتَ كَادِبًا
٤٢ وَلَمَّا رَأَيْتُ الثَّيْرَ أَعْرَضَ دُونَنَا
٤٣ تَلَفَّتْ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتَنِي
٤٤ فَإِنْ كُنْتُمْ تَرْجُونَ أَنْ يَذْهَبَ الْهَوَى
٤٥ فَزِدُوا هَبُوبَ الرِّيحِ، أَوْ غَيْرُوا الْجَوَى
٤٦ أَمَا وَجَلَّالَ اللَّهِ لَوْ تَذَكَّرْتَنِي

تَرَاهُنَّ بِالْأَقْدَامِ، إِذْ مِسْنٌ، ظَلَعًا^(١)

فَقُلْنِ: سَقَاكَ اللَّهُ بِالسَّمِّ مُنْتَقَعًا^(٢)

لِنَفْسِي مِنْ دُونِ الْحِمَى الْيَوْمَ مُنْتَقَعًا^(٣)

بَنَاتِكَ مِنْ يُمْنَى ذِرَاعَيْكَ أَقْطَعًا^(٤)

وَجَالَتْ بَنَاتُ الشُّوقِ يَحْنَنَّ تَرْعَا^(٥)

وَجِعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ: لَيْثًا وَأَخْدَعًا^(٦)

يَقِينًا، وَتَرَوَى بِالشَّبَابِ فَتْنَقَا^(٧)

إِذَا حَلَّ الْوَادُ الْحَشَا قَمْنَقَا^(٨)

كَذِكْرِيكَ مَا كَلَفْتُ لِلْعَيْنِ مَدْمَعًا^(٩)

(١) مَشَيْنَ اطِّرَادَ السَّيْلِ تَحْتَمِلُ مَعَيْنَيْنِ؛ الْأَوَّلُ مَشَيْنَ بِمُحَادَاةِ السَّيْلِ، وَالْآخِرُ مَشَيْنَ مُتَدَاعِيَاتٍ مُتَمَوِّجَاتٍ مِنْ تَمَاطُلِهِنَّ مِثْلَ السَّيْلِ، وَمِسْنٌ: تَمَاطُلٌ مُتَبَخِّرَاتٍ (اللسان: ماس)، وَالظَّلْعُ: الْعَرَجُ فِي الْمِشْيَةِ (تقدم).

(٢) دِيمَ الْحَيَا: سَحَابُ الْخَيْرِ الْمَحْمَلَةُ بِالْمَطَرِ الدَّائِمِ فِي سُكُونٍ؛ جَمْعُ دَيْمَةٍ (اللسان: ديم)، وَالسَّمُّ الْمُنْتَقَعُ: التَّاقِعُ الْفَاتِكُ، وَهُوَ السَّمُّ الْمُخْتَمِعُ فِي آثَابِ الْحَيَّةِ (اللسان: نفع).

(٣) الْمُنْتَقَعُ: الْقَنَاعَةُ؛ أَوْ مَا يَقْنَعُ الْإِنْسَانُ بِهِ (اللسان: قنع).

(٤) أَيُّ: قَطَعَ اللَّهُ بَنَاتِكَ مِنْ يَدِكَ الْيُمْنَى، وَهُوَ دُعَاءٌ بِحَدِّ الْيَدِ بِاعْتِبَارِ الْبَنَاتِ جُزْءًا مِنْ كُلِّ.

(٥) الثَّيْرُ: تَقَدَّمَ الْحَدِيثُ عَنْهُ فِي مَطْلَعِ تَائِيَّتِهِ، بَنَاتُ الشُّوقِ: لَوَاعِجُ الْهَوَى وَالْإِشْتِيَاقِ، وَتَرْعَا: جَمْعُ نَارَعَةٍ، مَائِلَةٌ وَكَأَنَّهَا تَوَدُّ الْوُثُوبَ مِنَ الصَّدْرِ وَالْأَحْشَاءِ نَارَعَةً إِلَى مَنْ تَهْوَى (اللسان: نزع).

(٦) اللَّيْثُ: صَفْحَةُ الْعُنُقِ مِنْ أَمَامِ (اللسان: ليت)، وَالْأَخْدَعَانِ: عِرْقَانِ فِي جَانِبَيْ الْعُنُقِ (اللسان: خدع)، وَمَعْرُوفٌ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا أَطَالَ التَّلَفُّتَ يَلِيَّ عُنُقِهِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ مُتَطَاوِلًا لِيُصِيرَ يَتَوَجَّعُ هَذَانِ.

(٧) نَقَعَ غَلِيلُهُ: شَرِبَ حَتَّى ارْتَوَى وَشَفَى غَلَّتَهُ (اللسان: نقع).

(٨) الْأَوَادُ جَمْعُ لَوْدٍ: وَهُوَ الْمَكَانُ الْمُلْتَحَاةُ الَّذِي يَلُودُ بِهِ الْمَلَاخِقُ، وَالْوَادُ الْحَشَا: يُرِيدُ بِهَا أَنَّ الْهَوَى وَالْجَوَى قَدْ تَسَرَّبَا إِلَى أَحْشَاءِهِ كُلِّهَا، وَامْتَرَجَا بِخِلَافِهِ فَلَيْسَ إِلَى نَزْعِهِمَا سَبِيلَ مِنْهُ.

- ٤٧ فَقَالَتْ: بَلَى، وَاللَّهِ ذِكْرًا لَوْ أَنَّهُ يُصَبُّ عَلَى صَمِّ الصِّفَا لَصَدَعَا^(١)
- ٤٨ فَمَا وَجَدُ غُلُوبِي الْهُوَى حَنًّا وَاجْتَوَى يَوَادِي الشَّرَى وَالْغُورَ مَاءً وَمَرَمَعَا^(٢)
- ٤٩ رَأَى وَهُوَ فِي رَأْسِ الشَّرَى مُتَمَعًا مَصَادِرَ تَجْدٍ وَالْفَضَاءَ فَرَجَعَا^(٣)
- ٥٠ تَشَوَّقَ لَمَّا عَصَتْهُ الْقَيْدُ وَاجْتَوَى مَرَاتِعَهُ مِنْ بَيْنِ قُفِّ وَأَجْرَعَا^(٤)
- ٥١ وَرَامَ بَعَيْنِيهِ جِبَالًا مُنِيفَةً وَمَا لَا يَرَى فِيهِ أَخُو الْقَيْدِ مَطْمَعَا
- ٥٢ إِذَا رَامَ مِنْهَا مَطْلَعًا رَدَّ شَأُوهُ أَمِينُ الْقَوَى عَضَّ الْأَيْدِينَ فَأَوْجَعَا^(٥)
- ٥٣ يَا كَبِيرَ مَنْ وَجَدَ بَرِيًّا وَحَدَّثَهُ غَدَاةَ دَعَا دَاعِي الْفِرَاقِ فَاسْمَعَا

(١) الصِّفَا: الحِجَارَةُ الْعَرِيضَةُ الْمُلَسَاءُ (اللسان: صفا)، والصَّمُّ: الصُّلْبُ مِنَ الْحِجَارَةِ (اللسان: صمم).

(٢) غُلُوبِي الْهُوَى: الذي علا الهوى كله، واجتوى: لم توافقه الأرض وفكره الإقامة فيها، وإن توفّر له فيها ما يطمع فيه غيره (اللسان: جوى).

أما واد الشرى؛ فقال الجاسر: "هذا كما يفهم من القصيدة في الغور وليس في نجد، والشاعر ذكره عَرْضًا" (العرب: ١٥٠)، ولا تدري لماذا قال مثل هذا القول، فالشرى كما روى ياقوت عن نصر: "جبل ينجد في ديار طيء، وجبل يتهامة موصوف بكثرة السباع" (البلدان: الشرى).

(٣) هذا البيت ورد في (صفة جزيرة العرب: ٣٣٥) منسوبًا للقشيري وحده، وهي صفة تخيل كثيرًا من الشعراء، لكنها حين تُطْلَقُ هكذا فينبغي أن تكون لأشهر شعراء قشير وأشيعهم ذكرًا، ونظّم الصفة كذلك، كما أن البيت في هذا المكان من القصيدة يزيل ما كان شبيهًا بالفصل بين البيت قبله والبيت بعده، ولذلك أثبتناه، ولم يُثبت أحدٌ يمين روى القصيدة أو درسها.

(٤) عَصَتْهُ الْقَيْدُ: آلمته وضيق عليه؛ فهو يريد الانفلات إلى حيث مصادر نجد وفضاؤه، والقيد يحول دون ذلك، القف: ما ارتفع من الأرض وظلّ (البلدان: قف)، والأجزع، تقدّم، وهو الكتيب جانب منه رمل وجانب حجارة (اللسان: جرع).

(٥) رَدَّ شَأُوهُ: ثأه عن مرأيه، أمين القوى: قوى الجبل جدلته، وكلما زاد عددها كان الجبل أقوى وأمتن، وأمين القوى من الجبال ما لا يخشى انقطاعه أو التحلل جدلاته (اللسان: قوى).

- ٥٤ وَلَا بَكْرَةً يَكُرُّ رَأَتْ مِنْ حُورِهَا مَجْرًا حَدِيثًا مُسَيِّنًا وَمَضْرَعَا
- ٥٥ إِذَا رَجَّعَتْ فِي آخِرِ اللَّيْلِ حَنَةً لِذِكْرِ حَدِيثِ أَبَكَّتِ الْبُزْلُ أَجْمَعَا^(٢)
- ٥٦ لَقَدْ خِفْتُ أَنْ لَا تَقْنَعَ النَّفْسُ بَعْدَهَا بِشَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِنْ كَانَ مَقْنَعَا
- ٥٧ وَأَعْدَلُ فِيهَا النَّفْسُ إِذْ حِيلَ دُوبَهَا وَتَأَبَى إِلَيْهَا النَّفْسُ إِلَّا تَطْلَعَا
- ٥٨ سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا فَمَا هِيَ رَاحَةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ شَمْلِي وَشَمْلُكُمْ مَعَا
- ٥٩ وَلَا مَرَحَبًا بِالرَّيْعِ لَسْتُمْ حُلُولُهُ وَلَوْ كَانَ مُحْضَلُ الْجَوَانِبِ مُمْرِعَا^(٣)
- ٦٠ فَمَاءٌ بِلَا مَرْعَى، وَمَرْعَى بغير ما وَحَيْثُ أَرَى مَاءً وَمَرْعَى فَمُسْبَعَا^(٤)
- ٦١ لَعُمْرِي لَقَدْ نَادَى مُنَادِي فِرَاقِنَا بِشَيْئَيْنَا فِي كُلِّ وَادٍ فَاسْمَعَا
- ٦٢ بِكُلِّ بِلَادٍ أَمْ بِكُلِّ مَظْنَةِ أَخُو أَمَلٍ مِنَّا يُحَاوِلُ مَطْمَعَا
- ٦٣ كَأَنَّا خُلِقْنَا لِلنَّوَى، وَكَأَنَّمَا حَرَامٌ عَلَى الْآيَامِ أَنْ تَجَمَّعَا

(١) البكرة من الإبل: الفتية التي ولدت بطنًا واحدًا (اللسان: بكر)، والحوار: ولدت الناقة (اللسان: حور)، وهذه الصورة تكررت مرات في شعر الصمّة، والتأخر في تائيته يجد صورة مماثلة تقريبًا.

(٢) البزل: الإبل التي بزل نأبها؛ أي طلع، ويكون ذلك في مطلع السنة التاسعة (اللسان: بزل).

(٣) الرّبع: المنزل ودار الإقامة (اللسان: ربع)، المخصّل: المُبْتَلُ بِفِعْلِ التَّدْيِ وَالْقَطْرِ، وهذا يكون أذعى لِنُوعَةِ أَوْرَاقِ نَبَاتِهِ، وَالتَّبَاتُ الْخَصْلُ: التَّاعَمُ (اللسان: حضل)، الممرع: المَعْشِبُ (اللسان: مرع).

(٤) المَسْبَعُ: المكان الذي تكثر فيه السباع؛ أي الحيوانات المفترسة؛ لا الأسود وحدها (اللسان: سبع).

تَخْرِيجُ الأبيات :

روى القالي في أماليه ١٩٣/١-١٩٤ ما نصّه : "وأنشدنا أبو بكر، قال: أنشدنا أبو حاتم عن الأصمعيّ للصّمة بن عبد الله القشيريّ"، ثمّ روى أبياتاً ثمانية منها، وبعدها قال: "قال: وأنشدني الرّياشيّ"، ثمّ روى ثلاثة أبياتٍ أخرى، وروى آخر بيتين منها في الأمالي ١٩٣/٢. والقصيدَةُ أشهرُ شعيرِ الصّمة، وأكثرُهُ دَوْراناً قديماً وحديثاً هي وأبياتُهُ في (عرار نجد). وروى منها اليزيديّ في أماليه ١٤٨-١٤٩ سبعة عشر بيتاً، وأسندَ روايتها إلى عمّه أبي عبّيد الله بن محمّد عن ابنِ الكسكريّ. (المراثي ٣٠٦-٣١٠). وأوردَ البيتَ الأوّلَ منها مجدّ الدين أسامة في المنازل والديار ١/٣١٦، ثمّ أوردَ أبياتاً ثلاثة، ورأى الشّيخ حمد الجاسر أنّ هذا البيتَ ليسَ من القصيدة، لأنّ فيه ذِكرَ القُبَيْبَةِ، وهي ليستَ من الأمكنة الواردة في شعيرِ الصّمة، كما استدلّ على ذلك بضعفِ التّركيب (العرب ١٦٧-حاشية)، المرزوقي ١٢١٥/٣-١٢٢٠، التّيزي ٨٥/٢-٨٨، الحماسة المغربيّة ٩٣٦-٩٣٧، عُيون الأخبار ١٤١/٤ نسبها ابن قتيبة لابن الطّثريّة، الأغاني ٢٩٣/٥-٢٩٦، تجريد الأغاني ق ١/٢٧٦-٧١٧، ويؤكدُ ابنُ واصل أنّ الأبياتَ للصّمة وأنّ ابنَ الأعرابيّ كانَ يستحسنُ منها أبياتاً (٤٦-٤٧). وفیات الأعيان ٦/٣٧٠-٣٧٢، واختارَ ابنُ خَلْكان نسبَها للصّمة على نسبِها لابنِ الطّثريّة أو المجنون أو قيس بن ذريح بقوله: "والأكثرُ أنّها للصّمة". التّذكرة السّعدية ٤٣٦-٤٣٧ (أربعة أبيات)، التّذكرة الحمدونيّة ٧٣/٦، ١١٠، ١٥٢، ١٥٣، وأوردَ الأنطاكيّ منها (أحد عشر بيتاً)، وأكّدَ نسبَها للصّمة وأنّ قيساً استعارَ بيتينَ منها هُما: (فَمَا حَسَنَ ...) وَ(بَكَتْ عَيْنِي الْيَمْنَى ...)، وذكرَ أنّ صاحبَ قوتِ القلوبِ أكّدَ التّسبِبةَ للصّمة أيضاً (تزيين الأسواق ١/٢٢٩-٢٣٠)، وقد روى في التّذكرة الحمدونية البيتين ٥٥-٥٦ لقيس بن ذريح، ويؤكدُ صاحبُ بهجة المجالس أنّها للصّمة، وأنّ بعضَهُم وهِمَ فنسبَها للمجنون، أو لقيس بن ذريح (بهجة المجالس ق ١م ٨٢٧/٢). الحماسة البصريّة ١٣٨-١٣٩، وبعضُها في اللسان (وجع) له أيضاً،

وفي معجم البلدان (البشر) منها ستّة أبيات له. وقد ذكر الأستاذ الميميّ أنّ في دار الكتب المصريّة مخطوطاً يضمُّ تسعةً وعشرين بيتاً من القصيدة، ويؤكدُ أنّ نسبَها لابنِ الطّثريّة خطأ، وكذلك نسبَها للمجنون، فمُجْمَلُ ما يُروى لابنِ الطّثريّة منها مروّيٌّ أيضاً للصّمة (الطّرائف الأدبيّة/ ٧٧-٨٠)، وروى منها عبد السّلام هارون في مجموعة المعاني ٧٤٩/٢-٧٥٠ بيتين، مُشيراً إلى أنّها تُنسبُ إلى الأقرع بن مُعاذ، مؤكّداً نسبَها للصّمة. العرب ١٦٧-١٧٢، ديوانه ٩٦، شاعر وقصيدة-طلاس/ ٢٨٩، مائة قصيدة مختارة-حماد/ ٥٢٩، والأبياتُ في ديوانه المطبوع ثمانية وخمسون بيتاً (ديوانه: ٨٦)

ومن الجدير بالذّكر أنّ نسبةَ القصيدة ليزيد بنِ الطّثريّة غيرُ صحيحةٍ على الإطلاق؛ ذلك بأنّ أبا الفرج الأصفهانيّ قد صنّع ديواناً ليزيد؛ وحين أشارَ أبو الفرج إلى الأبياتِ لم يذكُر قطّ نسبَها لابنِ الطّثريّة، وقد ذكر ابنُ خَلْكان شيئاً عن صنعة الطّوسيّ ديواناً لابنِ الطّثريّة أيضاً، ولا ريبَ في أنّ الأصفهانيّ اطّلع عليه، ولم يذكُر شيئاً عن تلك التّسبِبة أيضاً. وقد اقتنع جامعُ شعيرِ يزيد بأنّ القصيدة ليستَ له، وكذلك الأستاذ الميميّ، أمّا الموجدُ منها في ديوانِ المجنون فلا يتجاوزُ أبياتاً تسعةً، وقد ذكر شارحُ ديوانه أنّ أكثرَها للصّمة بنِ عبد الله القشيريّ.

{ الطويل }

١ أَجَدَّ خَلِيلَايَ الرِّوَّاحَ فَزَمَعَا _____ (١)

تَخْرِيجُ الْبَيْت :

تعليقات المهجري - الجاسر ق ٦٨٢/٢، تعليقات المهجري - الحمادي (مقطوعة

(٥٠٨

(١) وقال بعده في التعليقات: "فالتزمي: الإجماع على المضي. وقال: بَلَجَ يَفْشَحُ اللام". وبعد الشطر حذف يبدو أنه مكان حرّم. ويبدو لنا أن هذا الشطر إنما هو من القصيدة المتقدمة؛ وإذا لم يكن مطلعها الأصيل، فقد يكون صدر بيت آخر مصرّع في القصيدة يأتي في نهايتها، وهذا موجود معروف لدى الشعراء إذا طالت قصائدهم. أو عجز بيت من القصيدة ضاع صدره. ويمكن أن يكون من قصيدة أخرى للصمّة لها وزن هذه القصيدة وقافيتها، ضاعت، أو اختلطت أبيات القصيدتين معاً! ليس في ديوانه.

{ البسيط }

١ يَا لَيْتَ شِعْرِي عَنِ الْحَيِّ الَّذِينَ غَدَوْا هَلْ بَعْدَ فُرْقَتِهِمُ لِلشَّمْلِ مُجْمَعٌ (١)

٢ وَكُلُّ مَا كُنْتُ أَخْشَى قَدْ فُجِعْتُ بِهِ فَلَيْسَ لِي بَعْدَهُمْ مِنْ حَادِثٍ جَزَعٌ (٢)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَات :

أوردّها القالي في أماليه ١٩٤/١ تابعة لرواية أبي بكر عن أبي حاتم عن نبطويه، وليست في ديوانه ولا في العرب .

(١) مُجْتَمَعُ الشَّمْلِ: اجتماعه والتمامه من جديد (اللسان: جمع).

(٢) الْجَزَعُ: شدة الفرق والحزن لمصاب يحل بالإنسان، والمصيبة في الأحبة بعد رحلتهم وفراقهم لا يعوضها أو يخفف منها شيء.

(٣٢)

{ الطويل }

- ١ وَبَتَّ لَيْلَى أَرْسَلَتْ شِفَاعَةً إِلَيَّ ، فَهَلَّا تَفْسُ لَيْلَى شَفِيعُهَا
٢ أَكْرَمُ مِنْ لَيْلَى عَلَيَّ قَبَّعِي بِهِ الْجَاهُ ، أَمْ كُنْتُ أَمْرًا لَا أُطِيعُهَا

تَخْرِيجُ الْآيَاتِ :

في الحماسة غير منسوبين، نسبهما ابن جني في إعراب الحماسة للصمة، المرزوقي ١٢٢٠/٣، التبريزي ١١٥/٣، خزانة البغدادي ٦٠/٣-٦٢ للصمة، شرح شواهد المغني للسيوطي/ ٧٩، الضرائر/ ٢٣٢، جامع الشواهد/ ٢٩٢، شرح أبيات مغني اللبيب ١١٩/٢، نسبهما الميموني في الطرائف/ ١٨٥ لإبراهيم بن العباس الصولي، الزهرة/ ١٢٨، شرح المصنوع به على غير أهله/ ٢٣٠، العرب/ ١٧٢، ديوانه/ ١١٣. وقد نسبهما في شرح المغني ٢٢١/١ لقيس بن الملوّح، وللصمة، وابن الدمينية، وهي في ديوان الجنون/ ١٩٥، ديوان ابن الدمينية/ ٢٠٦، حاشية الصبان ٥٢/٤، مغني اللبيب ٧٤/١، ٥٨٧/٢ يدون عزو

قافية القاف

(٣٣)

{ الطويل }

- ١ لَعْمَرِي ، لَنْ كُنْتُ عَلَى النَّأْيِ وَالْقَلَى بِكُمْ مِثْلُ مَا بِي ، إِنْكُمْ لَصَدِيقُ^(١)
٢ إِذَا زَفَرَاتُ الْحُبِّ صَعْدَنْ فِي الْحَشَا رُدْدَنْ ، وَلَمْ يُنْهَجْ لَهُنَّ طَرِيقُ^(٢)

تَخْرِيجُ الْآيَاتِ :

الأغاني ٥/ ٢٩٢، تجريد الأغاني ق ١ ج ٢/ ٧١٥، مهذب الأغاني ١٨٦/٤، معاهد التنصيص ٣/ ٢٥٦، التذكرة الحمدونية ٥٣/٦، بهجة المجالس ٨١٧/١، الوافي بالوفيات ١٦/ ١٩٣، نزهة الأبصار ٣٠١/١، مجموعة المعاني ١٠٠١/٢، العرب/ ١٧٢، شعراء قشّير ٢٦٢/٢، ديوانه/ ١١٧

(١) النَّأْيُ: الْبُعْدُ (اللسان: نأى)، وَالْقَلَى: الْهَجْرُ وَالْبُغْضُ (اللسان: قلا).

(٢) زَفَرَاتُ الْحُبِّ: آهَاتُ الْمُحِبِّ إِذَا تَأَلَّمَ لِمَا فِي حَشَاهُ مِنْ حَرَارَةِ الْوَجْدِ، وَتَكُونُ عَادَةً مِنْ هَوَاءِ الرَّقْرِ كَمَا تَقْدَمُ قَبْلُ، أَوْ مِمَّا يُكْتَبُ مِنْ هَوَاءِ الشَّهيقِ فِي صَدْرِ الْمُحِبِّ حِينَ يَجِدُ رَجْدًا عَظِيمًا بِسَبَبِ الْفَرَاقِ (اللسان: زفر)، وَقَوْلُهُ: (صَعْدَنْ): تَحَرَّكَ صَوْبَ مَخْرَجِهِنَّ مِنَ الصَّنَاءِ. ثُمَّ يُرَدَّدَنَّ، إِذْ لَا طَرِيقَ لَهُنَّ وَلَا مَخْرَجَ؛ وَذَلِكَ لِشِدَّةِ الْوَجْدِ.

{ الطويل }

- ١ أَن سَجَعْتُ فِي بَطْنٍ وَادٍ حَمَامَةً
تُجَاوِبُ أُخْرَى مَاءُ عَيْنَيْكَ دَافِقٌ^(١)
- ٢ كَأَنَّكَ لَمْ تَسْمَعْ بُكَاءَ حَمَامَةٍ
بَلِيلٍ ، وَلَمْ يَحْزَنْكَ إِلْفٌ مُفَارِقٌ^(٢)
- ٣ وَلَمْ تَرِ مَفْجُوعاً شَيْئاً يُحِبُّهُ
سِوَاكَ ، وَلَمْ يَعْشُقْ كَعَشْقِكَ عَاشِقٌ
- ٤ بَلَى ، فَأَفِقْ مِنْ ذِكْرِ لَيْلَى ، فَإِنَّمَا
أَخُو الصَّبْرِ مَنْ كَفَّ الْهُوَى وَهُوَ تَائِقٌ^(٣)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

الأبيات في الحماسة الشجرية ٥٩٧/٢ للصَّمَّة، ونُسبت للعوام بن عُقْبَةَ في مصارع العشاق ٢٩٥/١، وسمط اللآلي ٣٧٣/١، وللمجنون وهي في ديوانه ٤٣، وفي الحماسة البصرية لمرّة بن عبد الله الهندي، وتُروى للعوام بن عُقْبَةَ ٢٣١/٢-٢٣٢، وهي في أمالي القاضي ١٣١/١ للعوام بن عُقْبَةَ، شعراء قشير ٢٦١/٢، ديوانه ١١٥

- (١) في البصرية (أَنَّ سَجَعْتُ يَوْمًا بِوَادٍ حَمَامَةً دَعَتْ سَاقَ حَرَمَاءَ عَيْنَيْكَ دَافِقٌ)، والسجع موالاة الحماسة صوتاً هديلاً على طريق واحد (اللسان: سجع).
- (٢) حَزَنَهُ وَأَحْزَنَهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ (اللسان: حزن).
- (٣) نَاقَتِ النَّفْسَ إِلَى الشَّيْءِ: نَزَعَتْ إِلَيْهِ وَاشْتَاقَتْ، وَالتَّائِقُ: شَدِيدُ الشَّوْقِ (اللسان: توق).

قافية اللام

(٣٥)

{ الطويل }

- ١ نَظَرْتُ ، وَطَرَفُ الْعَيْنِ يَبِيعُ الْهُوَى
بِشَرْقِيٍّ بُصْرَى نَظَرَةَ الْمُطَاوِلِ^(١)
- ٢ لِأَبْصَرَ نَارًا أَوْقَدَتْ بَعْدَ هَجْعَةٍ
لِرِيَا يَذَاتِ الرِّمْتِ مِنْ بَطْنِ حَايِلِ^(٢)

تَخْرِيجُ الْبَيْتَيْنِ :

معجم البلدان (بُصْرَى)، العرب/ ١٧٣، ديوانه/ ١١٨

(١) بُصْرَى: تقدّم ذكرها، وهي قصبة كورة حوران بالشام. والمتطاول: الذي يُحاول أن يطيل نفسه بأن يقف على أطراف أصابع قدميه ليتمكّن من الإنصار أكثر وأوضح (اللسان: طول). وإنصار نار في جزيرة العرب بين بُصْرَى الشام أمر وردّ ذكره في حديث الرسول عليه الصلاة والسلام، وذلك حين تحدّث عن بعض علامات آخر الزمان، وفيها أن ناراً تشتعل بالجزيرة (نضيء لها أعناق الإبل ببُصْرَى)، وليس هذا كناية عن شدّة تلك النار وعظّم لهيئها حسب؛ إنما لأن طبيعة تضاريس الجزيرة العربيّة تُبيح مثل هذا، لا سيما إذا أوقدت النار ليلاً، ونظير إليها من مكان مرتفع، وإن كان بعيداً. وكان من عادة العرب أن يفعلوا مثل ذلك؛ بأن يوقدوا ناراً على رأس جبل أو مرتفع قريب من ديارهم ليَهْتَدِيَ بها الرُكبان.

(٢) الرِّمْتُ: شَجَرٌ يُشْبِهُ الْعَصَا (اللسان: رمت)، وذات الرِّمْتِ: أرض كثيرة شجر الرِّمْتِ. أما بَطْنُ حَايِلٍ: فقد قال الجاسر: "من أشهر مياهم حايِل، وحايِل هذه في طرف المَرَوْتِ الجنوبيّ؛ غرب بُغْدَادِ بَرَك، وليست حايِل المَدِينَةِ الواقعة في شمال نجد المَعْرُوفَةِ الْآنَ" (العرب: ١٣٠).

قال ياقوت: "من أرض اليمامة لبني قُشَيْرٍ" (البلدان: حائل). وجاء في (صفة الجزيرة: ١٤٨): "وَعَنْ يَمِينِ سَوَادٍ بَاهِلَةٍ بَطْنُ حَايِلٍ، وَهُوَ بَلَدٌ مِثْلُ يَدِ الْمُصَافِحِ، يُرَى فِيهِ الرَّكَبُ مِنْ مَسَافَةٍ يَنْصَفُ نَهَارَهُ؛ فِي وَسْطِ رُمَيْلَةٍ يُقَالُ لَهَا رُمَيْلَةُ الْأَطْهَارِ، وَفِي أَعْلَاهُ سُوْقَتَانِ، وَيَحْتَفُهُ رَمْلٌ جُرَادٍ، وَحَدَّهُ بَيْنَ الْمَرَوْتِ وَبَيْنَ جُرَادٍ، وَهُوَ أَسْفَلَ رَمْلِ الشَّعَائِفِ، وَفِيهِ تَحْلٌ وَتَحْلَةٌ - مَاءَانِ لَبْنِي تَمِيمٍ". وفي هذا دليل على تداعل ديار قُشَيْرٍ وديار تميم.

قال في خروجه إلى النّعر:

[الطويل]

- ١ فَللهِ دَرِي ، أَيُّ نَظْرَةٍ ذِي هَوَى
 - ٢ إِلَى رَأْسِ طَوْدٍ مِنْ جُفَافٍ كَأَنَّهُ
 - ٣ وَكَبُرْتُ لَمَّا أَنْ بَدَتْ لِي بِلْدَةٌ
 - ٤ وَكَهَكْتُ دَمْعِي سَاعَةً وَزَجَرْتُهُ
 - ٥ كَمَا هَمَلْتُ بِالْمَاءِ أَغْرَاضُ شَتَّى
 - ٦ فَقَدْتُكَ عَيْنًا ، رَبِّمَا هِجْتُ عَبْرَةً
 - ٧ أَلَا إِنَّمَا طَيًّا - فَضْبِرًا - بَلِيَّةٌ
- نَظَرْتُ ضَحَى ، وَالشَّمْسُ يَسْتَنُّ أَلَهَا^(١)
قَرَا فَرَسٌ : تَنْصِيْبُهَا وَأَخْزَلَالُهَا^(٢)
بِهَا سَكَنَتْ طَيًّا وَطَالَ اخْتِلَالُهَا^(٣)
بِأَجْفَانٍ عَيْنِي ، ثُمَّ خَلَاةَ جَالِهَا^(٤)
هَزِيمِ الْكُلَى ، لَمَّا تَدَانَى ابْتِلَالُهَا^(٥)
سَرِيْعًا عَلَى جَيْبِ الْقَمِيصِ انْهَمَالُهَا
ضَجَعْتُ بِأَرْضٍ فَاعْتَرَانِي خِيَالُهَا^(٦)

- ٨ قَفَمْتُ إِلَى عَصِيرَانَةٍ عَيْدِهِيَّةٍ
 - ٩ فَلَمَّا رَأَيْتُ الْجِدَّ مِنْهَا ، وَأَتَاهَا
 - ١٠ تَنَبَّتُ يَمِينِي فِي الزِّمَامِ فَمَا تَنَى
 - ١١ وَحَسَى تَنَى عِرْنَيْنَهَا حَلَقُ الْبَرَى
 - ١٢ عَلَى مِثْلِهَا فَاسْتَحْمِلِ اللَّهُ يَا فَتَى
 - ١٣ كَأَنَّ اسْلَالَ الذِّئْبِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ
- مَلِيحٌ بِأَجْوَازِ الْفَلَاةِ اهْتِبَالُهَا^(١)
تَجَاهَلُ لَمَّا حُلَّ عَنْهَا عِقَالُهَا
لَهَا الشَّأَوُ ، حَسَى عَاوَتْهَا شِمَالُهَا^(٢)
وَنَاطَحَ أَعْلَى جِنُو رَحْلِي قَذَالُهَا^(٣)
وَعَاوَلُ بِهَا الْحَاجَاتِ يَنْفَعُ غَوَالُهَا^(٤)
يُبَادِرُ أَسْمَالَ الْحِيَاضِ انْسِلَالُهَا^(٥)

تخريج الأبيات :

تعليقات الهجري- الحمادي (مقطوعة ١٤٦) ، تعليقات المهجري- الجاسر

ق ٦٨٢/٢ ، العرب / ١٧٣-١٧٤ ، شعراء قشير ٢ / ٣١٥-٣١٦ ، ديوانه / ١٢١

(١) العَيْرَانَةُ: الناقة التاجية في نشاط (اللسان: عير)، والعَيْدَةُ: السبيُّ الخُلُقِي من الناس والإبل، والعَيْدِهِيَّة: الجفَاء والغِلظة (اللسان: عده). أما أجواز الفلاة: فأوساط المفاوز المُنْقَرِة (اللسان: جوز). والاهتيال: ضرب من سير الإبل (اللسان: هبل).

(٢) الزِّمَام: المِقْوَد (اللسان: زَمَم)، والشَّأَوُ: الغاية والأَمَد (اللسان: شأو)، ويعني أنها شديدة سيئة الخلق لا تطاوع راكبها بيسر، فما استطاع أن يردّها عن قَصْدِهَا ويحوّل وجهتها إلى القَصْدِ الذي يريدُه إلا بعد أن اسْتَعْمَلَ كَيْلًا يَدِيهِ فِي تَنِي زَمَامِهَا.

(٣) الْعِرْنَيْنُ: الأَنْفُ (اللسان: عرن)، والْبَرَى والْبَرَى؛ جَمْعُ بَرِيَّةٍ زَنْةٌ مُدَيَّةٌ، وَجَمْعُهَا كَجَمْعِهَا: مُدَى وَمُدَى هِيَ الْخَلْقَةُ مِنْ حَدِيدٍ تُوضَعُ فِي أَنْفِ الْبَعِيرِ مُتَّصِلَةً بِالزِّمَامِ لِيَسْهَلَ قَوْدُهُ (اللسان: برى). وَالْجِنُو: جِنُو الرَّحْلِ، كُلُّ عَوْدٍ مُعَوَّجٍ مِنْ عِيدَانِ الرَّحْلِ (اللسان: حنو)، والقَذَالُ: جَمَاعٌ مُؤَخَّرُ الرَّأْسِ (اللسان: قذل). والشَّاعِرُ يُصَوِّرُ كَيْفَ شَدَّ الزِّمَامَ حَتَّى حَلَقَ مُؤَخَّرُ رَأْسِ نَاقَتِهِ عَوْدَ الرَّحْلِ أَمَامَهُ عَلَى ظَهْرِهَا.

(٤) غَاوَلُ الْحَاجَةِ غَوَالًا وَمُغَاوَلَةٌ: بَادَرَهَا وَحَاوَلَهَا (اللسان: غول).

(٥) انْسَلَّ وَتَسَلَّلَ: انْطَلَقَ فِي اسْتِخْفَاءٍ، وَمَضَى خَارِجًا بِتَأْنٍ وَتَدْرِيجٍ (اللسان: سلل)، اسْمَالٌ وَسَمَلٌ وَسُمُولٌ وَسِمَالٌ وَسَمَالٌ: جَمْعُ سَمَلَةٍ وَسَمَلَةٍ وَسَمَلَةٍ، وَهِيَ بَقِيَّةُ الْمَاءِ فِي الْخَوْضِ، وَقِيلَ: هِيَ مَا فِيهِ مِنَ الْحَمَاءِ - الطِّينِ (اللسان: سمل)، والأَحِيرَةُ أُولَى؛ لِأَنَّهُ يَنْشِبُ سَبْرُهَا مُنْسَلَةً وَسَطَ الْفَلَاةِ بِالسَّلَالِ الذِّئْبِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ فِي الشَّهْرِ - أَيِ فِي الظَّلَامِ - حِينَ يَسْلُلُ وَسَطَ اسْمَالِ الْحِيَاضِ، وَكَوْنُ الْأَسْمَالِ مِنَ الطِّينِ أَدْعَى لِأَنَّهُ لَا يُخْسَسُ بِهِ، خِلَافَ مَا لَوْ مَشَى وَسَطَ الْمَاءِ.

(١) يَسْتَنُّ: يَضْطَرُّ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا فِي شِدَّةِ الْهَاجِرَةِ (اللسان: ستن)، وَالْأَلُ: السَّرَابُ (اللسان: أول).

(٢) الطَّوْدُ: الْحِجْلُ الْعَظِيمُ الْمُتَيْفُ (اللسان: طود)، أَمَّا جُفَافٌ: فَمَوْضِعٌ تَقْدَمُ ذِكْرُهُ، وَهُوَ مَاءٌ لَبَنِي جَعْفَرُ بْنُ كِلَابٍ (البلدان: جُفَافٌ)؛ وَيَلَادُهُمْ تَقَعُ فِي الْجَنُوبِ الْغَرْبِيِّ مِنْ يِلَادٍ قَشِيرٍ، وَلَيْسَتْ مُتَّصِلَةً بِهَا (العرب: ١٤٤). قَرَا الْفَرَسُ: ظَهَرَهَا (اللسان: قرا)، وَالْأَخْزَلَالُ: الْأَحْجِمَاعُ وَالْإِرْتِفَاعُ (اللسان: حزل)، وَهَذَا التَّشْبِيهُ مَعْرُودٌ عِنْدَ شُعَرَاءِ الْعَرَبِ؛ إِذْ يُشَبِّهُونَ الْجِبَلَ الْقَرْدَ فِي السَّرَابِ يَظْهَرُ الْفَرَسُ إِذَا تَحَدَّبَ ظَهْرُهَا، وَيَسْنَامُ الْجَمَلُ الْعَرَبِيُّ؛ فَإِذَا كَانَ حَوْلَهُ جِبَالٌ أُخْرَى أَصْغَرَ مِنْهُ شَبَّهَهُ فِي التَّمَاعِ السَّرَابِ بِالْجَمَلِ الْفَارِسِيِّ الَّذِي حُمِلَ أَغْدَالُهُ (دهانج ذو أَغْدَالٍ)، وَالذَّهَانِجُ أَصْلُهَا: دُوْهَانَةٌ أَوْ ذَا السَّامَيْنِ.

(٣) اخْتِلَالُهَا: أَيُّ مَكْنُهَا وَإِقَامَتِهَا (اللسان: حلل).

(٤) الْحَالُ وَالْحَوْلُ مِنَ الشَّيْءِ: طَرَفُهُ وَجَانِبُهُ، وَمِنْ الْفَرِّ كَذَلِكَ، وَهُمَا مِنَ الْعَيْنِ: جَانِبُهَا الَّذِي تَسِيلُ عَبْرَتُهَا مِنْهُ، أَوْ هُوَ مَذْمُومُهَا (اللسان: حال)، وَخَلَاةَ جَالِهَا: أَيِ فَسْحِ السَّبِيلِ لِأَهْمَارِهِ.

(٥) الشَّنُّ: الْحِجْلُ الْمُنْبَسِطُ. وَالشَّنَّةُ: الْقَرِيَّةُ الْخَلْقُ تُصْنَعُ مِنَ الشَّنِّ بَأَنْ تُخَزَّرَ حَوَائِجُهُ وَتُخَاطَ (اللسان: شن)، وَهَزِيمِ الْكُلَى: يَسْتَوِي وَتَكَسَّرَتْ فَصُوتَتْ، وَالْهُزُومُ: الْكُسُورُ فِي الْقَرِيَّةِ، وَالْهَزِيمُ: الَّذِي يَسِيلُ الْمَاءُ مِنْهَا (اللسان: هزم)، وَتَشْبِيهُ الْعَرَبِ الدَّمُوعَ الْغَزَارَ بِالْمَاءِ السَّائِلِ مِنَ الْقَرِيَّةِ تَوَارَدَ عَلَيْهِ شُعْرَاؤُهُمْ، وَمِنْهُمْ ذُو الرِّمَةِ فِي بَاتِيهِ (كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفَرِّيَّةٍ سَرَبٌ)، وَمِنْهُمْ زُهَيْرٌ أَيْضًا.

(٦) ضَجَعَ وَاضْطَجَعَ يَمَعْنِي وَاجِدٌ (اللسان: ضجع).

{ الطويل }

- ١ أَلَا مَنْ لَقَلْبٍ قَدْ أَصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ بِهِ غُلَّةٌ عَادِيَّةٌ مَا تُزِيلُهُ ^(١)
 ٢ وَمُعَصَّبٍ بِالْبَيْنِ لَمْ تَسْطِعْ لَهُ كَلَامًا، وَلَمْ تُصْرَمْ لِبَيْنِ حَبَائِلُهُ ^(٢)
 ٣ وَعَيْنٍ رَمَاهَا اللَّهُ بِالشَّقْوِ كُلَّمَا رَأَتْ حَيْثُ يَلْقَى مَصْرَمَ الْحَبْلِ حَائِلُهُ ^(٣)

تَخْرِيجُ الْأَيَّاتِ :

أوردتها المجري بوصفها لعبد الله بن الطفيل أبي الصمّة، وهي في الفاضل/ ٢٧

للصمّة نفسه، شعراء قشّير ٣١٠/٢، ديوانه/ ١١٩

(١) الغلّة: شدة الهيام والعطش، وهي شدة الحب والوجد كذلك (اللسان: غل)، وقوله: (عادِيَّةٌ) يعني بها أنها قديمة العهد من زمن عاد؛ إمعاناً في المبالغة في طول الزمن (اللسان: عاد)، نثرأله: تفارقه وتبارحه (اللسان: زول).

(٢) في ديوانه وشعراء قشّير (ومعصّب)، وما أثبتناه أولى، وقوله: (تُصْرَمُ) أي تُقَطَّعُ، وصُرِمَتْ حَبَائِلُهُ: قُطِعَتْ حبال الوصل بينه وبين حبيبته (اللسان: صرم)، والحبال جمع حباله، وهي التي يصاد بها (اللسان: حبل).

(٣) في ديوانه وشعراء قشّير (حائله)، جاعلاً منها حايلاً المكان، ولا يستقيم المعنى ولا النظم بها. مَصْرَمُ الْحَبْلِ: المكان الذي صُرِمَ فيه الحبل، ومن معاني الحبل: العهد، والرمل المستطيل (اللسان: حبل)؛ ولعله يريد هنا المكان الذي كان فيه آخر عهده له بحبيبته، والحابل: صانع الحبل، ولعله يريد به صاحب العهد بما يتسجّم والتفسير الذي أشرت إليه آنفاً.

قافية الميم

(٣٨)

{ الطويل }

- ١ خَلِيلِي، إِنِّي وَاقِفٌ فَمَسَلَمٌ عَلَى النَّيْرِ، فَارْتَاخًا قَلِيلاً، فَسَلِمَا ^(١)
 ٢ فَزَيْتِي أَحَبُّ النَّيْرِ، وَالْبُرْقُ الَّذِي بِهَا النَّيْرُ، حُبًّا خَالَطَ اللَّحْمَ وَالْدِّمَا ^(٢)
 ٣ فَلَوْ زَالَ هَضْبُ النَّيْرِ عَنْ سَكَاتِهِ لَيَمَمْتُ، مِنْ وَجْدِهِ بِهِ، حَيْثُ يَمَا ^(٣)
 ٤ وَلَوْ كَلَمْتُ صُمَّ الْجِبَالِ بِمَوْطِنٍ صَدِيقًا لَحَيَانَا، إِذَنْ، وَتَكَلَّمَا ^(٤)

تَخْرِيجُ الْأَيَّاتِ :

الأشباه والتظائر ٢/ ١٣٨، العرب/ ١٧٤، شعراء قشّير ٣٢٧/٢، ديوانه/ ١٢٦

(١) النَّيْرُ: حَبْلٌ فِي عَالِيَةِ نَحْلٍ تَقْدَمُ التَّعْرِيفُ بِهِ.

(٢) الْبُرْقُ: جَمْعُ بَرْقَاءٍ، وَهِيَ الْأَرْضُ الْقَلِيظَةُ الَّتِي يَخْتَلِطُ رَمْلُهَا بِالْحِجَارَةِ (اللسان: برق).

(٣) هَضْبُ النَّيْرِ: تَقْدَمُ التَّعْرِيفُ بِهِ فِي تَأْنِيْتِهِ، وَهَضْبُ كُلِّ حَبْلٍ مُنْبَسِطٌ (اللسان: هضب)، وَيَمَمْتُ: بِمَعْنَى قَصَدَ وَتَوَجَّهَ (اللسان: يمم).

(٤) الْعَلَاقَةُ الْحَمِيمَةُ الَّتِي جَمَعَتْ الصَّمَّةَ بِالْمَكَانِ؛ حَتَّى عَدَّهُ صَدِيقًا حَمِيمًا، ظَاهِرَةٌ جَلِيَّةٌ فِي هَذَا الْبَيْتِ. وَصِفَةُ (صُمَّ) الَّتِي أَضَافَ الْجِبَالَ إِلَيْهَا هُنَا تَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّلَادَةِ، أَوْ مِنَ الصَّمَمِ.

{ الطويل }

١ دَعَوْتُ زَمَامًا لِلْهَوَى ، فَأَجَابَنِي
وَأَيُّ فَيْسٍ لِلَّهِ بَعْدَ زَمَامٍ ^(١)

تَخْرِيجُ الْبَيْتِ :

الشعر والشعراء ١ / ٣٢٧، ديوان الحطيئة / ٦٨ وفيه أنه لابن الصَّمَّةِ
القشيري، العرب / ١٧٤، شعراء قشيري ٢ / ٣٣٥، ديوانه / ١٢٨

(١) كان زَمَامُ بْنُ حِطَامٍ بْنُ النَّضَّاحِ الْكَلْبِيُّ أَحَدَ النَّاسِ غِنَاءَ بَدْوِيًّا، وفيه قال الصَّمَّةُ الْبَيْتَ الْمُتَقَدِّمَ عَلَى مَا ذَكَرَهُ
ابْنُ قُتَيْبَةَ .

{ الوافر }

١ وَلَمْ آتِ الْبُيُوتَ مُطَنَّبَاتٍ
بِأَكْثِيَّةٍ فَرِدْنَ مِنَ الرَّغَامِ ^(١)

تَخْرِيجُ الْبَيْتِ :

اللسان (فرد)، شعراء قشيري ٢ / ٣٥٠، ديوانه / ١٢٨

(١) مُطَنَّبَاتٌ: مشدودات بالأطناب، والأطنابُ جَمْعُ طَنِبٍ، وهو الخيلُ يُشَدُّ بِهِ الْبَيْتُ بَيْنَ الْأَرْضِ وَالطَّرِيقِ
(اللسان: طنّب). أمّا الْأَكْثِيَّةُ فَجَمْعُ كَثِيبٍ، وهي تِلَالُ الرَّمْلِ (اللسان: كتب)، وَفَرِدْنَ: انْفَرَدْنَ (اللسان: فرد)،
وَالرَّغَامُ: الرَّمْلُ الْمُخْتَلِطُ بِالثَّرَابِ (اللسان: رغم) .

{ الطويل }

- ١ أَكْرُ إِلَى لَيْلَى فَأَحْسَبُ أَنِّي كَرِيمٌ عَلَى لَيْلَى ، وَغَيْرِي كَرِيمُهَا ^(١)
 ٢ فَأَصْبَحْتُ قَدْ أَجْمَعْتُ نَزْكَاً لَيْبِهَا وَفِي الْعَيْنِ مِنْ لَيْلَى قَدَى لَا يَرِيهَا ^(٢)
 ٣ لَنْ آتَرَتْ بِالْوَدِّ أَهْلَ بِلَادِهَا عَلَى نَارِجٍ مِنْ أَرْضِهَا لَا تَلُومُهَا
 ٤ وَلَا يَسْوَِي مَنْ لَا يَرَى غَيْرَ لَمَّةٍ وَمَنْ هُوَ ثَاوٍ عِنْدَهَا لَا يَرِيهَا ^(٣)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

أما لي البيهقي / ١٥٠ ، رواها عن عمه عن عيينة بن المينال، وكذلك في المراثي له / ٣١١ ، وليست في العرب ولا في ديوانه

- (١) أشرتُ في ما تقدم إلى تسويغ اسم لَيْلَى عند الصِّمَّةِ في شعره، وقوله: (أَكْرُ) يعني الرجوع إلى ديارها ليراهـا (اللسان: كرر)؛ لكنه وجد غيره أقرب إليها منه، ويبدو أنه قال هذه الأبيات بعد زواج ربا .
 (٢) أَجْمَعُ أَمْرَةً: حَزَمَ وَعَزَمَ وَصَمَّمَ (اللسان: جمع)، ويريم: يفارق (اللسان: ريم) .
 (٣) اللَّمَّةُ: من الإلمام، أي معالجة الأمر برهة يسيرة، ومنه إلمام الطيفر بالتأيم (اللسان: لسم)، والتأوي: التمسك، والتواء: الإقامة (اللسان: توى) .

قافية التَّوْبِ

(٤٢)

{ البسيط }

- ١ يَا صَاحِبِي، أَطَالَ اللَّهُ رُشْدُكُمَْا عَوْجًا عَلَى صُدُورِ الْأُبْغُلِ السَّنَنِ ^(١)
 ٢ ثُمَّ ارْفَعَا الطَّرْفَ، هَلْ تَبْدُونَا ظُعُنٌ بِحَائِلٍ ، يَا عَنَاءَ النَّفْسِ مِنْ ظُعُنٍ ^(٢)
 ٣ أَحِبُّ بَيْنَ! لَوَانَّ الدَّارَ جَامِعَةً وَالْبِلَادَ الَّتِي يَسْكُنُ مِنْ وَطَنِ
 ٤ طَوَالِجَ الْحَبْلِ مِنْ ثَبْرَاكَ مُصْعِدَةً كَمَا تَتَابَعُ قَيْدَامُ مِنَ السُّفَنِ ^(٣)
 ٥ يَا لَيْتَ شِعْرِي ، وَالْأَقْدَارُ غَالِبَةٌ وَالْعَيْنُ تَذْرِفُ أَحْيَانًا مِنَ الْحَزَنِ
 ٦ هَلْ أَجْعَلَنَّ يَدِي لِلْحَدِّ مَرْفَقَةً عَلَى شَعْبَعَبَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ ^(٤)

- (١) الْأُبْغُلُ: جَمْعُ بَغْلٍ؛ وهو ابنُ الفرس من الحمار (اللسان: بغل)، وعاج بالمكان: أقام فيه، وعاج على المكان والإنسان: عطف طريق سيره بحيث يمر به (اللسان: عاج)، والسَّنَنُ: الجادة في سيرها (اللسان: سنن)، وفي العادة تستخدم البغال لنقل المتاع إذا كانت الطريق مُصْعِدَةً، وهذا يظهر في البيت الثالث .
 (٢) الظُّعُنُ: جَمْعُ ظُعِينَةٍ، وهي المرأة في الهودج تُحْمَلُ عَلَى التَّاقَةِ، والظُّعِينَةُ في أصلها التَّاقَةُ التي تُسْتَعْمَلُ لِلسَّيْرِ فِي الْبَادِيَةِ طَلَبًا لِلشَّجَعَةِ (اللسان: تجمع)، أما حائل؛ فتقدم الحديث عنها، وهي ماء ليني قشير في البمامة .
 (٣) طَوَالِجُ: جَمْعُ طَالِجَةٍ، وهي الْمُصْعِدَةُ فِي سِيرِهَا (اللسان: طلع)، وَالْحَبْلُ: الْقِطْعَةُ الْمُسْتَقِيمَةُ الطَّوِيلَةُ مِنَ الرَّمْلِ (اللسان: حبل)، وإضافته إلى يثراك (نفود الدحي) توضح ذلك، فَيَثْرَاكَ كَمَا تَقْدَمُ رَمْلٌ كُلُّهُ. أما الْقَيْدَامُ مِنَ السُّفَنِ؛ فَهُوَ أَوَّلُهَا حِينَ تَكُونُ جَمَاعَةٌ سَفُنٍ مَعًا (اللسان: قدم) .
 (٤) الْمَرْفَقَةُ: مَا يَرْتَفِقُ عَلَيْهِ مِنْ مَثَكٍ أَوْ مِخْلَةٍ (اللسان: رفق)، وشعبع: ماء ليني قشير في البمامة، وقد تقدم الحديث عنه، وَالْحَوْضُ لِلْمَاءِ مَعْرُوفٌ، أما الْعَطَنُ؛ فَهُوَ مَبْرَكُ الْإِبِلِ حَوْلَ حَوْضِ الْمَاءِ (اللسان: عطن) .

- ٧ أَصْبَحْتُ مَا لِي مِنْ عِزِّ أَلُوْدِهِ إِلَّا التَّعَرُّ بِعَدِ السَّيْفِ وَالْبَدَنِ^(١)
- ٨ عُرْضَةً جَانِبَ الْأَدْنُونِ جَانِبَهَا وَالْأَهْلُ بِالشَّامِ وَالْإِخْوَانُ بِالْيَمَنِ^(٢)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

البيتان الأخيران في ديوان المعاني ١ / ٢٣٥، وفيه عن الفراء قال: "كُنْتُ عِنْدَ الْكِسَائِيِّ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ فَقَالَ: أَصْبَحْتُ كَمَا قَالَ الصَّمَّةُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طُفَيْلٍ الْقُشَيْرِيِّ: "...، شعراء قشير ٢ / ٣٧١، ٣٧٢، ديوانه ١٣١/١ والأبيات ١-٦ في اللسان (شعب) مؤكّدا نسبتها للصمّة نقلاً عن ابن بري، وذكرها ياقوت في معجم البلدان (شعب)، وروى البكري البيهقي ٥-٦ في معجم مل استعجم (شعب) للصمّة وغيره، تاج العروس ١ / ٣٢١، مختار الأغاني ١٢ / ٣٢٤، بلاد العرب ٢٤٢، أعلام الشعر اليمامي ٩٢، وفي تعليقات المحرّي - الحمادي جاء الشطر الثاني من ثاني الأبيات هكذا: (بحائل لاعناها السوء من ظعن)، وقال بعدها: "التشاحس التفاوت؛ يركب أحد..."، فظن المحقق (الحمادي) أنه بيت شعر كامل، فأثبتته هكذا:

بحائل لاعناها السوء من ظعن التشاحس التفاوت يركب

العرب / ١٧٥، ديوانه ١٣٢

- (١) التَّعَرُّ: الانقياض والاكْتِنَابُ (اللسان: عزز)، والبَدُنُ: جَمْعُ بَدَنَةٍ؛ وهي الناقة أو البقرة التي تُنَحَرُ قُرْبَانًا لِصَلَاحِ حَالِهَا وَبَدَنِهَا (اللسان: بدن)، وهو يقصد هنا إلى أن حاله أصبح رقيقة، فصار لا يحلّك من المال شيئاً إلا الانقياض، بعد أن كان فاعلاً بغيره، ما لك ما شاء من النعم .
- (٢) العُرْضَةُ: الهمة العالية، وهي مأخوذة من قولهم: ناقة عُرْضَةٌ لِلشَّعْرِ؛ أي قويّة عليه (اللسان: عرض)، والأدنون: جَمْعُ الْأَدْنِ؛ أي الأقرب (اللسان: دنا) .

(٤٣)

{ الطويل }

- ١ ذَكَرْتُكَ وَالتَّجَمُّ الْيَمَانِي كَأَنَّهُ وَقَدْ عَارَضَ الشَّعْرَى قَرِينُ هِجَانِ^(١)
- ٢ فَقُلْتُ لِأَصْحَابِي، وَلاَحَتْ غَمَامَةٌ بَنَجْدٍ، أَلَا لِلَّهِ مَا تَسْرِيَانِ
- ٣ قِفَا، لَا تَرَى بَرَقًا تَقْطَعُ دُونَهُ مِنْ الطَّرَفِ أَبْصَارُ لَهْنِ رَوَانِ^(٢)
- ٤ أَلَا فَاحْصِلَانِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا إِلَى حَاضِرِ الْمَاءِ الَّذِي تَرِدَانِ
- ٥ فَإِنَّ عَلَى الْمَاءِ الَّذِي تَسْرِدَانِهِ غَرِيمًا لَوَانِي الدِّينِ مُنْذُ زَمَانِ^(٣)
- ٦ لَطِيفَ الْحَشَا عَذْبَ اللَّمَى طَيِّبَ الثَّنَا لَهُ عِلَلٌ لَا تُنْقَضِي لِأَوَانِ^(٤)

- (١) التَّجَمُّ الْيَمَانِي: سَهْلٌ. عَارَضَهُ: سَارَ حِيَالَهُ وَقَابَلَهُ (اللسان: عرض)، والشَّعْرَى: كَوَكَبٌ نِيرٌ يَطْلُعُ عِنْدَ شِدَّةِ الْحَرِّ، وَهُمَا شِعْرَيَانِ: الشَّعْرَى الْعَبُورُ، وَالشَّعْرَى الْعُمَيْصَاءُ (اللسان: شعر)، وَالْهِجَانُ مِنَ الْأَشْيَاءِ: أَجْوَدُهَا وَأَكْرَمُهَا أَصْلًا، وَمِنْ الْإِبِلِ: الْبَيْضُ الْكِرَامُ (اللسان: هجن)
- (٢) رَوَان: جَمْعُ رَانٍ وَرَانِيَّةٍ، وَالرَّانِي الَّذِي يُدِيمُ الثُّقَرُ فِي سُكُونِ طَرَفِهِ (اللسان: رنا)
- (٣) لَوَاهُ دَيْنُهُ: مَطْلَهُ وَحَدَّهُ إِيَّاهُ (اللسان: لوى)، وَالْغَرِيمُ: الدَّائِنُ أَوِ الْمَدِينُ (اللسان: غرم)، ويقصد هنا حبيته التي وعدته، لكن موعدها كان كمواعيد عرقوب؛ إذ كانت تمطله وتحدّه ما وعدته به. والبيت والذي يليه رواهما القالي في أماليه (٢ ص ١١٢) عن الأصمعي هكذا:

إِلَى اللَّهِ أَشْكُو، ثُمَّ أَتَيْتُ فَاشْتَكَيْتُ
لَطِيفَ الْحَشَا عَذْبَ الشَّوَى طَيِّبَ اللَّمَى
غَرِيمًا لَوَانِي الدِّينِ مُنْذُ زَمَانٍ
لَهُ عِلَلٌ لَا تُنْقَضِي وَأَمَانِي

- (٤) الْحَشَا: مَا دُونَ الْحِجَابِ مِمَّا يَلِي الْبَطْنَ كُلَّهُ مِنَ الْكَيْدِ وَالطَّحَالِ وَالْكَرْشِ وَمَا تَبَعَ ذَلِكَ، وَهَذَا يَقْصِدُ بِهِ الْخَصْرَ، يُقَالُ لَطِيفُ الْحَشَا: إِذَا كَانَ أَهْيَفَ ضَامِرِ الْخَصْرِ (اللسان: حشا)، وَاللَّمَى: سُمْرَةٌ فِي الشَّفَتَيْنِ تُسْتَحْسَنُ، وَهِيَ كَالْحَوَّةِ (اللسان: لمى)، وَالثَّنَا: مَقْصُورُ الثَّنَاءِ، وَهُوَ الذِّكْرُ الْحَسَنُ وَالْمَدِيحُ (اللسان: ثنى)، وَالْعِلَلُ: جَمْعُ عِلَّةٍ، وَهِيَ الشَّوَاغِلُ وَالْأَعْذَارُ وَالْأَسْبَابُ الَّتِي يَتَنَصَّلُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِمَّا عَلَيْهِ لِغَيْرِهِ .

- ٧ إذا غرورقت عيناى قالت صحابى
٨ تواهس أصحابى حديثاً لقيته
٩ أفي كل يوم أنت رام بلادها
١٠ كأن قذى العين قد مرجت به
١١ فعيني يا عيني حاتم أتما
١٢ أما أتما إلا علي طليعة
١٣ بكيت عين لم تحنها ضمانة
١٤ عذرتك يا عيني الصحيحة بالبكا
- إلى كم ترى عيناك تبدران
حقيقاً وأغضاد المطي حوان^(١)
يعينين إنساناًهما غرقان^(٢)
وما حاجة الأخرى إلى المرجان^(٣)
بهجران أم العمر تحجلجان^(٤)
على قرب أعدائي وبعد مكاني^(٥)
وأخرى بها ريب من الحدثان^(٦)
فما لك يا غوراء والهملان

تخريج الأبيات :

أما اليزدي / ١٤٩ وفيها روى اليزدي عن عمه عبيد الله عن ابن الكسري في تفسير بيته (بكت عيني اليسرى)، قال: كان أغوراً، وكذلك في المراثي لليزدي / ٣٠٩، الحماسة البصرية ١٥٤/٢، وقد نسبت فيها لابن الدُمينة، وورد البيت الثامن منها في الفصول والغايات / ٣٩٦ منسوباً لبعض الغور من العرب، أما القالي ١١٢/٢، وفي سمط اللآلي ٤٦٢/١-٤٦٣ للصمة القشيري، وقد أفاد الأستاذ الميمى في الحاشية أنها للصمة القشيري، ونقل نصاً من كتاب زيادات الأمثال كان صاحبها نقله عن البكري، مُحاولاً فيه توضيح صواب رواية (عيني اليسرى) لا (اليمنى) جاءت ثلاثة أبيات منها فيه. وابن الدُمينة لم يُعرف بالغور، ديوانه / ١٢٩ (أربعة أبيات)، وفي المختار من شعر ابن الدُمينة / ١٩ بغير غزو

- (١) التواهس: شدة الغمر في الحديث عن الآخرين، وعادة ما يكون همس (اللسان: وهس)، أغضاد المطي: ما بين مرافقها إلى أكتافها (اللسان: عصد)، حوان: ملتوية منحنية (اللسان: حنى).
(٢) إنسان العين: البؤبؤ (اللسان: أنس)، غرقان: مثنى غرق، وهو ومغزورق بمعنى واحد (اللسان: غرق).
(٢) مرجت العين بالقذى: اختلطت بدمعها حتى أسقطته (اللسان: مرج).
(٤) اختلجت العين: خالجه الدمع للذكرى حزناً، فسالت به واضطربت حركتها (اللسان: خلج).
(٥) الطليعة من الجيش ونحوه: أول ما يطلع منه، والطليعة كالحاسوس، من يطلع طلع العدو؛ أي يستكشف ويكشف ما يخفيه (اللسان: طلع)، والعين تكون طليعة على ما تجر الخواص لأنها تكشف ما يخفيه الإنسان من مشاعره تُحاة غيره، ومنه قولهم: (إذا العين راحت وهي عين على الجوى فليس يسير ما تسير الأضالع).
(٦) الضمانة: الداء (اللسان: ضمن)، ورب الحدثان: صروف الدهر ومصائبه (اللسان: ريب).

{ الطويل }

- ١ رَأَيْتِي الْعَوَانِي قَدْ تَرَدَّتْ شَمْلَةً وَأَزْرَتْ أُخْرَى ، فَازْدَرَيْتِي غَيُوبَهَا ^(١)
- ٢ وَفِي شَمْلَتِي - لَوْ كُنَّ يَدْرِين - سَوْرَةٌ مِنْ الْجَهْلِ ، مَجْنُونٌ بَيْنَ جُنُوبَهَا ^(٢)

تَخْرِيجُ الأبيات :

الأشباه والنظائر ٢ / ٢٤٤ ، العرب / ١٧٥ ، شعراء قُشَيْر ٢ / ٣٨٣ ، ديوانه / ١٣٥

{ الطويل }

- ١ وَحَنَّتْ قُلُوصِي آخِرَ اللَّيْلِ حَنَّةً فَيَا رَوْعَةً مَا رَاعَ قَلْبِي حَنِيبَهَا ^(١)
- ٢ حَنَّتْ فِي تَنَائِيهَا ، وَشَبَّ لَعِينَهَا سَنَا بَارِقَ وَهْنًا ، فَجُنَّ جُنُوبَهَا ^(٢)
- ٣ فَقُلْتُ لَهَا : صَبْرًا ، فَكَلَّ قَرِينَةً مُفَارِقَهَا - لَا بُدَّ يَوْمًا - قَرِينَهَا ^(٣)
- ٤ فَمَا بَرَحْتُ حَتَّى ارْعُوْنَا لِصَوْتِهَا وَحَتَّى أَتَبَرَى مِنَّا مُعِينُ يَعِينَهَا ^(٤)
- ٥ تَجَنُّ إِلَى أَهْلِ الْحِجَارِ صَبَابَةً وَقَدْ بُتَّ مِنْ أَهْلِ الْحِجَارِ قَرِينَهَا ^(٥)
- ٦ فَيَا رَبَّ أَطْلِقْ قَيْدَهَا وَجَرِيرَهَا فَقَدْ رَاعَ أَهْلَ الْمَسْجِدَيْنِ حَنِيبَهَا
- ٧ فَقُلْتُ لَهَا : حِنِّي رُويْدًا ، فَإِنِّي وَإِيَّاكَ بُدِي عَوْلَةٌ سَـئِيئِيهَا ^(٦)

(١) حَنَّتْ التَّاقَةُ: صَوَّتَتْ صَوْتًا حَزِينًا إِذَا تَذَكَّرَتْ فَصَلَّيْهَا، أَوْ مَرَّتْ بِمَكَانٍ كَانَ لَهَا فِيهِ ذِكْرَى وَمَقَامُ (اللسان:

حنن)، والقُلُوصُ: التَّاقَةُ الْغَيَّةُ الشَّدِيدَةُ (اللسان: قُلُوصُ).

(٢) حَنَّتْ: مِنْ الْحَنُو؛ أَيْ تَذَكَّرَتْ فَحَنَّتْ وَعَطَفَتْ وَأَشْفَقَتْ (اللسان: حَنًا)، والتَّنَائِي: الْبُعْدُ (اللسان: نَأَى)،

وقَوْلُهُ: (شَبَّ لَعِينَهَا سَنَا بَارِقَ وَهْنًا)؛ يَعْنِي أَنَّهَا رَأَتْ ضَوْءَ بَارِقٍ مُنِيرٍ، وَالْوَهْنُ: نِصْفُ اللَّيْلِ أَوْ بَعْدَ سَاعَةٍ مِنْهُ

(اللسان: وَهْنٌ)، وَيَكُونُ ذَلِكَ أَدْعَى لظُلْمَةِ اللَّيْلِ.

(٣) حَدِيثُهُ إِلَى التَّاقَةِ هُنَا يَنْسَجِمُ مَعَ حَالَةِ نَفْسِيَّةٍ يَعْيشُهَا هُوَ؛ فَهُوَ يُحَاوِلُ أَنْ يَصْدَعَ نَفْسَهُ بِالْحِكْمَةِ لِيَكْجَحَ جِمَاحُ

الشَّقْوِ فِي قَلْبِهِ، وَمُخَاطَبَةُ الْعَرَبِيِّ نَاقَةً؛ أَوْ جَعَلَهَا تُخَاطِبُهُ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَلْفَةِ بَيْنَهُمَا، حَتَّى وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فِي الشُّعْرِ،

وَلَعْتَرَةً مَعَ قَرِينِهِ، وَالتَّقَبُّ الْعَدِيَّ مَعَ نَاقِهِ، وَالتَّنَبُّ مَعَ حِصَانِهِ فِي شَيْءٍ بَوَّانٍ، شَيْءٌ طَرِيفٌ فِي هَذَا الْجَانِبِ.

(٤) بَرَحْتُ تُرْسِلُ ذَلِكَ الصَّوْتِ الْخَرِينِ، ارْعُوْنَا: اتَّبَعْنَاهَا وَحَمَلْنَا بَعْضَ مَا تَجِدُ (اللسان: رَعَا)، أَتَبَرَى مُعِينٌ:

عَرَضَ أَحَدُهُمْ لِصَوْتِهَا فَقَلَّدَهُ وَبَارَاهُ لِكَيْ يُخَفِّفَ عَنْهَا.

(٥) بُتَّ: قُطِعَ حَتْلٌ وَصَالِيهَا مَعَ قَرِينِهَا (اللسان: بَتَّ).

(٦) الْعَوْلَةُ: رَفَعَ الصَّوْتُ بِالْبُكَاءِ وَالصَّيْحِ، وَخَرَارَةُ الْحَبِّ وَالْحَزْنِ مِنْ غَيْرِ نِدَاءٍ وَلَا بُكَاءٍ؛ جَمَعَهَا (عَوْلٌ)

(اللسان: عَوْلٌ)، وَلَعَلَّ الْآخِرَةَ أَوَّلَى؛ لِأَنَّ عَوْلَتَهُ وَعَوْلَتَهَا مَخْفِيَتَانِ يُظْهِرُهُمَا الْبُكَاءُ وَالصَّيْحُ.

(١) الْعَوَانِي: جَمْعُ غَانِيَةٍ، وَهِيَ الَّتِي اسْتَعْنَتْ بِجَمَالِهَا عَنِ الْحُلِيِّ (اللسان: عَنَى)، وَتَرَدَّى بِالرَّدَاءِ: لَبَسَهُ (اللسان:

رَدَى)، وَالشَّمْلَةُ: شَقَّةٌ مِنَ الثِّيَابِ ذَاتُ خَمَلٍ يُتَوَشَّحُ بِهَا وَيُتَلَفَعُ، وَكِسَاءٌ مِنْ صَوْفٍ أَوْ شَعْرِ يُتَغَطَّى بِهِ وَيُتَلَفَفُ

بِهِ (اللسان: شَمَلٌ)، وَبَدَلُ قَوْلِهِ: (وَأَزْرَتْ أُخْرَى) عَلَى أَنَّهُ عَنِ الْأَوَّلَى وَالثَّانِيَةِ؛ أَيْ وَضَعَ إِحْدَاهُمَا عَلَى رَأْسِهِ،

وَالْأُخْرَى عَلَى حَسَنِهِ، وَهَذَا لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ كَبِيرِ السِّنِّ، أَوْ الْعَاجِزِ. أَمَّا اِزْدَرَيْتِي غَيُوبَهَا؛ فَاسْتَحْقَرْتُ وَعَاطَيْتِي

بِأَنْ تَنْظَرْتُ هَزْءًا وَاحْتِفَارًا (اللسان: زَرَى).

(٢) سَوْرَةُ الْجَهْلِ: جِدَّتْهُ (اللسان: سَوْرٌ)، وَهُوَ يَسْتَكْبِرُ عَلَيْهِمْ مِثْلَ ذَلِكَ، مُنْكَرًا عَجْزَهُ.

- ٨ خَلِيلِي، هَلْ بِالشَّامِ عَيْنٌ حَزِينَةٌ
٩ وَهَلْ يَبْعُ نَفْسًا نَفْسًا، أَوْ الْأَسَى
١٠ وَأَسْلَمَهَا الْبَاكُونَ إِلَّا حَمَامَةً
١١ مُجَاوِبُهَا أُخْرَى عَلَى خَيْرُ رَاةٍ
١٢ نَظَرْتُ بَعَيْنِي مُؤَسَّسِينَ فَلَمْ أَكُذِّ
١٣ فَكَذَّبْتُ نَفْسِي، ثُمَّ رَاجَعْتُ نَظْرَةً
تُبْكِي عَلَى تَجْدٍ لَعَلِّي أَعِينُهَا ؟^(١)
إِلَيْهَا فَأَجْلَاهَا بِذَلِكَ حَسِينُهَا ؟^(٢)
مُطَبَّوْقَةً قَدْ بَانَ عَنْهَا قَرِينُهَا^(٣)
يَكَاذُ بِدَيْتِهَا مِنَ الْأَرْضِ لَيْسُهَا^(٤)
أَرَى مِنْ سَهْلٍ نَظْرَةً أَسْهَيْتُهَا^(٥)
فَهَبَّحَ لِي شَوْقًا لِنَجْدٍ يَفِينُهَا^(٦)

تخریجُ الأبيات :

محاضرة الأبرار ٢٥/٢، الحماسة الشجرية ٦٠٤/٢-٦٠٥، وهي في الحماسة البصرية ١٥٥/٢، ورواها لأم المثلّم الهذليّة، وتُروى لكرمة بنت أسد، وفي أمالي الزّجاجي ٢٠١/١ لبعض الأعراب. وآخرُ سِتَّةٍ مِنْهَا في معجم البلدان (نجد)، ونسب ابن خلّكان البيت ٣١، لابن الطّبريّ في الوفيات ٣٧٢/٦. ديوانه/١٣٦ (خمسة أبيات)

- (١) تُبْكِي: أي تبكي بشدّة وإغوال (اللسان: بكى).
(٢) أَجْلَاهَا حَسِينُهَا: أي خَلَصَهَا حَسِينُهَا مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ الَّذِي تَجِدُ حَرَارَتَهُ فِي أَحْسَانِهَا، وَأَجْلَى الْهَمِّ عَنْهُ: أزاله وكشفه (اللسان: جلا).
(٣) يُصَوِّرُ الشَّاعِرُ وَجْهَهُ مَرَّةً بِالتَّاقَةِ الَّتِي حَسَتْ لَهَا وَجَدَتْ مِنْ شَوْقٍ لِقَرِينِهَا بِالْحِجَازِ الَّذِي بُتَّ حَبْلُهَا مِنْهُ، ثُمَّ يَلْحَقُ لِنَصْرِيبِ شَوْقِهِ بِمَا تَجِدُ الْحَمَامَةُ الَّتِي فَارَقَتْ قَرِينَهَا، وَجَعَلَتْ حَمَامَةً أُخْرَى تُسَلِّي عَنْهَا الْهَمَّ كَمَا فَعَلَ هُوَ وَصَحْبُهُ بِتِلْكَ التَّاقَةِ قَبْلُ، وَالْحَمَامَةُ الْمُطَوَّقَةُ: الَّتِي يَظْهَرُ عَلَيْهَا طَوَقٌ بِرَيْشٍ مُخْتَلِفِ اللَّوْنِ عَنْ لَوْنِ سَائِرِ رَيْشِهَا (اللسان: طوق).
(٤) دَنَاهَا: قَرَّبَهَا مُبَالَغَةً فِي الدُّوِّ (اللسان: دنا)، وَاللَّيْنُ فِي الْخَيْرِ رَائِيَّةٌ صِفَةٌ تَجْعَلُهَا قَابِلَةً لِلتَّنْيِ وَالْإِنْجَاءِ .
(٥) الْمُؤَسَّسُ: الْمُتَدَقِّقُ فِي نَظَرِهِ، الْمُؤَفِّقُ بِمَا يَرَى، وَأَصْلُهَا مِنَ الْإِنْسَانِ، وَهُوَ أَيْضًا تَوْرُ الْوَحْشِ (اللسان: أنسى)، وَسَهْلٌ: هُوَ التَّحَمُّ الْيَمَانِي، قِيلَ: عِنْدَ طُلُوعِهِ تَنْضَحُ الْفَوَاكِهُ وَيَنْقَضِي الْقَيْطُ، وَفِي الْمَثَلِ: (إِذَا طَلَعَ سَهْلٌ، رُفِعَ كَيْلٌ وَوُضِعَ كَيْلٌ)، يُضْرَبُ فِي تَبَدُّلِ الْأَحْكَامِ (اللسان: سهل).
(٦) رَاجَعْتُ النَّظْرَةَ: أَعَدْتُ النَّظْرَةَ كَرَّةً أُخْرَى (اللسان: رجع)، يَقِينُ الْعَيْنِ: يَقِينُهَا مِنَ الرُّؤْيَةِ وَالْعِلْمِ بِمَا رَأَتْ (اللسان: وقن).

قافية الياء

(٤٦)

{ الطويل }

- ١ أَلَا سَأَلَانِ اللَّهِ أَنْ يَسْقِيَ الْحِمَى
٢ وَأَسْأَلُ مَنْ لَاقَيْتُ: هَلْ مُطِرَ الْحِمَى
٣ وَلَئِي لَأَسْـسَقِيَ لِنَتْنِ بِالْحِمَى
بَلَى، فَسَقَى اللَّهُ الْحِمَى وَالْمَطَالِيَا^(١)
فَهَلْ يَسْأَلُنْ عَنِّي الْحِمَى: كَيْفَ حَالِيَا^(٢)
وَلَوْ تَمْلِكُنِ الْبَحْرَ مَا سَقَيْتَانِيَا^(٣)

تخریجُ الأبيات:

الأمالي ١٩٤/١-١٩٥، الأغاني ٢٩٢/٥، تجريد الأغاني ق ١ ج ٧١٦/٢، مهذّب الأغاني ١٨٦/٤، معجم البلدان (حِمَى)، الوافي بالوفيات ١٩٣/١٦، العرب ١٧٥، الحنين إلى الأوطان ١١٦، شعراء قشّير ٣٩٩/٢، ديوانه/ ١٤٠

- (١) الْحِمَى: تَقَدَّمَ التَّعْرِيفُ بِهِ، وَكُلُّ مَا هُوَ مِنْ أَرْضِ الْقَبِيلَةِ يُسَمَّى حِمًى. الْمَطَالِي: أَرْضٌ وَاسِعَةٌ مِنْ بِلَادِ أَبِي بَكْرٍ ابْنِ كِلَابٍ (مراسد الأطلاع: المطالي)، قَالَ يَاقُوتُ: "كَأَنَّهُ جَنَعُ مَطْلَى، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي تُطْلَى فِيهِ الْإِبِلُ بِالْقَطِيرَانِ وَالتَّقِطِ، وَهُوَ مَوْضِعُ بَنِي خُرَّانِ ...، وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ: وَمِمَّا يُسَمَّى مِنْ بِلَادِ أَبِي بَكْرٍ بَنِي كِلَابٍ تَسْمِيَةً فِيهَا خَطُّهَا مِنَ الْبِيَاءِ وَالْجِبَالِ الْمَطَالِي، وَوَحْدُهَا الْمَطْلَى، وَهِيَ أَرْضٌ وَاسِعَةٌ" (البلدان: المطالي)، وَفِي مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهَا قَرِيبَةٌ مِنْ نَجْدٍ، بَلْ فِيهِ مَا هُوَ قَرِيبٌ مِنْ عَجْرِ بَيْتِ قَوْلِ أَعْرَابِيٍّ: (سَقَى اللَّهُ لَيْلَى وَالْحِمَى وَالْمَطَالِيَا)
(٢) قَوْلُهُ: (يَسْأَلُنْ عَنِّي الْحِمَى)، هُوَ عَلَى الْمَجَازِ لِأَنَّهُ ذَكَرَ الْمَحَلَّ وَأَرَادَ الْحَالَ فِيهِ، مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: { وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ }، أَيْ وَاسْأَلِ أَهْلَ الْقَرْيَةِ .
(٣) لَعَلَّهُ يَقْصِدُ هُنَا زَوْجَتَهُ حَبْرَةَ بِنْتَ وَحْشِيٍّ الَّتِي تَزَوَّجَهَا ثُمَّ هَجَرَ دِيَارَهُ إِلَى الشَّامِ فَطَبْرَسْتَانِ، وَرَبَّيَا الْعَامِرِيَّةَ الَّتِي لَمْ يُصِرَّ عَلَى الزَّوَاجِ مِنْهَا، فَهَجَرَ الدِّيَارَ بَعْدَ أَنْ زَوَّجَتْ مِنْ غَيْرِهِ وَهِيَ تَحْمِلُ عَشْقَهُ فِي صَدْرِهَا، وَكِلْتَاهُمَا لَا رَيْبَ غَاضِيَّةَ مِنْهُ، كَارِهَةً لَهُ .

{ الطويل }

- ١ أَرَى الدَّهْرَ بِالتَّفْرِيقِ وَالْبَيْنِ مُوَلَّعًا وَلِجَمْعِ مَا بَيْنَ الْمُحِينِ آيَا ^(١)
- ٢ فَأَفَّ عَلَيْهِ مِنْ زَمَانٍ، كَأَنِّي خُلِقْتُ وَإِيَّاهُ تُطِيلُ الْعَادِيَا ^(٢)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

تَرْيِنُ الْأَسْوَاقِ ١/ ٢٣١، وَلَمْ تَرِدْ فِي الْعَرَبِ، شُعْرَاءُ قُشَيْرِ ٢/ ٣٩٥،

ديوانه/ ١٣٩

{ الطويل }

- ١ سَقَى اللَّهُ أَطْلَالًا بِأَكْبِيَةِ الْحِمَى وَإِنْ كُنَّ قَدْ أَبْدَيْنَ لِلنَّاسِ دَائِيَا ^(١)
- ٢ مَنَازِلَ لَوْ مَرَّتْ بَيْنَ جَنَازَتِي لَقَالَ الصَّدَى: يَا حَامِلِي، ارْبَعَا يَا ^(٢)

تَخْرِيجُ الْأَبْيَاتِ :

الحماسة البصرية ١٣٣/٢، وقال: "وقال مَرَارُ بْنُ هَبَّاشِ الطَّائِي، وَتُرَوَّى لِلصَّمَّةِ الْقُشَيْرِي"، وَيَذْكُرُ الْحَقِّقُ أَنَّهُ لَمْ يَقِفْ عَلَى شَاعِرٍ بِهَذَا الْاسْمِ، وَأَنَّ إِحْدَى التُّسَخِّ انْفَرَدَتْ بِنِسْبَةِ الْبَيْتَيْنِ لِلصَّمَّةِ دُونَ غَيْرِهِ. وَالْبَيْتَانِ فَوْقَ هَذَا يَتَوَافَقَانِ مَعَ الْأَبْيَاتِ الَّتِي سَبَقَتْهُمَا، مِمَّا يُرْجَحُ أَنَّ يَكُونَا لِلصَّمَّةِ. وَلَمْ يَرِدَا فِي الْعَرَبِ، شُعْرَاءُ قُشَيْرِ ٢/ ٣٩٣، ديوانه/ ١٣٨

(١) الْأَطْلَالُ مِنَ الدِّيَارِ: رُسُومُهَا الْبَاقِيَةُ مِنْهَا بَعْدَ خَلَائِهَا مِنْ أَهْلِهَا (اللسان: طلل)، وَأَكْبِيَةُ الْحِمَى: جَمْعُ كَتِيبٍ، وَهِيَ تِلَالُ الرَّمْلِ، وَقَدْ عُرِفَتْ دِيَارُهُمْ بِكَثْرَةِ الْأَكْبِيَةِ فِيهَا، قَالَ فِي (صَفَةِ الْخَزِيرَةِ: ١٤٨): "وَمِلْحُ الْحَاجِرِ قَرَارُهُ بَيْنَ أَكْبِيَةٍ"، وَهِيَ فِي نَطَنِ حَائِلٍ، أَشْهَرُ مِيَاوِ دِيَارِ بَنِي قُشَيْرٍ. وَقَوْلُهُ: (أَبْدَيْنَ ...)؛ يَعْنِي أَنَّ هَذِهِ الْأَكْبِيَةَ لَمَّا رَأَاهَا الشَّاعِرُ هَاجَتْ حُزْنُهُ. وَوَجَدَهُ، فَالْتَهَلَّتْ عَيْنَاهُ بِالْبُكَاءِ، فَكَأَنَّهُا كَشَفَتْ عَنْ الدَّاءِ الَّذِي يُجِنُّهُ وَيُسْتُرُهُ.

(٢) الصَّدَى: الْهَامَةُ؛ وَهُوَ طَائِرٌ كَانَ الْعَرَبُ يَرْغُمُونَ أَنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ هَامَةِ الْقَتِيلِ، وَيَقُولُ: اسْقُونِي، اسْقُونِي؛ حَتَّى يُؤْخَذَ بِثَأْرِهِ (اللسان: هام)، اَرْبَعَا يَا: أَيُّ اثْنَلَا يِي فِي هَذَا الْمَكَانِ، وَأَقِيمَا يِي فِيهِ (اللسان: ربع).

(١) الْبَيْنُ: الْفَرْقَةُ وَالْإِنْتِزَاحُ (اللسان: بان)، وَالْمُوَلَّعُ بِالْشَيْءِ: الْوَاقِعُ لَهُ؛ الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ تَعَلُّقًا شَدِيدًا (اللسان: ولع)، وَالْآيِي: الرَّاغِبُ الْمُتَمَتِّعُ (اللسان: آي)، وَهُوَ هُنَا يُلْقَى بِاللَّوْمِ عَلَى الدَّهْرِ لِمَوَاسَاةِ نَفْسِهِ.

(٢) أَفَّ عَلَيْهِ، وَأَفَّ لَهُ: كِلَاهُمَا بِمَعْنَى، وَالتَّأَفُّفُ: التَّضَجُّرُ وَقَوْلُ (أَفَّ) مِنْ كَرَبٍ أَوْ ضَجَرٍ (اللسان: أفف).

الفهارسُ العامّةُ

لِشَفَرِ الصَّهْفَةِ

١. فَهْرَسُ الْأَشْعَارِ

٢. فَهْرَسُ الْأَغْـلَامِ

٣. فَهْرَسُ الْأَمَّاكِـنِ

١. فهرس الأشعار

رقم القصيدة	صدر مطلعها	قافيتها	الصفحة	وزن القصيدة
١	لَعَمْرُكَ مَا رَيَا بِذَاتِ أَمَانَةٍ	جَزَاءُ	٥٣	الطويل
٢	أَلَا يَا جُرَادَ الْغُورِ هَلْ أَنْتَ مُبْلَغٌ	شَعْبَعَا	٥٥	الطويل
٣	فَوَاحِشْرَتِي لَمْ أَقْضِ مِنْكَ لُبَانَةً	بِالْقُرْبِ	٥٧	الطويل
٤	أَلَا أَيُّهَا الْبَيْتَانِ بِالْأَجْرَعِ الَّذِي	كَنْثِبُ	٥٨	الطويل
٥	سَقَى اللَّهُ أَيَّامًا لَنَا وَلِيَالِيَا	مَلَاعِبُ	٦٠	الطويل
٦	إِلَى اللَّهِ أَشْكُو نِيَّةَ يَوْمٍ قَرَّرَ	شَعُوبُهَا	٦١	الطويل
٧	أَلَا مَنْ لِعَيْنٍ لَا تَرَى قُلُلَ الْحِمَى	اسْتَهْلَتْ	٦٤	الطويل
٨	إِنْ أَفَارَقَهُمْ فَقَدْ عَشْتُ دَهْرًا	اِئْتِهَاجُ	٧٥	الخفيف
٩	كَدَاءِ الشَّحَا بَيْنَ الْوَرِيدَيْنِ كَلَّمَا	الْتَحَانُحُ	٧٦	الطويل
١٠	خَلِيلِي إِنْ قَابَلْتُمَا الْهَضْبَ أَوْ بَدَا	جَهْدَا	٧٧	الطويل
١١	أَلَا أَيُّهَا الصَّمَدُ الَّذِي كُنْتَ مَرَّةً	صَمَدِ	٨١	الطويل
١٢	أَحِنُّ إِلَى نَحْلٍ وَأَيُّ لِيَائِسُ	نَحْلِ	٨٣	الطويل
١٣	وَقَاءَ مَا مَعِيَّةُ مِنْ أَبِيهِ	بِعَقْدِ	٨٤	الوافر
١٤	لَا تَعْدُلِينَا فِي الزِّيَارَةِ إِنَّا	بَارِدُ	٨٥	الكاميل
١٥	أَلَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَيْشَنَ لَيْلَةً	سُعْدُ	٨٦	الطويل
١٦	أَعَاذِلُ إِنْ اللَّوْمَ بَعْضُ مَيْتِي	مَزِيدُ	٨٩	الطويل
١٧	أَلَا مَنْ لِنَفْسٍ مُسْتَحِفٍّ جَلِيدُهَا	صُدُودُهَا	٩٠	الطويل
١٨	عَرَفْتُ الْيَوْمَ بِالْأَسْنَادِ دَارَا	اِئْتِهَامَا	٩٢	الوافر
١٩	أَقُولُ لِصَاحِبِي وَالْعَيْسُ تَهْوِي	الضَّمَارُ	٩٤	الوافر
٢٠	وَهَلْ تَجْزِيَنِي الْعَامِرِيَّةُ مَوْقِفِي	الْجَمْرُ	٩٧	الطويل
٢١	تَعَزَّ بِصَبْرِ لَا وَجَدَكَ لَا تَرَى	الْعَوَابِرُ	٩٨	الطويل

٢. فهرس الأعلام

الرقم	العلم	مواطن ذكره
١	آل بصرى	٨٠
٢	أعرابية	٧١
٣	أم عمرو (كنية رثا)	٩١
٤	أم الغمر (كنية رثا)	١٣٢
٥	أهل الحجاز	١٣٥
٦	جابر (صاحب الصمة)	٨٧
٧	جيرة بنت وحشي (زوج الصمة)	١٣٧، ١٠٥
٨	الحارثي (صفة الصمة)	٨٠
٩	الحارثية (صفة رثا)	٨٢
١٠	رثا (العامرية بنت غطف)	١٣٧، ١٢١، ١١٢، ١٠٩، ٨٧، ٨٦، ٥٣
١١	زمام بن خطام الكلبي (مغن)	١٢٦
١٢	سلمى	٩٠
١٣	شعب الحي	١٠٨
١٤	طيا (اسم رثا أو لقبها)	١٢٢، ٩٣، ٧٣، ٧٢، ٦٨، ٦٧، ٥٣
١٥	ظمياء (صفة رثا)	٨١
١٦	عامر بن يشتر (زوج رثا)	١٠٤
١٧	العامرية (صفة رثا)	١٠٧، ٩٧
١٨	عبد الأعلى (صاحب الصمة)	٧٧
١٩	عثمان بن وهب (صاحب الصمة)	٦٧
٢٠	عباس (صاحب الصمة)	٨٧
٢١	ليلى (لعله تحريف رثا أو لقبها)	١٢٨، ١٢٠، ١١٨، ٨٣
٢٢	معية (علم تصغير معاوية)	٨٤
٢٣	ميسون بنت بحدل	٧١

٢٢	إذا نأت لم تفارقني علاقتها	الزاري	٩٩	البسيط
٢٣	خليلي هل يستخير الأثل والعضا	السدر	١٠٠	الطويل
٢٤	ولما نزلنا شبيحة الرمل أعرضت	الغمر	١٠١	الطويل
٢٥	أكرز طرفي نحو نجد وإثني	الظفر	١٠٢	الطويل
٢٦	إن الكريم وإن أربت خلافة	اليسر	١٠٣	البسيط
٢٧	فإن تنكحوها عامرا لا طلاعكم	عامر	١٠٤	الطويل
٢٨	كلي الثمر حتى يصرم النخل واضفري	أمس	١٠٥	الطويل
٢٩	خليلي عوجا منكما اليوم أو دعا	بلقا	١٠٦	الطويل
٣٠	أجد خللاي الرواح فرمعا	-----	١١٦	الطويل
٣١	يا ليت شعري عن الحي الذين غدوا	مجمع	١١٧	البسيط
٣٢	وثبت ليلى أرسلت بشفاعه	شفيها	١١٨	الطويل
٣٣	لعمري لئن كنتم على الثأر والقبلى	لصديق	١١٩	الطويل
٣٤	أن سحعت في بطن وإد حمامة	دافق	١٢٠	الطويل
٣٥	نظرت وطرف العين يتبع الهوى	المتناول	١٢١	الطويل
٣٦	فله دري أي نظره ذي هوى	ألها	١٢٢	الطويل
٣٧	ألا من قلب قد أصيبت مقاتله	ترايلة	١٢٤	الطويل
٣٨	خليلي إني واقفت فمسلم	فسلما	١٢٥	الطويل
٣٩	دعوت زماما للهوى فأجابني	زمام	١٢٦	الطويل
٤٠	ولم أت البيوت مطمئنا	الرغام	١٢٧	الوافر
٤١	أكرز إلى ليلى فأحسب أثني	كريمها	١٢٨	الطويل
٤٢	يا صاحبي أطال الله رشدكما	السنن	١٢٩	البسيط
٤٣	ذكرتك والنجم اليماني كآته	هيجان	١٣١	الطويل
٤٤	رأيتي العواني قد تردت شملة	غيونها	١٣٤	الطويل
٤٥	وحنت قلوصي آخر الليل حنة	حينها	١٣٥	الطويل
٤٦	ألا تسألان الله أن يسقي الحمى	المطاليا	١٣٧	الطويل
٤٧	أرى الدهر بالتفريق والبين مولعا	آبيا	١٣٨	الطويل
٤٨	سقى الله أطالا بأكنبة الحمى	دائيا	١٣٩	الطويل

٣. قَهْرَسُ الْأَمَاكِينِ

الرَّقْم	الْمَكَان	مَوَاطِنُ ذِكْرِهِ
١	الأَجْرَعُ، أَجْرَع	١١٢، ٥٨
٢	الأَخْرَبَانِ	٦١
٣	أَذْرَعَات	٧٨
٤	أَرْضُ الْحِجَازِ	١٠٢
٥	الْأَسْنَادُ	٩٢
٦	أَطْلَال	١٣٩
٧	الْأَعْرَافُ	١٠٧
٨	الْأَعْطَانُ	٦٩
٩	أَعْلَامُ (حَزْوَى)	١٠١
١٠	أَكْبِيَّةٌ، أَكْبِيَّةُ الْحِمَى	١٣٩، ١٢٦
١١	أَكْنَافُ الشَّبَابِ	٦٠
١٢	الْبَرْقُ	١٢٥
١٣	الْبَرِّيْقَانِ	٦٧
١٤	بُصْرَى	١٢١، ٧٩
١٥	بَطْنُ حَايِلَ	١٢١
١٦	بَطْنُ عَاقِلَ	٨١
١٧	بَطْنُ وَادٍ	١٢٠
١٨	بَطْنُ وَدَّانَ	١٠٠
١٩	الْبَيْتُ الْحَرَامُ	٦٢
٢٠	تَبْرَاك	١٢٩، ٦١
٢١	التَّغْرُ	١٢٢
٢٢	جِبَالُ الْحَزْنِ	٨٧
٢٣	جَبَلُ الْأَوْشَالِ	٧٧، ٦٤
		١٤٦

٢٤	جُرَادُ (الْعُور)	٥٥
٢٥	جُفَاف	١٢٢
٢٦	حَائِلَ، حَائِلَ	١٢٩، ١٢٨، ١٢١
٢٧	الْحَبْلُ (حَبْلُ تَبْرَاك)	١٢٩، ١٢٤
٢٨	حَزْوَى	١٠١
٢٩	جِصْنُ الْبَاهِلِيَّ	٦١
٣٠	الْحَلَاءُ	٧١
٣١	الْحِمَى	١٣٧، ١١١، ١١٠، ٩٨، ٩٧، ٩٠، ٨٧، ٦٦، ٦٤
٣٢	الْحَوْضُ	١٢٩
٣٣	الْحِيَاضُ	١٢٣
٣٤	الْحَيَّ	١١١، ١٠٨
٣٥	خُزَارَى	٧٧
٣٦	دَابِق	٥٩، ٥٨
٣٧	دَارُ الصَّيْدِ	٥٨
٣٨	ذَاتُ الرَّمْثِ	١٢١
٣٩	ذَاتُ السَّلِيلِ	٨١
٤٠	دَرَوْه	٧٩
٤١	دُو سَلَمٍ	١٠٨
٤٢	الرَّبِيعُ	١١٣
٤٣	الرَّقَاشَانِ	١٠٧
٤٤	رُقَاقَا قَرْيَةٍ	٧١
٤٥	سُعْدُ	٨٦
٤٦	السَّلِيلُ	٩٢
٤٧	سَنَامُ الْحِمَى	٩٨
٤٨	سَنَدُ الْوُدَّكَاءِ	٧٧
٤٩	سُهَيْلُ	١٣٦
٥٠	سُوج	٨٨
		١٤٧

٩٤	القِفَار	٧٨
١١٢	قُفَّ	٧٩
٨٧	قَلَّةُ النَّيْرِ	٨٠
٦٤	قُلُلُ الْحِمَى	٨١
١٠٩	قُنِيَّ	٨٢
٥٨	كُفَّةُ الْعَصَا	٨٣
٧٢	مَاءُ الْعِظَاةِ	٨٤
٦٢	مَاءُ الْمُحَلَّقِ	٨٥
٦٢	مَاءُ الْهُدْيَةِ	٨٦
١٢٤	مَصْرَمُ الْحَبْلِ	٨٧
١٣٧	الْمَطَالِي	٨٨
٦٢	مَطْلُوب	٨٩
٩٤	الْمُنِيفَةُ	٩٠
٨٦، ٨٣، ٨٠، ٧٩، ٧٨، ٧٧، ٧٢، ٧١، ٦٣، ٦٢	نَجْد، (النَّجْد)	٩١
٨٧، ٩٤، ٩٥، ١٠٢، ١٠٩، ١١٠، ١١١		
١٣٦، ١٣١، ١١٢		
١٣١	النَّحْمُ الْيَمَانِي (سُهَيْل)	٩٢
١٢٥، ١١١، ٨٧، ٦٥	النَّيْرِ	٩٣
١٢٥، ٩٠، ٨٧، ٧٧	الْهَضْبُ (هَضْبُ النَّيْرِ)	٩٤
٧٢	الْهِنْدُ	٩٥
١١٢	وَادِي الشَّرَى	٩٦
٥٨	وَاسِطُ	٩٧
١٢٩، ٨١	وَطْنُ	٩٨
١٣٠	الْيَمَنُ	٩٩

١١١	السَّيْلُ	٥١
١٣٦، ١٣٠، ٥٨	الشَّامُ	٥٢
١١٢	الشَّرَى	٥٣
١٢١	شَرْقِيَّ بُصْرَى	٥٤
٥٧	الشَّعْبُ	٥٥
١٢٩، ٥٥	شَعْبَعْبُ	٥٦
٥٧	شُعْبُ مُرَاهِقُ	٥٧
١٣١	الشَّعْرَى	٥٨
١٠١	شَيْخَةُ الرَّمْلِ	٥٩
١٠٦	الصَّفِيحُ الْمَوْضِعُ	٦٠
٨١	الصَّمْدُ	٦١
٩٤	الضَّمَارُ	٦٢
٧١	ضَيْعَةُ	٦٣
١٠١	الطَّلُ	٦٤
٨٧	عَارِمَةُ	٦٥
٥٩	الْعَتْنَانُ	٦٦
٦٦	عِرَاصُ الْحِمَى	٦٧
١٢٩	الْعَطْنُ	٦٨
٩٧	غَضَا الْحَمْرِ	٦٩
٥٥	غِمَارُ شَعْبَعْبُ	٧٠
١١٢، ٥٥	الْعَوْرُ	٧١
٦١	قَاعُ الْأَخْرَبَيْنِ	٧٢
١٠٦	الْقَبِيئَةُ	٧٣
٦١	قَرْقَرَى	٧٤
٦٢	قَرْنُ	٧٥
٦٢	قَرْنُ نَخْلَةٍ	٧٦
٧٩	الْقَصْرُ	٧٧

تَبَتُ الْمَصَادِرُ وَالْمَرَا جِعُ

- الإبانة في اللغة العربيّة، سلّمة بن مسلّم العوتبيّ الصُّحاريّ، تحقيق د. عبد الكريم خليفة وزُملائه، (عُمان: وزارة التّراث القومي والثقافة، ١٩٩٩)
- الأشباه والنظائر من أشعار المتقدّمين والجاهليّين والمخضرمين، الخالدديّان: أبو بكر محمد بن هاشم، وأبو سعيد عثمان بن هاشم، تحقيق محمّد يوسف، (القاهرة: مطبعة لجنة التّأليف والترجمة والنّشر، ١٩٦٥)
- الإصابة في تمييز الصّحابة، شهاب الدّين أحمد بن عليّ بن حجر العسقلانيّ، تحقيق محمّد عليّ البجّاوي، (بيروت: دار الجيل، ١٩٩٢)
- الأعلام، خير الدّين الزّركليّ، ط ١٠، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٩٢)
- الأغاني، أبو الفرج عليّ بن الحسين، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٥٦)، (بيروت: دار إحياء التّراث العربي، د.ت)
- الأُمالي، أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد اليزيديّ، (حيدر آباد الدّكن: جمعيّة دائرة المعارف العثمانيّة، ١٩٤٨)
- أُمالي الزّجاجي، أبو القاسم عبد الرّحمن بن إسحاق الزّجاجيّ، تحقيق وشرح عبد السّلام هارون، (بيروت: دار الجيل، ١٩٨٧)
- الأُمالي في لغة العرب، أبو عليّ إسماعيل بن القاسم القالي البغدادي، (بيروت: دار الكتب العلميّة، مَكّة المكرّمة: دار الباز، ١٩٧٨)
- بلاد العرب، الحسن بن عبد الله الأصفهانيّ، تحقيق حمّد الجاسر وصالح العلي، (الرياض: دار اليمامة، ١٩٦٨)
- بهجة المُجالس وأنس المُجالس وشُحذ الدّاهن والهاجس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر القرطبيّ، تحقيق محمد الخولي، (بيروت: دار الكتب العلميّة، ١٩٨٢)

- تاج العروس من جواهر القاموس، السيّد محمد مرتضى الزبيدي، (بيروت: دار ومكتبة الحياة، د.ت)
- تجريد الأغاني، ابن واصل الحموي، تحقيق د. طه حسين وإبراهيم الأبياري، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٥٥)
- التذكرة السعدية في الأشعار العربية، محمد بن عبد الرحمن بن عبد المجيد العبيدي، تحقيق عبد الله الجبوري، (التحف الأشرف: مطابع الثعمان، ١٩٧٢)
- التذكرة الحمديّة، محمد بن الحسن بن محمد بن حمدون، تحقيق د. إحسان عباس وبكر عباس، (بيروت: دار صادر، ١٩٩٦)
- تزيين الأسواق بتفصيل أشواق العشاق، داود بن عمر الأنطاكي، تحقيق وتعليق القدس للدراسات والبحوث، (القاهرة: دار البيان العربي، د.ت)
- التعليقات والتوارد، أبو عليّ هارون بن زكريّا الهجريّ، تحقيق حمد الجاسر، (الرياض: المؤلف، ١٩٩٢)
- تحقيق حمود عبد الأمير الحمادي، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧)
- جمهرة أنساب العرب، أبو محمد عليّ بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٢)
- جمهرة النسب، هشام بن محمد السائب بن الكلبي، حققه ناجي الحسن، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٩٣)
- الحماسة البصرية، صدر الدين أبو الفرج بن الحسين البصري، اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه د. مختار الدين أحمد، (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٤)
- الحماسة الشجرية، هبة الله بن عليّ بن خزيمة العلوي المعروف بابن الشجريّ، تحقيق عبد المعين الملوحي وأسماء الحمصي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٧٠)

- الحماسة المغربية، أبو العباس أحمد بن عبد السلام التادلي الجراوي، تحقيق محمد رضوان الداية، (بيروت: دار الفكر المعاصر، دمشق: دار الفكر، ١٩٩١)
- الحنين إلى الأوطان، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، (بيروت: دار الرائد العربي، ١٩٨٢)
- خزانة الأدب ولبّ لباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، (القاهرة: دار الكاتب العربي، ١٩٦٨)، (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨١)
- ديوان الحماسة، أبي تمام حبيب بن أوس الطائي: شرح وتعليق أحمد حسن بسج، ط ١، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٨)
- علّق عليه محمد عبد المنعم خفاجي، (القاهرة: مكتبة محمد علي صبيح، ١٩٥٥)
- ديوان الصّمة بن عبد الله القشيري، د. عبد العزيز الفيصل، (الرياض: النادي الأدبي، ١٩٨١)، ضمن سلسلة كتاب الشهر (رقم ٣٢)
- ديوان ابن الدمينه، عبد الله بن الدمينه، تحقيق الأستاذ راتب التفّاح، (القاهرة: مكتبة دار العروبة، ١٩٥٩)
- ديوان المعاني، أبو هلال الحسن بن سهل العسكري، طبعة مقابلة على نُسختي الشيخين الشنقيطي ومحمد عبده، (بيروت: دار الجيل، د.ت)
- ديوان يزيد بن الطثريّة، دراسة وجمع وتحقيق د. ناصر بن سعد الرشيد، (الرياض: دار مكة للطباعة والنشر، ١٩٨٠)
- سيمط الآلي في شرح أمالي القالي، أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري، تحقيق عبد العزيز الميمني، (بيروت: دار الحديث، ١٩٨٤)
- شاعر وقصيدة - مختارات شعريّة، مصطفى طلاس، (دمشق: دار طلاس، ١٩٨٥)

- شرح حماسة أبي تمام، أبو الحجاج يوسف بن سليمان بن عيسى الأعمى الشنتمري، تحقيق د. علي المفصل حمودان، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٢)
- شرح ديوان الحماسة، (المنسوب) لأبي العلاء أحمد بن عبد الله المعري، حققه محمد نقشة، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩١)
- شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، بيروت: دار الجليل، ١٩٩١
- شرح ديوان قيس بن الملوّح، شرح وتحقيق د. رحاب عكاوي، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٤)
- شرح شواهد المغني، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، وبذيله تصحيحات وتعليقات الشيخ محمد الشنقيطي، تحقيق أحمد ظاهر كوجان، (دمشق: لجنة إحياء التراث العربي، ١٩٦٦)
- شرح المصنّون به على غير أهله، عبّيد الله بن عبد الكافي، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٣٣١هـ)
- شعراء بني قشير في الجاهلية وصدر الإسلام حتى أواخر العصر الأموي، د. عبد العزيز الفيصل، (القاهرة: عيسى البابي الحلبي، ١٩٧٨)
- شعراء نجد والحجاز والعراق، جمع الأب لويس شيخو، (بيروت: مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٨٩٠)
- شعراء الأُمّية وأشعارهم في مُعْجَم البلدان، جورج خليل مارون، بإشراف د. ياسين الأيوبي، (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٠)
- الشعر والشُعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، (بيروت: دار الثقافة، د.ت)
- زهر الآداب، أبو إسحق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، قدّم له وشرحه صلاح الدين الهواري، (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠١)

- الزهرة، أبو بكر محمد بن سليمان الأصفهاني، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، نوري حمودي القيسي، (بغداد: وزارة الإعلام، ١٩٧٥)
- صفة جزيرة العرب، أبو محمد الحسن بن علي الهمداني، حققه محمد بن علي الأكوّع، (الرياض: دار اليمامة، ١٩٧٤)
- الطرائف الأدبية، عبد العزيز الميمني، (القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٣٧)
- عُيون الأخبار، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، (القاهرة: المؤسسة المصرية العامة، ١٩٥٢)
- لسان العرب، جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، (بيروت: دار صادر، ١٩٥٦)
- الفاضل، أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق عبد العزيز الميمني، (القاهرة: مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٦)
- الفهرست، ابن النديم محمد بن أبي يعقوب إسحق المعروف بالوراق، تحقيق رضا تجدد، (طهران: م.د، ١٩٧١)
- الفهرست: دراسة بيوغرافية بيبليوغرافية بيبليومترية وتحقيق ونشر د. شعبان خليفة ووليد محمد الغورة، (القاهرة: العربي للنشر، ١٩٩١)
- المؤلف والمختلف، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الأمدي، تحقيق عبد الستار فراج، (القاهرة: دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦١)
- مائة قصيدة مختارة من مطوّلات الشعر العربي القديم، عبد الهادي حمّاد، (عمّان: ٢٠٠٠)
- المُجَنّتي، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد، (حيدر آباد الدكن: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٩٦٣)
- مجلّة العرب - مجلّة شهرية جامعة، الجزء الأول، تشرين الأول، السنة الأولى ١٩٦٦
- الجزء الأول، تشرين الأول، السنة الثانية ١٩٦٧

- مَجْمُوعَةُ الْمَعَانِي، إعداد عبد السلام محمد هارون، (بيروت: دار الجليل، ١٩٩٢)
- مُحَاضَرَةُ الْأَبْرَارِ وَمَسَامَرَةُ الْأَخْيَارِ فِي الْأَدَبِيَّاتِ وَالتَّوَادُرِ والأخبار، مُحيي الدين ابن العربي، (القاهرة: مطبعة السعادة، ١٩٠٦)
- الْمَرَاثِي، محمد بن العباس اليزيدي، تحقيق محمد نبيل طريقي، (دمشق: منشورات وزارة الثقافة، ١٩٩١)
- الْمُرْشِدُ إِلَى فَهْمِ أَشْعَارِ الْعَرَبِ، د. عبد الله الطيّب المحذوب، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٥٥)
- مَعَانِي أَيْبَاتِ الْحَمَاسَةِ، أبو عبد الله الحسين بن علي النَمَرِي، تحقيق د. عبد الله عسيلان، (القاهرة: مطبعة المدني، ١٩٨٣)
- مَعَاهِدُ التَّنْصِيفِ عَلَى شَوَاهِدِ التَّلْخِصِ، عبد الرحيم بن أحمد العباسي، حققه وعلّق حواشيه محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: عالم الكتب، ١٩٤٧)
- مُعْجَمُ الْأَدَبَاءِ (إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب)، ياقوت الحموي، تحقيق د. إحسان عباس، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٣)
- مُعْجَمُ الْبُلْدَانِ، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي، (بيروت: دار صادر ودار بيروت، ١٩٨٤)
- مُعْجَمُ الشُّعْرَاءِ، أبو عبيد الله محمد بن عمران المَرْزُبَانِي، تصحيح د. ف. كرنكو، (بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت)
- مُعْجَمُ الشُّعْرَاءِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ، د. ياسين الأيوبي، (بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٠)
- مُعْجَمُ الشُّعْرَاءِ الْمُخَضَّرَمِينَ وَالْأُمَوِيِّينَ، د. عزيزة فوّال بآيتي، (لبنان- طرابلس: جروس برس، ١٩٩٨)
- مُعْجَمُ الشُّعْرَاءِ مِنَ الْعَصْرِ الْجَاهِلِيِّ حَتَّى نَهَايَةِ الْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، د. عفيف عبد الرحمن، (بيروت: دار المناهل للطباعة والنشر، ١٩٩٦)

- الْمُعْجَمُ الْمُفَصَّلُ فِي شَوَاهِدِ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ، د. إميل بديع يعقوب، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠)
- الْمَقَاصِدُ النَّحْوِيَّةُ فِي شَرْحِ شَوَاهِدِ الْأُفْلَاقِ (المعروف بشرح الشواهد الكبرى) - على هامش خزانة الأدب، محمود بن أحمد العيني، (بيروت: د.م، ١٩٧٢)
- الْمُفْتَضِّلُ، أبو العباس محمد بن يزيد الميرد، تحقيق عبد الخالق عضيمة، (القاهرة: دار التحرير للطباعة والنشر، ١٣٦٨هـ)
- الْمَنَازِلُ وَالذِّيارُ، مجد الدين أسامة بن مُرْشِدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ مُنْقِذٍ، (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٦٥)
- الْمَنَاسِكُ وَأَمَاكِنُ طُرُقِ الْحَجِّ وَمَعَالِمُ الْجَزِيرَةِ، أبو إسحاق إبراهيم بن إسحاق الحربي، تحقيق حمّد الجاسر، (بيروت: مطبعة المتنبي، ١٩٦٩)
- مَوْسُوعَةُ شُعْرَاءِ صَدْرِ الْإِسْلَامِ وَالْعَصْرِ الْأُمَوِيِّ، عبد عون الروضان، (عمّان: دار أسامة، ٢٠٠١)
- مَوْسُوعَةُ شُعْرَاءِ الْعَرَبِ، د. يحيى شامي، (بيروت: دار الفكر العربي، ١٩٩٩)
- نُزْهَةُ الْأَبْصَارِ بِطَرَائِفِ الْأَخْبَارِ وَالْأَشْعَارِ، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد بن درهم، (دمشق: المكتب الإسلامي، ١٩٣٦)
- الْوَاقِي بِالْوَقَايَا، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ٢٠٠١)
- الْوَسَاطَةُ بَيْنَ الْمُتَنَبِّئِ وَخُصُومِهِ، القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، (بيروت: المكتبة العصرية، د.ت)
- وَفَايَاتُ الْأَعْيَانِ وَأَنْبَاءُ أَوْلَادِ الزَّمَانِ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلّكان، تحقيق د. إحسان عباس، (بيروت: دار الثقافة، ١٩٧١).